شرح كتاب سر الروح

للإمام الحافظ برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي
المتوفى ٨٨٥ هـ

إعداد
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: **ŠARḤ KITĀB SIRR AL-RŪḤ**
(Explanation of al-Bikaai's book *'Mysteries of the Spirit'*)

classification: *Animisticism*

Author	: Al-šayḫ 'Ali Aḥmad 'Abdul-'Āl al-Ṭahṭāwi
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages	: 368
Year	: 2008
Printed in	: Lebanon
Edition	: 1st

الكتاب : شرح كتاب سرّ الروح
للإمام الحافظ برهان الدين البقاعي

التصنيف	: روحانيات
المؤلف	: الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
الناشر	: دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات:	368
سنة الطباعة :	2008
بلد الطباعة	: لبنان
الطبعة	: الأولى

ISBN 2-7451-5259-9 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5259-6 (13 dig)

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م - ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون ، القبة،
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح -بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١،٧٠].

أما بعد:

كلنا على معرفة بكتاب الروح للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، حيث قام الإمام الحافظ أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي رحمه الله تعالى بعمل تنقيح واختصار له وأسماه [سر الروح] حيث قال في مقدمته ".. فإني كاتب إن شاء الله تعالى في هذه الأوراق المقصود من الحقيقة من [كتاب الروح] للإمام العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي، سقى الله ثراه ورحم متقلبه ومثواه، وذلك هو الصحيح من الأقوال في كل مسألة بأقوى أدلتها وربما زدت شيئًا فميزته غالبًا بقُلتُ والله أعلم.

ورتبته أحسن من ترتيبه وبالغت بجهدي في تهذيبه وكنت ظننت أنه يكون بعد الزيادة والتحرير في نحو ثلثه والثلث كثير، فجاء في نصفه فائقًا في رصفه ووصفه، ولم أخل بشيء من مختاره ولا حذفت صحيحًا من أحاديثه وأخباره وسميته: سر الروح" انتهى.

وبعد أن قرأته قراءة جيدة وجدته يحتاج إلى رعاية خاصة مني حيث إن هذا السفر فيه مادة علمية جعلتنا كلنا في حاجة إليها وبما أنني بفضل الله تعالى أصبحت

متخصصًا في هذه المادة ولي باع طويل وكتبت كتبًا كثيرة في ذلك واستعنت بالله تعالى وأسميته [شرح كتاب سر الروح] وجعلته في فصول:

الفصل الأول: ويشمل التمهيد ويشمل كل ما يتعلق بالروح من الكتاب والسنة واللغة.

الفصل الثاني: ويشمل الموت والقبر وأسباب عذاب القبر، وما ينجي من عذاب القبر، وما ينفع وما لا ينفع المؤمن في قبره.

الفصل الثالث: ويشمل أول الكتاب المشروح الذي يدور حول الروح والنفس.

الفصل الرابع: ويشمل على أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده؟

الفصل الخامس: ويشمل كلام الشيخ عن عذاب القبر ونعيمه، هل تنفع أو تضر روح الموتى بشيء من سعي الأحياء أو لا؟

وبالطبع فقد بذلت جهدا في خدمة هذا الكتاب، والحمد لله لقد وجدت في مؤلفاتي ما يساعدني في عملي هذا مثل: الحياة بعد الموت، والأنبياء وملك الموت، وأهوال القبور، والقبر أول منازل الآخرة، والقبر عذابه، وشرح الصدور بما ينفع الأموات في القبور.

لذلك أوصيك عزيزي القارئ بالتدبر في قراءتك لهذا السفر النافع لأن مادته العلمية ترقق القلوب. ولله الحمد والمنة.

الشيخ/ **علي أحمد عبد العال الطهطاوي**

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

الـفصل الأول /

الـتمهيد

١- ما هي الروح؟

٢- معنى الحياة قبل الموت والحياة بعد الموت؟

٣- الموت والقبر والبرزخ.

٤- عذاب القبر ونعيمه.

٥- الأسباب التي تنجي من عذاب القبر.

٦- ما ينفع المؤمن في قبره وما لا ينفعه.

٧- التنبيه على بعض العادات السيئة والبدع المنكرة والتحذير من مخالفة سنة وهدي النبي ﷺ في ذلك.

الروح[1]

"ما هي الروح؟ وأين تكون قبل دخولها الجسد؟ وأين تسكن بعد خروجها منه؟ وهل تظل في عالمنا هذا؟ وما هي حقيقة تحضير الأرواح؟ وهل هو صحيح"؟

ما هي الروح؟

الروح: هي القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة، والعقل والتفكير، وأضيفت إلى الحيوان والإنسان.

ولم يرد في الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها، وكانت في نظر الدين كغيرها من سائر الحقائق الكونية تركت للبحث البشري يبحث عنها، ويصيب أو يخطئ على حد سواء.

اختلاف الباحثين في حقيقة الروح:

ولقد خاض الإنسان قديمًا وحديثًا مليًا وغير ملي في البحث عن حقيقتها، وأثرت عنه فيها أقوال وآراء. قال فيها الإمام الألوسي -بعد أن ذكر جملة منها-: (وقيل إلى نحو ألف قول) ثم قال: والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما، وهو أن الروح جسم نوراني علوي حي، مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، سار فيه سريان الماء في الورد، لا يقبل التحلل ولا التفرق، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ما دام الجسم صالحًا لقبول الفيض، وقد أيده ابن القيم، وقال: إنه الصواب ولا يصح غيره، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة، وبرهن عليه بما يزيد عن مائة دليل.

ونرى مع ذلك أن هذا الرأي لم يشرح حقيقة الروح، وإنما ذكر خواص ولوازم أكثرها سلبي لا يفيد الحقيقة، ولا يدل على الكنه.

الروح قبل اتصالها بالجسد

وكما اختلف العلماء في حقيقتها هكذا، اختلفوا أيضًا في قدمها وحدوثها، وفي مستقرها قبل اتصالها بالأجسام، والقائلون بحدوثها اختلفوا أيضًا في زمن حدوثها، هل حدثت قبل الأجسام أو بعد الأجسام؟ وليس في النصوص أكثر من أن

---

(١) الفتاوى للإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق رحمه الله تعالى.

نفخها في الجسم يكون بعد تسويته، والمفهوم من نفخها تحصيل آثارها في الجسم.

الروح بعد مفارقتها للجسد:

وكما اختلفوا في هذا اختلفوا أيضًا في موتها وبقائها وفي مستقرها بعد مفارقة الأبدان.

والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت، وأنها تبقى ذات إدراك، تسمع السلام عليها، تعرف من يزور قبر صاحبها، وتدرك لذة النعيم وألم الجحيم، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله.

لا مانع من البحث عن حقيقتها:

وعلى الرغم من كل هذا فلا تزال حقيقتها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان، وهي في ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه.

وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص ديني.

ولا حاجة للقائلين بحرمة البحث عنها في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] فقد رجح بعض العلماء أن المراد منها في الآية القرآن نفسه، وقد سماه الله روحًا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي.

إذن، فلا يتعين أن يكون المسؤول هو روح الحياة، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس في الآية أكثر من أنها من أمر الله، وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها.

تحضير الأرواح:

وكما لم يرد نص في شيء من ذلك كله، لم يرد شيء فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان، كما لم يدل عليه حس موثوق به، أو تجربة صادقة، وكل ما نسمعه في ذلك لا يخرج عن مظاهر خداع وإلهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره.

وإذن، فنحن في حل من رفضه إلى أن يقوم الدليل على صدقه.

وحسب المؤمن في إيمانه أن يقف عندما أخبر الله به، وصح عن رسوله،

وليس عليه أن يحمل نفسه عقيدة أو رأيا لا يتوقف عليه صحة الإيمان.

الروح(١)

شيء عجاب، دليل قاطع واضح، يخضع له المنكرون على عظمة الخالق جل في علاه، حاولوا كثيرًا بأجهزة دقيقة، وعقول إلكترونية، وبتمكن من استغلال الطبيعة للوصول إلى حقيقتها، ولكن في كل مرة لا يرون إلا هذه الآية: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والسؤال الذي نسأله أولا، هل الروح قديمة أم محدثة مخلوقة؟.

يجيب ابن القيم في "الروح" فيقول: "هذه مسألة زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله الحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، كما يعلم من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم – وهم القرون الفضيلة – على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق، وبأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون فقالوا: لا نقول: مخلوقة ولا غير مخلوقة" اهـ. ويجيب أيضًا أبو عبد الله بن منده فيقول: "اختلف الناس في معرفة الأرواح ومحلها من النفس، فقال بعضهم: الأرواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» اهـ(٢)، والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

وقال بعضهم: الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥]

---

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

(٢) سيأتي كلام عن هذا الحديث وتخريجه.

وقال بعضهم: الأرواح نور من أنوار الله تعالى وحياة من حياته، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**إن الله خلق خلقه من ظلمة، وألقى عليهم من نوره**»[1] اهـ.

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وذريته وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة".

وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين، مثل: محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور، وكذلك أبو محمد بن قتيبة، قال: "وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة أي خالق الأرواح".

وقال أبو إسحاق فيما أجاب به في المسألة: "سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هي أو غير مخلوقة؟ قال: وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب أن الروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة".

وقد نعى على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى، فكيف بروح غيره كما ذكره الإمام أحمد فيما كتبه في مجلسه في الرد على الزنادقة أو الجهمية؟ ثم إن الجهمي ادعى أمرًا فقال: أنا أجد آية في كتاب الله مما يدل على أن القرآن مخلوق، قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. وعيسى مخلوق.

أجيب عليه: بأن الله تعالى منعه الفهم للقرآن، إن عيسى عليه السلام تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن؛ لأننا نسميه مولودًا، وطفلا، وصبيًا، وغلامًا يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقوله في عيسى، فهل

---

(١) رواه الترمذي وأحمد.

سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى بكن وليس عيسى بكن ولكن كان يكن، كن من الله قول: وليس كن مخلوقًا، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة.

وقالت النصارى: عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال: هذه الخرقة من هذا الثوب، قلنا: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة، وإنما الكلمة قول الله تعالى: ﴿ كُن ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: من أمره كان الروح فيه كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

يقول: من أمره، وتفسير روح الله، إنما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال: عبد الله وسماء الله وأرض الله، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح؟ وقد أضاف الله إليه الروح الذي أرسله إلى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل على ذلك أنه قديم غير مخلوق، فقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٧-١٩].

فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله. ويدل على خلقها وجوه منها:

١- قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]. فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفاته فإنها داخلة في مسمى باسمه، فالله سبحانه هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه ليس داخلا في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها، فهو سبحانه وتعالى بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق. ومعلوم قطعًا أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته

فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس.

٢- قال تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩].

ومعلوم أن الخطاب للبدن والروح معًا، فالبدن وحده لا يخاطب ولا يعقل.

٣- "النصوص الدالة على أن الله سبحانه كان ولم يكن شيء غيره كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين أن أهل اليمن قالوا: يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء**».

وكتب في الذكر كل شيء، فلم يكن مع الله أرواح ولا نفوس قديمة يساوي وجودها وجوده - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - بل هو الأول وحده لا يشاركه غيره في أوليته بوجه.

٤- إن الروح توصف بالوفاء والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢]. والأنفس ههنا هي الأرواح قطعًا.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في سفر ذات ليلة فقلنا: يا رسول الله لو عرست[1] بنا، فقال: «**إني أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة؟**» فقال بلال: أنا يا رسول الله، فعرس بالقوم فاضطجعوا، واستند بلال إلى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله ﷺ وقد طلع جانب الشمس فقال: «**يا بلال أين ما قلت لنا؟**» فقال: والذي بعثك بالحق ما ألقيت على نومة مثلها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء**»[2].

فهذه الروح المقبوضة هي التي يتوفاها الله حين موتها، والتي لم تمت في منامها

---

(١) أي ننزل للراحة، فالعرس (للمسافر): النـــزول آخر الليل للراحة.

(٢) رواه البخاري، وأبو داود والنسائي وأحمد.

التي يتوفاها ملك الموت، وهي التي تتوفاها رسل الله سبحانه، وهي التي يجلس الملك عند رأس صاحبها ويخرجها من بدنه كرهًا، ويكفنها بكفن من الجنة أو النار ويصعد بها إلى السماء فتصلي عليها الملائكة أو تلعنها وتوقف بين يدي ربها فيقضي فيها أمره، ثم تعاد إلى الأرض فتدخل بين الميت وأكفانه، فيسأل ويمتحن ويعاقب وينعم، وهي التي تجعل في أجواف الطير الخضر تأكل وتشرب من الجنة، وهي التي تعرض على النار غدوًا وعشيًا، وهي التي تؤمن وتكفر وتطيع وتعصي، وهي الأمارة بالسوء وهي اللوامة، وهي المطمئنة إلى ربها وأمره وذكره، وهي التي تعذب وتنعم وتسعد وتشقى وتحبس وترسل وتصح وتسقم وتلذ وتألم وتخاف وتحزن وما ذاك إلا سمات مخلوق مبدع، وصفات منشأ مخترع، وأحكام مربوب مدبر مصرف تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه.

فكيف إذن تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة أعدل شواهد على أنها مخلوقة مربوبة مصنوعة، وأن وجود ذاتها وصفاتها وأفعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفسها إلا العدم، فهي لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، لا تستطيع أن تأخذ من الخير إلا ما أعطاها، ولا تتقي من الشر إلا ما وقاها ولا تهتدي إلى شيء من صالح دنياها وأخراها إلا بمداه، ولا تصلح إلا بتوفيقه لها وإصلاحه إياها، ولا تعلم إلا ما علمها، ولا تتعدى ما ألهمها، فهو الذي خلقها فسواها، وألهمها فجورها وتقواها، فأخبر سبحانه أنه خالقها ومبدعها وخالق أفعالها من الفجور والتقوى خلافًا لمن يقول: إنها ليست مخلوقة، ولم يقل: إنها وإن كانت مخلوقة فليس خالقًا لأفعالها بل هي التي تخلق أفعالها، وهما قولان لأهل الضلال والغي.

ومعلوم أنها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها وهذا من أبطل الباطل، فإن فقرها إليه سبحانه في وجودها وكمالها وصالحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا بعلة، فإنه أمر ذاتي لها كما أن غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة، فهو سبحانه الغني بالذات، وهي الفقيرة إليه بالذات فلا يشاركه سبحانه في غناه مشارك، ولا يشاركه في قدمه وربوبيته وملكه التام، وكماله المقدس — مشارك، فشواهد الخلق والحدوث على الأرواح كشواهده على الأبدان.

فوائد تتعلق بالروح[1]

لخصت أكثرها من كتاب الروح لابن القيم:

الأولى: أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: كنت مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه، فقالوا: يا محمد! ما الروح؟ فما زال متكئًا على العسيب، فظننت أنه يوحى إليه، فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] فاختلف الناس في الروح على فرقتين: فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر، وهذه الطريقة هي المختارة.

قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود، وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان لا يفسر الروح.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن الروح قال: ﴿ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ لا تتأولوا هذه المسألة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله تعالى وعلم نبيه: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأخرج ابن جرير بسند مرسل أن الآية لما نزلت قالت اليهود: هكذا نجده عندنا. قلت: فمسألة أبهمها الله تعالى في القرآن والتوراة، وكتم عن خلقه علمها من أين للمتعمقين الاطلاع على حقيقة أمرها؟!

وقد نقل أبو القاسم القشيري السعدي في الإيضاح: أن أماثل الفلاسفة أيضًا توقفوا عن الكلام فيها، وقالوا: هذا أمر غير محدد، ولا سبيل للعقول إليه. قال: ووقوف علمنا عن إدراك حقيقة الروح، كوقوفه عن إدراك سر القدر.

قال ابن بطال: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه، حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

---

(١) شرح الصدور للإمام السيوطي رحمه الله.

وقال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب أولى، وقريب منه عجز البصر عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب أولى وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه، وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال النووي: وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين: إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر.

الثانية: اختلف أهل الطريقة الأولى هل علمها النبي ﷺ؟ فقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن صالح بن حيان، حدثنا عبد الله بن بريدة قال: لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح، وقالت طائفة بل علمها وأطلعه عليها، ولم يأمره أن يطلع عليها أمته، وهو نظير الخلاف في علم الساعة.

الثالثة: أكثر المسلمين على أن الروح جسم، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة لوصفها في الآيات والأحاديث بالتوفي، والقبض والإمساك، والإرسال والتناول، والإخراج والخروج، والتنعيم والتعذيب، والرجوع والدخول، والرضا والانتقال والتردد في البرزخ، وأنها تأكل وتشرب وتسرح وتأوي وتعلق وتنطق وتعرف وتنكر، إلى غير ذلك مما هو من صفات الأجسام والعرض، لا يتصف بهذه الصفات أيضًا، فلا شك أنها تعرف نفسها وخالقها، وتدرك المعقولات، وهذه علوم: والعلوم أعراض، فلو كانت عرضًا والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض، وهو فاسد.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: وكون الروح من الأجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة.

الرابعة: الصحيح أن الروح والنفس شيء واحد. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]، وقوله ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠]. ويقال: فاضت نفسه أي: ماتت وخرجت.

وقال بعض أهل السنة: إن الروح التي تقبض غير النفس ويؤيده ما أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]. قال: في جوف الإنسان نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فيتوفى الله النفس في

منامه، ويدع الروح في جوفه تتقلب وتعيش، فإن أراد الله أن يقبضه قبض الروح، فمات، وإن أخر أجله رد النفس إلى مكانها من جوفه.

وقال مقاتل: للإنسان حياة وروح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه، وتبقى الحياة والروح في الجسد فيهما يتقلب ويتنفس، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت، وقال أيضًا: إذا خرجت نفسه، فصعدت، فإذا رأت الرؤيا رجعت، فأخبرت الروح، وتخبر الروح، فيصبح ويعلم أنه قد رأى كيت وكيت.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة، وابن عبد البر في التمهيد، عن وهب بن منبه قال: إن نفس الإنسان خلقت كأنفس الدواب التي تشتهي وتدعو إلى الشر، ومسكنها في البطن، وفضل الإنسان بالروح ومسكنه في الدماغ، فيه يستحي الإنسان وهو يدعو إلى الخير، ويأمر به، ثم نفخ وهب على يده، فقال: ترون هذا بارد وهو من الروح، وتنهد على يده، فقال: هذا حار وهو من النفس ومثلهما كمثل الرجل وزوجته، فإذا أبق الروح إلى نفس والتقيا نام الإنسان، فإذا استيقظ رجع الروح إلى مكانه، وتفسير ذلك بأنك إذا كنت نائمًا واستيقظت، كأن شيئًا يثور إلى رأسك، ومثل القلب كمثل الملك، والأركان أعوانه، فإذا أمرت النفس بالشر اشتهت وتحركت الأركان، ونهاها الروح ودعاها إلى الخير، فإن كان القلب مؤمنًا أطاع الروح، وإن كان كافرًا أطاع النفس، وعصى الروح، فتنشط الأركان.

وأخرج ابن سعد في طبقاته، عن وهب بن منبه قال: خلق الله ابن آدم من التراب والماء، ثم جعلت فيه النفس فيه يقوم ويقعد، ويسمع ويبصر، ويعلم ما تعلم الدواب، ويتقي ما تتقي، ثم جعلت فيه الروح، فيه عرف الحق من الباطل والرشد من الغي. وبه حذر وتقدم واستتر وتعلم، ودبر الأمور كلها.

وقال ابن عبد البر في التمهيد: ذكر أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان أن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد صاحب مالك قال: النفس جسد مجسد، كخلق الإنسان، والروح كالماء الجاري واحتج بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال: ألا ترى أن النائم قد توفى الله نفسه، وروحه صاعدا ونازلا، وأنفاسه قيام،

والنفس تسرح في كل واد وترى ما تراه من الرؤيا، فإذا أذن الله في ردها إلى الجسد عادت، واستيقظ بعودها جميع أعضاء الجسد، قال: فالنفس غير الروح، والروح كالماء الجاري في الجنان، فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان[1] منع عنه الماء الجاري فيه، فماتت جنانه، فكذلك الإنسان.

قال ابن إسحاق: قال عبيد الله بن أبي جعفر: إذا حمل الميت على السرير كانت روحه بيد ملك يسير بها معه، فإذا وضع للصلاة عليه وقف، فإذا حمل إلى قبره سار معه، فإذا ألحد، ووري بالتراب أعاد الله نفسه، حتى يخاطبه الملكان، فإذا وليا عنه اختلع الملك نفسه، فرمى بها إلى حيث أمر، وهذا الملك من أعوان ملك الموت. انتهى.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: في كل جسد روحان:

أحدهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان، ورأت تلك الروح المنامات.

والأخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في جسد كان حيًّا، فإذا سرقته مات، فإذا رجعت إليه حيي، وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك، فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة.

وقال بعض المتكلمين الذي يظهر أن الروح بقرب القلب. قال ابن عبد السلام: ولا يبعد عندي أن يكون الروح في القلب. قال: ويجوز أن تكون الأرواح كلها نورانية صفة شفافة، ويجوز أن يختص ذلك بأرواح المؤمنين والملائكة، دون أرواح الكفار والشياطين، ويدل على روح الحياة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١]، ويدل على وجود روحي الحياة واليقظة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢] تقديره يتوفى الأنفس التي لم تمت أجسادها في نومها، فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت عنده، ولا يرسلها إلى أجسامها، ويرسل الأنفس الأخرى، وهي

(١) قوله: فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان ..... الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، بل إن الله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد ولا المفسدين، ونهانا عن الفساد .. العقوبة فيه. وكان من الصواب أن يقال: فإذا أراد الله موت ذلك البستان.... أو شيء مثل ذلك فلزم التنويه.

أنفس اليقظة إلى أجسادها إلى انقضاء أجل مسمى، وهو أجل الموت، فحينئذ تقبض أرواح الحياة، وأرواح اليقظة جميعًا من الأجساد، ولا تموت أرواح الحياة، بل ترفع إلى السماء حية، فتطرد أرواح الكافرين، ولا تفتح لها أبواب السماء، وتفتح أبواب السموات لأرواح المؤمنين إلى أن تعرض على رب العالمين فيا لها من عرضة ما أشرفها. انتهى كلام الشيخ عز الدين.

قلت: وما ذكره من أن الروح في القلب قد جزم به الغزالي في كتابه الانتصار، وقد ظفرت له بحديث.

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن الزهري أن خزيمة بن حكيم السلمي، ثم النمير قدم على النبي ﷺ يوم فتح مكة، فقال: يا رسول الله! أخبرني عن ظلمة الليل، وضوء النهار، وحر الماء في الشتاء، وبرسده في الصيف، ومخرج السحاب، وعن قرار ماء الرجل، وماء المرأة، وعن موضع النفس من الجسد، فذكر الحديث إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: **«وأما موضع النفس ففي القلب، والقلب معلق بالنياط، والنياط يسقي العروق، فإذا هلك القلب انقطع العرق»**. الحديث بطوله، وهذا مرسل، وله طرق أخرى مرسلة موصولة في المعجم الأوسط للطبراني، وتفسير ابن مردويه، وكتاب الصحابة لأبي موسى المديني، وابن شاهين. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: والحديث فيه غريب كثير، وإسناده ضعيف جدًّا.

الخامسة: أجمع أهل السنة على أن الروح محدثة مخلوقة ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة، ممن نقل الإجماع على حدوثها محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة، ومن الأدلة على ذلك حديث: **«الأرواح جنود مجندة»** والمجندة لا تكون إلا مخلوقة وكذا ما يأتي في الفائدة بعده.

السادسة: اختلف في تقديم خلق الأرواح على الأجساد وتأخيرها عنها على قولين مشهورين: وبالأول قال الإمام محمد بن نصر، وابن حزم، وادعى فيه الإجماع، واستدل له بما أخرجه ابن مندة من حديث عمرو بن عنبسة مرفوعًا: **«إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**. وسنده ضعيف جدًّا، وبأحاديث إخراج ذرية آدم من ظهره، ومنها حديث: **«لما خلق الله آدم مسح على ظهره، فسقط منه كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة**

أمثال الذر». أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة، والنسمة: الروح، وللحاكم أيضًا عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قال: جمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أزواجا، وصورهم واستنطقهم، فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق الحديث، واستدل للثاني بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]. روي أنه مكث أربعين سنة قبل أن ينفخ فيه الروح لحديث ابن مسعود: أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح. وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه، فالروح مخلوقة من زمن طويل، وأرسلت بعد تصور البدن مع الملك لإدخالها في البدن.

السابعة: ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم: إلى أن الروح تبقى بعد موت البدن، وخالف فيه الفلاسفة، دليلنا قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق، وما تقدم في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث في بقائها وتصرفها وتنعيمها وتعذيبها إلى غير ذلك، وعلى هذا فهل يحصل لها عند القيامة فناء، ثم تعاد توفيه بظاهر قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦] أو لا؟ بل تكون من المستثنى في قوله: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧]. حكاهما السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم. وقال: الأقرب أنها لا تفنى وأنها من المستثنى كما قيل في الحور العين. انتهى.

وفي كتاب ابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده؟ على قولين، والصواب: أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم فلا، بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب.

وقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده إلى محمد بن وضاح أحد أئمة المالكية قال: سمعت سحنون بن سعيد، وذكر له عن رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد، فقال: معاذ الله! هذا قول أهل البدع.

الثامنة: اختلف في معنى قوله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف**

وما تناكر منها اختلف» فقيل: هو إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله، والشرير يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع حسب الطباع التي جبلت عليها من خير أو شر فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت. وقيل: المراد الإخبار عن بدء الخلق على ما ورد أن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام، فكانت تلتقي فتشام، فلما حلت الأجساد تعارفت بالمعنى الأول، فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم.

وقال بعضهم: الأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحًا. لكنها تتمايز بأمور مختلفة تتنوع بها. فتتشاكل أشخاصًا كل نوع يألف نوعها، وتفر من مخالفها.

وفي تاريخ ابن عساكر بسنده، عن هرم بن حيان قال: أتيت أويسًا القرني فسلمت عليه، ولم أكن رأيته قبل ذلك، ولا رآني، فقال لي: وعليك السلام يا هرم بن حيان. قلت: من أين عرفت اسمي واسم أبي ولم أكن رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني. قال: عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك. إن الأرواح لها أنفاس، كأنفاس الأجساد وأن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضًا، ويتحابون بروح الله، وإن لم يلتقوا.

وأخرج الطوسي في عيون الأخبار. عن عائشة رضي الله تعالى عنها. أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهم، فلما هاجرت إلى المدينة قدمت علي، فقلت: أين نزلت؟ قالت: على فلانة، امرأة كانت تضحك بالمدينة، فدخل رسول الله ﷺقال: **«فلانة المضحكة عندكم»**؟ قلت: نعم قال: **«على من نزلت»**؟ قلت: على فلانة المضحكة. قال: **«الحمد لله إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**.

التاسعة: قال ابن القيم: فإن قيل بأي شيء تمايز الأرواح بعد مفارقة الأشباح، حتى تتعارف، وهل تتشكل بشكل؟

فالجواب: على قاعدة أهل السنة كثرهم الله تعالى: إن الأرواح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنــزل وتتصل وتنفصل وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل مقررة منها قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧] فأخبر أنها مسواة، كما قال الله تعالى عن البدن: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧]. فسوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع لتسوية النفس. قال: ومن ههنا يعلم

أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فإنها تتأثر وتنفعل عن البدن، كما يتأثر البدن وينفعل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبيث منها كما تكتسبهما هي منه. قال: بل تميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان، والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان، فإن الأبدان تشبه كثيرًا، وأما الأرواح، فقلما تشتبه. قال: ويوضح هذا أنا لم نشاهد أبدان الأنبياء والأئمة، وهم يتميزون في علمنا أظهر تمييز، وليس تمييز راجعًا إلى مجرد أبدانهم، بل هي بما عرفناه من صفات أرواحهم، وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه، وبين روحيهما غاية التباين، وقل أن ترى بدنًا قبيحًا وشكلا شنيعا، إلا وجدته مركبًا على نفس تشاكله وتناسبه، وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها، ولهذا تأخذ أصحاب الفراسة أحوال الناس من أشكال الأبدان، وقل أن ترى شكلا حسنًا وصورة جميلة وتركيبًا لطيفًا، إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له. قال: وإذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تجملهم، وكذلك الجن فالأرواح البشرية أولى انتهى.

ووقع في كلام الغزالي في الدرة الفاخرة: إن روح المؤمن على صورة النحلة، وروح الكافر على صورة الجرادة، وهذا شيء لا يعرف له أصل، بل وقع في حديث الصور أن إسرافيل يدعو الأرواح، فتأتيه جميعًا.

أرواح المسلمين تتوهج نورًا، والأخرى مظلمة، فيجمعها جميعًا فيعلقها في الصور، ثم ينفخ فيه، فيقول الرب جل جلاله: وعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتخرج الأرواح من الصور مثل النحل. قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيأتي كل روح إلى جسده، فتدخل فتمشي في الأجساد مثل السم في اللديغ. فقوله: مثل النحل ليس تشبيهًا في الهيئة والصورة، بل هو في الخروج وهيئته فقط، ومثله قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وفي لفظ هذا الحديث في تفسير جويبر: فتأتي أرواح المؤمنين من الجابية، وأرواح الكفار من برهوت، ولهي أهدى إلى أجسادها من أحدكم إلى رحله، والأرواح يومئذ سود وبيض، فأرواح المؤمنين بيض وأرواح الكفار سود.

العاشرة: أخرج ابن منده، عن ابن عباس قال: ما تزال الخصومة بين الناس، حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح للجسد: أنت فعلت، ويقول الجسد للروح: أنت أمرت. وأنت سولت، فيبعث الله ملكًا يقضي بينهما، فيقول لهما: إن مثلكما كمثل

رجل مقعد بصير، وآخر ضرير دخلا بستانًا، فقال المقعد للضرير: إني أرى ههنا ثمارًا، ولكن لا أصل إليها، فقال له الضرير: أركبني فركبه، فتناولها، فأيهما المعتدي، فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما، يعني: أن الجسد للروح كالمطية وهو راكبه.

وأخرج الدارقطني في الأفراد، من حديث أنس مرفوعًا نحوه ولفظه: «**يختصم الروح والجسد يوم القيامة، فيقول الجسد إنما كنت بمنزلة الجذع ملقى لا أحرك يدًا ولا رجلا لولا الروح، ويقول الروح إنما كنت ريحًا لولا الجسد لم أستطع أن أعمل شيئًا**». وضرب لهما مثل أعمى ومقعد، حمل الأعمى المقعد، فدله ببصره المقعد وحمله الأعمى برجله. وله شاهد عن سلمان موقوفًا. أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، ولفظه: «مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد، قال المقعد للأعمى: إني أرى ثمرة، ولا أستطيع أن أقوم إليها، فاحملني، فحمله، فأكل وأطعمه». وهذا يؤيد أن القلب محل الروح والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

معنى الحياة(١)

الحياة عمل الإنسان على هذه المعمورة..

أحيانًا يتجه بعض الناس إلى ظلمات الجهالة...

وأحيانًا يسير بعضهم إلى دهاليز الفسق والفجور...

وقليل من الناس – خاصة في زماننا – يقيسون الأمور بميزان المنطق فيعيشون كما يقضي هذا المنطق، أي كما أمر الله رب العالمين.

فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان قادرًا على العمل الجاد، وتعمير الأرض بالخير الوفير وأمده بالطاقات التي بها تتجمل صور الحياة، فأحسن تقويمه وتصويره وسخر له ما في السموات والأرض، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥].

---

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

ولكنه ينفرد بين الخلائق بمساوئ لا يوصف بها غيره؛ لأن السيئة والحسنة على السواء – لا يوصف بها مخلوق غير مسؤول، فهذا المخلوق المسؤول يوصف دون غيره من الخلائق بالكفر والظلم والطغيان والخسران والفجور والكنود؛ لأنه دون غيره أهل للإيمان والعدل والرجحان والعفاف، ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولكنه يجب أن يعي معنى التكليف له، فخليق به أن يعي هذه الحقيقة، وأن يتنبه إلى هذه الفضيلة.

يقول العقاد: "من شروط التكليف: طاعة وحرية، وهذه بديهية يغفل عنها الكثير من المجادلين في قضية القدر، وفي قضية الإيمان، وفي قضية التكليف والجزاء، فيقصرون النظر على شرط الحرية ويهملون شرط الطاعة كأنه مناقض للجزاء، وكأنه من اللازم عقلا أن يكون الجزاء مقرونًا للحرية المطلقة، وهي في ذاتها استحالة عقلية بكل احتمال يخطر على البال في فهم خلق الإنسان، فمن بحث عن الإيمان بالتكليف غير ناظر إلى شرط "الطاعة" فلا جرم يضل عنه ولا ينتهي فيه إلى قرار؛ لأنه يبحث عن شيء آخر ولا يبحث عن التكليف ولا عن الإيمان".

وفي كتاب الله خطاب منه سبحانه إلى باطن الإنسان وتقرير بأنه الخالق الهادي إلى سواء السبيل، وفيه وعد ووعيد: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف:٢٩، ٣٠].

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وكثرة الآيات برهان على أن يكون فيها مجال للتأويل بغير معناها الظاهر؛ لأن معناها ظاهر بأن الله سبحانه القادر الذي يقول للشيء كن فيكون.

أفي هذا تناقض في حكم العقل إذا نظرنا إلى الأمر كله نظرة المعقول ولم نقصر النظر إلى النصوص، أو إلى واجب الاعتقاد بمقتضى هذه النصوص؟.

إن الرجوع بالقضية إلى أسسها المحتملة على كل احتمال، ينفي التناقض ويرينا

كيف يكون هذا الاعتقاد "حلا للمشكلة" من أسسها المفروضة جميعًا، وخروجًا من التناقض الذي يلزمها على كل احتمال غير هذا الاحتمال.

وليكن الإنسان روحًا وعقلا خلقه الله، أو يكن تركيبًا عارضًا من تراكيب المادة لم يخلقه أحد، على قول المؤمنين بالمادة مجردة من الفكر والإرادة.

وليكن التكليف إرادة من عند الله، أو يكن ضرورة من قضاء الواقع، لا يرتبط بها أمر ولا جزاء.

فكيف يتصور العقل إرادة الإنسان على كل احتمال؟.

إنه لا يتصورها إرادة مطلقة من جميع القيود؟ لأن إرادة إنسان واحد تنطلق بغير قيد هي لكل إنسان على سواء، وكيف يأتي هذا الإنسان الوحيد بإرادته المطلقة منفردًا بها بين أمثاله المقيدين؟.

أما أن يوجد الناس جميعًا بإرادة مطلقة لكل منهم على سواء، فهذه هي الإحالة الفعلية في الفرض والتقدير، قبل الوصول بها إلى الإيجاد والتحقيق.

فإذا كانت الإرادة المطلقة هي إرادة الله، فخلق الناس مكلفين بغير إرادة لهم شيء غير معقول وغير مقبول؛ لأن سقوط التكليف لا معنى له في هذه الحالة إلا أن يخلق الناس جميعًا متشابهين متماثلين متساوين في العمل الصالح الذي يساقون إليه، كما تساق الآلات، فلا فضل إذن للعاقل على غير العاقل، ولا تمييز للإنسان على الجماد المجرد من الحس فضلا عن الحيوان.

فإذا وجب تكليف الإنسان، فالعقل الإنساني لا يجود إلا كما ينبغي أن يجب على حالة واحدة لا سواها، وهي حالة الإرادة المخلوقة يودعها فيه الخالق كما ينبغي أن تودع، وهي لا ينبغي أن تودع إلا على هذا الفرض الذي يدعو إليه القرآن.

إن الحرية المخلوقة حرية صحيحة كما ينبغي أن تكون في احتمال العقل المدرك المميز الذي يهتدي بإذن الله لما اختلفوا.

ولا يقال: إن الحرية التي تخلق ليست بحرية، فإن الحرية غير القيد سواء كانا مخلوقين أو مطبوعين، وسواء كانا من عالم الروح أو من عالم المادة عند التمييز بينها كما تتمايز قيمة المعدن نفيس وغير نفيس وكلاهما مخلوق أو مصنوع، فإن صنعا

للآنية الذهبية والآنية النحاسية لا ينفي نفاسة الأولى ولا يسوي بين الآنيتين المصنوعتين.

وليس في العمل شيء اسمه: حرية مطبوعة تعلو على الحرية المخلوقة بالانطلاق من القيود، غير معقول، وغير موجود. وإذا وجدت للمخلوقات حرية أو وجدت لها إرادة فلنرجع إلى العقل لنرى كيف يتصورها العقل — أي عقل — وكيف تكون على احتمال واحد دون كل احتمال.

إنها لا تكون سواء في كل إنسان؛ لأنها إذا امتنع فيها خلاف القوة لم يمتنع فيها خلاف الزمن والعمر، ولا خلاف المكان والجسد، ولا خلاف الحركة والجمود.

وإذا امتنع فيها كل هذا الخلاف فليس هي بشيء، إذ ليست الموجودات التي لم تتمايز ولم تتنوع بأشياء يقبلها التصور، بل هي عدم ينقطع عن الوجود، أو كائن لا يتميز فيه ولا تكليف ولا حسنة ولا سيئة، ولا ثواب ولا عقاب.

فإذا وجد المخلوق حرًّا ذا إرادة فلا وجود له إلا بهذا الاختلاف في حكم العقل كيفما كان حكم النصوص.

وإذا قضى العقل بهذا دون سواء، فالعقل هو الذي يتصور إرادة الله، وإرادة الإنسان على احتمال واحد دون سواه.

وحكم الإيمان هنا وحكم العقل متماثلان، إذ كان كل ما عدا حرية "الإيمان" فرضًا غير معقول، بل غير موجود.

وخطأ شائع يوهم أناسًا من المتدينين والمفكرين أن الإيمان هو التسليم التام لأمور لا يقبلها العقل مع الوقوف مكتوف اليد، مغمض العينين، بلا اجتهاد ولا محاولة للفهم والنظر والتدبر.

وهذا إيمان لا يقبله الإسلام، لأنه هو الذي خاطب الناس بالعقل، ووضع لهم برهان تغريره إذا استلزم الأمر مع علمه بأنهم مؤمنون صادقون.

فالإيمان أساسًا هو نتيجة لعمل العقل واجتهاده، فيصل إلى الحق بإذن الله لبحثه وتنظره وتدبره.

إن الموجود السرمدي الكامل المطلق الكمال هو الإله الذي نريده بالإيمان،

وهذا هو حقه في إيمان العقلاء بوجوده وربوبيته.

ولكن العقل المحدود لا يحيط بالوجود المطلق الذي ليست له حدود.

أفيقول العقل إذن "لا إيمان بهذا الموجود المطلق لأنه هو الوحيد الذي يصح في العقل أن نؤمن به ونبحث عنه، ولا يصح في العقول إيمان بغيره؟".

العقل لا يقول هذا، والعقل إذا قال بضرورة الإيمان على هذه الصفة، وبهذا الحق، لم يكن قد ألغى عمله وأبطل وجوده، بل وهو يبلغ بذلك غاية عمله، فهو عقل يزيد عليه إيمان.

إن العقل الذي يزيد عليه الإيمان، هو العقل الذي خاطبه القرآن بالتكليف، أو هو العقل المؤمن الذي تعنيه النبوة بالتذكير والتبشير وهو المسؤول أن يستمع إلى النبي ﷺ المرسل من عالم الغيب، فلا معذرة له بعد حجة الغيب والتسليم وبعد حجة الشهادة والتفكير.

ومع التسليم بهذا الموجود الكامل، لا يعرف عقل الإنسان تكليفًا غير التكليف الذي بسطته نصوص القرآن فلا معنى للتكليف أصلا إن لم تكن فيه طاعة وحرية، ولا معنى للحرية من وراء إرادة الخالق وإرادة المخلوق.

فهذا هو المعنى الحقيقي للحياة، تكليف من الرب للعبد، وعقل العبد يدرك به الوجود السرمدي المطلق الكامل، فيدرك هذا التكليف فيطيع دون خروج عن أمره. لأنه — كما ذكرنا — لا معنى للتكليف أصلا إن لم تكن في طاعة وحرية، ويشذ الإنسان فيوجه طاقات عقله إلى الأعمال الدنيوية ويحاول تناسي الخالق فيغرق في الظلمات، ويتيه وسط الأدغال.

فالحياة الهنيئة: هي حياة العبد العارف الخاضع لربه، المراقب له جل جلاله، وبغيرها لا تسمى حياة.

الحياة قبل الموت(١)

الحياة قبل الموت: أعني بها حياة الإنسان على وجه هذه المعمورة.

الحياة البشرية مليئة بالمشكلات والأحداث والأعاصير، يشكو منها كثيرون

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

ويتلذذ بها آخرون.

ولكن وضع العلماء كثيرًا من المصنفات في ذمها، فهي "لا تدوم حالها، ولن يسلم من شر نـــزالها - إذا حلت أوحلت، وإذا دنت أودنت، وإذا كست أوكست".

السعيد من عرف حكايتها، وتأكد من حقيقتها، فأمضاها عملا واجتهادًا، عاشها جدا والتزامًا.

السعيد من كان معطاء للبشر، معطاء لنفسه، لأنه إن لم يعطهم فسوف يلقى منهم الكثير من السرور والمتاعب والأنانية تضرب صاحبها بيد من حديد، ولسوف يأخذ منها مراده بعطائه لهم، وعطائه لنفسه، فذلك وضع لها حيث أمرها الله، والعمل على تجنيبها عن موضع لا يرضاه الله، وإنما يكون هذا بمنهج أوله: الاستعداد للموت.

الاستعداد للموت:

عن ابن عمر قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس**».

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**»، يعني الموت.

قال العلماء: قوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت**» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة — نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه من تمنيها في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**» مع قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ما يكفي السامع له، ويشغل الناظر فيه، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرًا ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شـــيء ممـــا تـــرى تبقـــى بشاشته يبقـــى الإلـــه ويـــودي المـــال والولد
لم تغـــن عـــن هرمـــز يـــوما خزائنه والخلـــد قـــد حاولـــت عاد فما خلدوا
ولا ســـليمان إذا تجـــري الـــرياح له والإنـــس والجـــن فـــيما بيـــنها تـــرد
أيـــن الملـــوك الـــتي كانـــت لعزتها مـــن كـــل أوب إلـــيها وافـــد يفـــد
حـــوض هـــنالك مـــورود بلا كذب لا بـــد مـــن ورده يـــومًا كمـــا وردوا

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته، والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيًا عليه.

ذكر القرطبي في التذكرة: قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء، تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة، تذكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، في الموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مقرحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفزعًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات، فهل تفكرت يابن آدم في يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك، لقد أحسن من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [القصص: ٧٧].

أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا، الدار الآخرة، وهي الجنة، حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في الطين والماء والتجبر والبغي، فكأنهم

قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط

قال أبو عبيد: دان نفسه. أي أذلها واستعبدها، يقال: دنته أدينه، إذا ذللته فيذل نفسه في عبادة الله سبحانه وتعالى، عملا بعده لما بعد الموت، ولقاء الله تعالى، وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره، ويستعد لعاقبة أمره، بصالح عمله، والتنصل من سالف زلَله، وذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله، فهذا هو الزاد ليوم المعاد.

والعاجز ضد الكيس، والكيس: العاقل، والعاجز: المقصر في الأمور، فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له، وهذا هو الاغترار، فإن الله تعالى أمره ونهاه، وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل.

الالتزام الإسلامي:

الالتزام الإسلامي هو التنفيذ الفعلي لأحكام الله، ومراقبته دائمًا في كل صغيرة وكبيرة لئلا يقع المسلم في محظور ما.

وإنما يصل المسلم إلى التزام إسلامي صحيح إذا أخلص العمل وراقب ربه، وخاف، والخوف منزلة عظمى يبلغ بها العبد منازل الأخيار.

يقول أبو حامد الغزالي عن الخوف: "اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدًا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: "الخوف حجاب بين الله وبين العبد"، وقال أيضًا: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف.

وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك

نقصًا في الشهود وإنما دوام الشهود غاية المقامات؟ ولكن الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف: ينتظم أيضًا من علم وحال وعمل.

أما العلم - فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كم جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودًا، غضوبًا، منتقمًا، وكونه محفوظًا قريحته على الانتقام، خاليًا عمن يتشفع له في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون لا عن سبب جناية اقترفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع، فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالبًا، وإن كان افتراسه بالاختيار، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخوف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق، فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق، هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع ، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال ﷺ: **«أنا أخوفكم لله»**.

واعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، والمكروه: إما أن يكون مكروهًا في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهًا لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروهًا من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما

ليس مكروهًا لذاته بل لغيره، كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في الشهوات المألوفة أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها ، وتعزز بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل، فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه يواظب على الفطام عن العادة، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل قلبه عن الوساوس، وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف خاتمة، فإن الأمر فيه خطر.

وهكذا فإن الخوف يصل بالمسلم إلى درجة عندها يراقب ربه في كل دقيقة وجليلة، فينجو من عذابه، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ ، ٨٩]

الوصول إلى التوبة:

فإذا ما أخذ العباد في الاستعداد للموت، وراقب ربه بقلبه، وصل إلى منزلة التوبة التي عندها يؤنب نفسه ويحاسبها من آن لآخر، يقف كل يوم فيتذكر ويحاسب فيتوب.

ومنزلة التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به.

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن

حاجته إليها في البداية كذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]

قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث ألبتة، وأوقع اسم "الظالم" على من لم يتب، ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**يأيها الناس، توبوا إلى الله، فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**».

وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه {إذا جاء نصر الله والفتح} [النصر: ١] إلى آخرها، إلا قال فيها «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**».

ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هداية إلا بإعانته وتوحيده، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام وتضمنتها أبلغ تضمن.

فمن أعطى الفاتحة حقها - علمًا وشهودًا وحالا ومعرفة - علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني غي ينافي قصده وإرادته.

فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص

من سوء عواقبه أولا وآخرًا.

وقد عرف صاحب "المنازل" التوبة بأنها: "النظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار عن تداركه، مع تيقنك نظر الحق إليك".

قال ابن القيم معلقًا: "ويحتمل أن يريد الانخلاع من عصمة الله له، وأنك إنما ارتكبت الذنب بعد انخلاعك من توبة عصمته لك، فمتى عرف هذا الانخلاع وعظم خطره عنده، واشتدت عليه مفارقته وعلم أن الهلك كل الهلك بعده، وهو حقيقة الخذلان، فما خلى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك وخلى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفقك لما وجد الذنب إليك سبيلا".

فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك، ويخلي بينك وبينها، والتوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وله سبحانه في هذه التخلية بينك وبين الذنب وخذلانك حتى واقعته - حكم وأسرار، سنذكر بعضها.

وعلى الاحتمالين فترجع "التوبة" إلى اعتصامك به وعصمته لك.

قوله: "وفرحك عند الظفر به".

الفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها، والجهل بقدر من عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها، ففرحه بها غطى عليه ذلك كله، وفرحه بها أشد ضررًا عليه من مواقعتها، والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدًا ولا يكمل بها فرحه ولا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور بها، وليبك على موت قلبه، فإنه لو كان حيًا لأحزنه ارتكابه للذنب، وغاظه وصعب عليه، ولا يحس القلب بذلك، فحيث لم يحس به فما لجرح بميت إيلام.

وهذه النكتة في الذنب قل من يهتدي إليها أو ينتبه لها، وهي موضع مخوف جدًا، مترام إلى هلاك إن لم يتدارك بثلاثة أشياء: خوف من الموافاة عليه قبل التوبة، ندم على ما فاته من الله بمخالفة أمره، وتشمير للجد في استدراكه.

قوله: "وقعودك على الإصرار عن تداركه".

الإصرار: هو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب: أنه يوجب ذنبًا

أكبر منه. ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يستحكم الهلاك.

فالإصرار على المعصية معصية أخرى، والقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضا بها، وطمأنينة إليها،وذلك علامة الهلاك، وأشد من هذا كله المجاهرة بالذنب، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن بنظره إليه وأقدم على المجاهرة فعظيم، وإن لم يؤمن بنظره إليه واطلاعه عليه فكفر، وانسلاخ من الإسلام بالكلية، فهو دائر بين الأمرين: بين قلة الحياء، ومجاهرة نظر الله وبين الكفر والانسلاخ من الدين، فلذلك يشترط في صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرًا – ولا يزال – إليه مطلعًا عليه، يراه جهرة عند مواقعة الذنب؛ لأن التوبة لا تصح إلا من مسلم، إلا أن يكون كافرًا بنظر الله إليه جاحدًا له، فتوبته دخوله في الإسلام، وإقراره بصفات الرب جل جلاله".

أما عن شروط التوبة فهي ثلاثة: الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم.

فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة، ولما كان متوقفًا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له.

أما الندم، فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه، وفي المسند "الندم توبة".

وأما الإقلاع: فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

وأما الاعتذار: ففيه إشكال، فإن من الناس من يقول: من تمام التوبة ترك الاعتذار، فإن الاعتذار محاجة عن الجناية، وترك الاعتذار اعتراف بها، ولا تصح التوبة إلا بعد الاعتراف، وفي ذلك يقول بعض الشعراء لرئيسه، وقد عتب عليه في شيء:

وما قابلت عتبك باعتذار ولكني أقول كما تقول
وأطرق باب عفوك بانكسار ويحكم بيننا الخلق الجميل

فلما سمع الرئيس مقالته قام وركب إليه من فوره، وأزال عتبه عليه، فتمام الاعتراف ترك الاعتذار، بأن يكون في قلبه ولسانه: اللهم لا براءة لي من ذنب

فأعتذر، ولا قوة لي فأنتصر، ولكني مذنب مستغفر، اللهم لا عذر لي وإنما هو محض حقك، ومحض جنايتي، فإن عفوت وإلا فالحق لك.

وقد قال قائل "إن من حقائق التوبة: طلب أعذار الخليقة".

والمعروف أن طلب أعذارهم في الجناية عائد على التوبة بالنقص والإبطال.

المعنى الثاني: أن يكون مراده: إقامة أعذارهم في إساءتهم إليك، وجنايتهم عليك، والنظر في ذلك إلى الأقدار، وأن أفعالهم بمنــــزلة حركات الأشجار، فتعذرهم بالقدر في حقك، لا في حق ربك، فهذا حق، وهو من شأن سادات العارفين، وخواص أولياء الله الكمل، يفني أحدهم عن حقه، ويستوفي حق ربه، ينظر في التفريط في حقه، وفي الجناية عليه إلى القدر، وينظر في حق الله إلى الأمر، فيطلب لهم العذر في حقه ويمحو عنهم العذر ويطلبه في حق الله.

وهكذا كان حال نبينا ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله.

وقال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لم تصنعه؟ وكان إذا عاتبني بعض أهله يقول: "دعوه فلو قضى شيء لكان".

فانظر إلى نظره إلى القدر عند حقه، وقيامه بالأمر، وقطع يد المرأة عند حق الله، ولم يقل هناك: القدر حكم عليها.

وكذلك عزمه على تحريق المتخلفين عن الصلاة معه في الجماعة ولم يقل لو قضي لهم الصلاة لكانت.

وكذلك رجمه المرأة والرجل لما زنيا، ولم يحتج في ذلك لهما بالقدر.

وكذلك فعله في العرنيين الذين قتلوا راعيه، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، ولم يقل: قدر عليهم، بل أمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمرت أعينهم، وتركوا في الحرة يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا عطشًا إلى غير ذلك مما يطول بسطه.

وكان رسول الله ﷺ أعرف بالله وبحقه من أن يحتج بالقدر على ترك أمره،

ويقبل الاحتجاج به من أحد، ومع هذا فعذر أنسًا بالقدر في حقه، وقال: "لو قضى شيء لكان" فصلوات الله وسلامه عليه.

فهذا المعنى الثاني - وإن كان حقًا لكن ليس هو من شرائط التوبة، ولا من أركانها، ولا له تعلق بها، فإنه لو لم يقم أعذارهم في إساءتهم إليه لما نقص ذلك شيئًا من توبته، فما أراد إلا المعنى الأول، وقد عرفت ما فيه.

ولا ريب أن صاحب المنازل إنما أراد أن يعذرهم بالقدر، ويقيم عليهم حكم الأمر، فينظر بعين القدر ويعذرهم بها، وينظر بعين الأمر ويحملهم عليها بموجبها، فلا يحجبه مطالعة الأمر عن القدر ولا ملاحظة القدر عن الأمر.

فهذا - وإن كان حقًا لا بد منه - فلا وجه لعذرهم وليس عذرهم من التوبة في شيء ألبتة، ولو كان صحيحًا - فضلا عن كونه باطلا - فلا هم معذورون، ولا طلب عذرهم من حقائق التوبة.

ولا سيما أنه يدخل في هذا: عذر عباد الأصنام والأوثان، وقتلة الأنبياء، وفرعون، هامان، ونمرود بن كنعان، وأبو جهل وأصحابه، وإبليس وجنوده، وكل كافر وظالم، ومتعدٍ حدودَ الله، ومنتهك محارم الله، فإنهم كلهم تحت القدر، وهم من الخليقة أفيكون عذر هؤلاء من حقيقة التوبة؟.

فهذا ما أوجبه السير في طريق الفناء في توحيد الربوبية، وجعله الغاية التي يشمر إليها السالكون.

ثم أي موافقة للمحبوب في عذر من لا يعذره هو؟ بل قد اشتد غضبه عليه، وأبعده عن قربه، وطرده عن بابه، ومقته أشد المقت؟ فإذا عذرته، فهل يكون عذره إلا تعرضًا لسخط المحبوب، وسقوطًا من عينه؟.

قال صاحب المنازل: "وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تميز التقية من العزة، ونسيان الجناية، والتوبة من التوبة"؛ لأن التائب داخل في "الجميع" من قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، فأمر التائب بالتوبة.

قوله: تمييز التقية من العزة: أن يكون المقصود من التوبة تقوى الله، وهو خوفه وخشيته، والقيام بأمره، واجتناب نهيه، فيعمل بطاعة الله على نور من الله،

يرجو ثواب الله، ويترك معصية الله على نور من الله، يخاف عقاب الله، لا يريد بذلك عز الطاعة.

فإن للطاعة وللتوبة عزًّا ظاهرًا وباطنًا، فلا يكون مقصوده العزة، وإن علم أنها تحصل له بالطاعة والتوبة، فمن تاب لأجل العزة فتوبته مدخولة.

وفي بعض الآثار "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إلي فقد اكتسبت به العزة، ولكن ما عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وما لك علي بعد هذا؟ قال: هل واليت في وليًّا، أو عاديت في عدوًا؟".

يعني أن الراحة والعز حظك، وقد نلتهما بالزهد والعبادة، ولكن أين القيام بحقي، وهو الموالاة في، والمعاداة في؟.

وكثير من الصادقين قد يلتبس عليهم حال نفوسهم في ذلك ولا يميزه إلا أولو البصائر منهم وهم في الصادقين كالصادقين في الناس.

وأما نسيان الجناية: فهذا موضوع تفصيل، فقد اختلف فيه أرباب الطريق، فمنهم: من رأى الاشتغال عن ذكر الذنب والإعراض عنه صفحًا، فصفاء الوقت مع الله تعالى أولى بالتائب وأنفع له، ولهذا قيل: ذكر الجفا في وقت الصفا جفا.

ومنهم: من رأى أن الأولى أن لا ينسى ذنبه، بل لا يزال جاعلا له نصب عينيه يلاحظه كل وقت، فيحدث له ذلك انكسارًا وذلا وخضوعًا، أنفع له من جمعيته وصفاء وقته.

قالوا: ولهذا نقش داود الخطيئة في كفه، وكان ينظر إليها ويبكي.

قالوا: ومتى تهت عن الطريق فارجع إلى ذنبك تجد الطريق.

ومعنى ذلك: أنك إذا رجعت إلى ذنبك انكسرت وذللت، وأطرقت بين يدي الله عز وجل، خاشعًا ذليلا خائفًا، وهذه طريق العبودية.

والصواب: التفصيل في هذه المسألة، وهو أن يقال: إذا أحس العبد من نفسه حال الصفا غيمًا من الدعوى، ورقيقة من العجب ونسيان المنة، وخطفته نفسه عن حقيقة فقره ونقصه، فذكر الذنب أنفع له، وإن كان في حال مشاهدته منة الله عليه، وكان افتقاره إليه، وفناؤه به، وعدم استغنائه عنه في ذرة من ذراته، وقد خالط قلبه

حال المحبة والفرح بالله والأنس به والشوق إلى لقائه، وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه. وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات، فنسيان الجناية والإعراض عن الذنب: أولى به وأنفع، فإنه متى رجع إلى ذكر الجناية توارى عنه ذلك، ونزل من علو إلى أسفل، ومن حال إلى حال بينهما من التفاوت أبعد مما بين السماء والأرض، وهذا من حسد الشيطان له، أراد أن يحطه عن مقامه، وسير قلبه في ميادين المعرفة والمحبة، والشوق إلى وحشة الإساءة، وحصر الجناية.

والأول يكون شهوده لجنايته منة من الله، من بها عليه، ليؤمنه بها من مقت الدعوى، وحجاب الكبر الخفي الذي لا يشعر به، فهذا لون، وهذا لون.

وهذا المحل فيه أمر وراء العبارة، وبالله التوفيق، وهو المستعان.

وأما التوبة من التوبة: فهي من المجملات التي يراد بها حق وباطل، ويكون مراد المتكلم بها حقًا، فيطلقه من غير تمييز.

فإن التوبة من أعظم الحسنات، والتوبة من الحسنات من أعظم السيئات، وأقبح الجنايات، بل هي كفر، إن أخذت على ظاهرها، ولا فرق بين التوبة من التوبة، والتوبة من الإسلام والإيمان، فهل يسوغ أن يقال بالتوبة من الإيمان؟.

ولكن مرادهم: أن يتوب من رؤية التوبة، فإنها إنما حصلت له بمنة الله ومشيئته، ولو خُلِّي ونفسه لم تسمح بها ألبتة، فإذا رآها وشهد صدورها منه ووقعها به، وغفل عن منة الله عليه: تاب من هذه الرؤية والغفلة، ولكن هذه الرؤية والغفلة ليست هي التوبة، ولا جزءًا منها، ولا شرطًا لها، بل هي جناية أخرى عرضت له بعد التوبة.

فيتوب من هذه الجناية، كما تاب من الجناية الأولى، فما تاب إلا من ذنب، أولا وآخرًا، فيكف يقال: يتوب من التوبة؟.

هذا كلام غير معقول، ولا هو صحيح في نفسه، بل قد يكون في التوبة علة ونقص، وآفة تمنع كمالها، وقد يشعر صاحبها بذلك، وقد لا يشعر به، فيتوب نقصان التوبة وعدم توفيتها حقها.

وهذا أيضًا ليس من التوبة، وإنما توبة من عدم التوبة، فإن القدر الموجود منها طاعة لا يتاب منها، والقدر المفقود: هو الذي يحتاج أن يتوب منه.

فالتوبة من التوبة إنما تعقل على أحد هذين الوجهين.

نعم، ههنا وجه ثالث لطيف جدًّا، وهو أن من حصل له مقام أنس بالله وصفا وقته مع الله، بحيث يكون إقباله على الله واشتغاله بذكر آلائه وأسمائه وصفاته أنفع شيء له، حتى نزل عن هذه الحالة، واشتغل بالتوبة من جناية سالفة قد تاب منها، وطالع الجناية واشتغل بها عن الله، فهذا نقص ينبغي له أن يتوب إلى الله منه، وهو توبة من هذه التوبة؛ لأنه نزول من الصفاء إلى الجفاء، والله أعلم.

هل تقدم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها عنها؟(١).

اختلف الناس في هذه المسألة على فريقين:

فقال من ذهب إلى تقدم خلقها على خلق البدن: قال الله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ١١].

قالوا: ثم للترتيب والمهلة، فقد تضمنت الآية أن خلقها مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم، ومن المعلوم قطعًا أن أبداننا حادثة بعد ذلك، فعلم أنها الأرواح، قالوا: ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قالوا: وهذا الاستنطاق والإشهاد إنما كان لأرواحنا، إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة.

ففي الموطأ (حدثنا) مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: «**خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج من ذريته فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون**»، فقال رجل: يا رسول

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ : «**إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار**»[1].

واحتجوا أيضًا بحديث عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»، فهذا بعض ما احتج به هؤلاء.

قال الآخرون: الكلام معكم في مقامين:

أحدهما: ذكر الدليل على الأرواح أنها خلقت بعد خلق الأبدان،

الثاني: جواب عما استدللتم به.

وأما المقام الأول فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا خطاب للإنسان الذي هو روح وبدن فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين، وأصرح منه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ﴾ [النساء: ١]، الآية، وهذا صريح في أن خلق جملة النوع الإنساني بعد خلق أصله.

فإن قيل: فهذا لا ينفي تقدم خلق الأروح على أجسادها، وإن خلقت بعد خلق أبي البشر كما دلت عليه الآثار المتقدمة.

قيل: غاية هذه الآثار تدل بعد صحتها وثبوتها على أن بارئها وفاطرها سبحانه صور النسم (الروح) وقدر خلقها وآجالها وأعمالها، واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا تدل على أنها خلقت خلقًا مستقرًا ثم استمرت موجودة حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل فيها إلى الأبدان جملة كما قاله ابن حزم، فهل تحمل الآثار ما لا طاقة لنا به؟ نعم الرب سبحانه وتعالى يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به

---

(١) أخرجه مالك، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

التقدير أولا فيجيء الخلق الخارجي مطابقًا للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته، فإنه قال الجرجاني: ليس بين قول النبي ﷺ: «**إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته**»، وبين الآية اختلاف بحمد الله، لأنه عز وجل إذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته، لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من بعض، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

أي عن الميثاق المأخوذ عليهم، فإذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودًا عليهم بأخذ الميثاق، قال: وفي هذا دليل على التفسير الذي جاءت به الرواية من أن الله تعالى قال للملائكة: اشهدوا فقالوا: شهدنا، قال: وزعم بعض أهل العلم أن الميثاق إنما أخذ على الأرواح دون الأجساد، إن الأرواح هي التي تعقل وتفهم ولها الثواب وعليها العقاب، والأجساد أموات لا تعقل ولا تفهم، قال: وكان إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا المعنى، وذكر أنه قول أبي هريرة، قال إسحاق: وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد استنطقهم وأشهدهم، قال الجرجاني: واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والأجساد قد بليت وضلت في الأرض، والأرواح ترزق وتفرح، وهي التي تلذ وتألم وتفرح وتحزن وتعرف وتفكر، وبيان ذلك في الأحلام موجود أن الإنسان يصبح وأثر لذة الفرح وألم الحزن باق في نفسه مما تلاقي الروح دون الجسد، قال: وحاصل الفائدة في هذا الفصل - أنه سبحانه قد أثبت الحجة على كل النفوس ممن يبلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم، وبالرسل المنفذة إليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ بالمثلات المنقولة إليهم أخبارها، غير أنه عز وجل لا يطالب أحدا منهم من الطاعة إلا بقدر ما لزمه من الحجة، وركب فيهم من القدرة، وآتاهم من الأدلة وبين سبحانه ما هو عاقل في البالغين الذي أدركوا الأمر والنهي، وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين، إلا أنا نعلم أنه عدل لا يجور في حكمه، وحكيم لا تفاوت في صنعه، وقادر لا يسأل عما يفعل له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

ويفصل ابن القيم فيقول في غاية الآية: "وإنما غايتها أن تدل على إخراج

صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم إلى أصلهم إن صح الخبر بذلك، والذي صح إنما هو إثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد".

وأما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [الأعراف: ١١].

فما أليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتيب الأمر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا، والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح، وذلك متأخر على خلق آدم، ولهذا قال ابن عباس: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١] يعني آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١] لذريته، ومثال لهذا ما قاله مجاهد: ﴿ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ يعني آدم و﴿ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ في ظهر آدم، وإنما قال: ﴿ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وإنما ضربت سيدهم.

واختار أبو عبيد في هذه الآية قول مجاهد لقوله تعالى بعد ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ [الأعراف: ١١].

وكان قوله تعالى للملائكة ﴿ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم في الأرحام، وثم توجب التراخي والترتيب، فمن جعل الخلق والتصوير في هذه الآية لأولاد آدم في الأرحام، يكون قد راعى حكم ثم في الترتيب إلا أن يأخذ بقول الأخفش فإنه يقول: ثم ههنا في معنى الواو، قال الزجاج، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه، وجميع من يوثق بعلمه، قال أبو عبيد: وقد بينه مجاهد حين قال: إن الله تعالى خلق ولد آدم وصورهم في ظهره ثم أمر بعد ذلك بالسجود، قال: وهذا بين في الحديث وهو أنه أخرجهم من ظهره في صور الذر.

قلت: والقرآن يفسر بعضه بعضًا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [الحج: ٥].

فأوقع الخلق من تراب عليهم وهو لأبيهم آدم إذ هو أصلهم، والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد آباؤهم كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥].

وأما الدليل على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها فمن وجوه:

أحدها: أن خلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا: فإن الله سبحانه أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض ثم خمرها حتى صارت طينًا ثم صوره، ثم نفخ في الروح بعد أن صوره، فلما دخلت الروح فيه صار لحمًا ودمًا حيًا ناطقًا، ففي تفسير أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ: لما فرغ عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس ملكًا على سماء الدنيا، وكان من الخزان قبله من ملائكة يقال لهم: الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزان أهل الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازنًا، فوقع في صدره وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزيد لي وفي لفظ لمزية لي على الملائكة، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

قالوا: ربنا وما يكون حال الخليفة وما يصنعون في الأرض؟ قال الله: تكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضًا، قالوا: ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

يعني من شأن إبليس، فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تقبض مني، فرجع ولم يأخذ (وقال: رب إنها تأبى، وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمرك، فأخذ إبليس من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد)(١)، فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء، ولذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قبل الرب عز وجل حتى عاد طينًا لازبًا، اللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

---

(١) ما بين القوسين كما هو بالأصل، ويبدو أن هنا قد وقع سقط في الكلام فإن الآخذ من الأرض هو ملك الموت، كما هو معلوم، والله أعلم.

فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا، فكان جسدا من طين أربعين سنة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم فزعًا إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار، تكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤].

ويقول: لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: يرحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وذكر باقي الحديث.

وقال يونس بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهب، حدثنا ابن زيد، قال: لما خلق الله النار ذعرت الملائكة منها ذعرًا شديدًا وقالوا: ربنا لم خلقت هذه النار؟ ولأي شيء خلقتها؟ قال: لمن عصاني من خلقي. ولم يكن لله يومئذ خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق، إنما خلق آدم بعد ذلك، وقرأ قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ليت ذلك الحين! ثم قال: وقالت الملائكة: ويأتي علينا دهر نعصيك فيه؟ لا يرون له خلقًا غيرهم، قال: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقًا وأجعل فيها خليفة، وذكر الحديث. قال ابن إسحاق: فيقال والله أعلم: خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عامًا قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسه نار، فيقال والله أعلم: لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال: الحمد لله، وذكر الحديث.

والقرآن والحديث والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده، فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح، ولو كانت روحه قبل بدنه مع جملة

أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه، ولما تعجبت من خلق النار، وقالت: لأي شيء خلقتها؟ وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث.

ولما كانت أرواح الكفار كلها تبعًا لإبليس، بل كانت الأرواح الكافرة مخلوقة قبل كفره، فإن الله سبحانه إنما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه، ولم يكن قبل ذلك كافرًا، فكيف تكون الأرواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن كافرًا إذ ذاك؟ وهل حصل الكفر للأرواح إلا بتزيينه وإغوائه؟ فالأرواح الكافرة إنما حدثت بعد كفره إلا أن يقال: كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه، والذي احتجوا به على خلق الأرواح يخالف ذلك.

وفي حديث أبي هريرة في تخليق العالم الإخبار عن خلق أجناس العالم تأخر خلق آدم إلى يوم الجمعة، ولو كانت الأرواح مخلوقة قبل الأجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام، فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الأيام علم أن خلقها تابع لخلق الذرية، وأن خلق آدم وحده هو الذي وقع في تلك الأيام الستة، وأما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد المعاين.

ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما.

ومن الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها – ثم تنتقل إلى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما.

وإذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهي في البدن على التفصيل وتكلم ما كانت عليه ههنا مع أنها اكتسبت بالبدن أمورًا عاقتها عن كثير من كمالها – فلأن تشعر بحالها الأول وهي غير معوقة هناك بطريق الأولى، إلا أن يقال: تعلقها بالبدن واشتغالها بتدبيره منعها من شعورها بحالها الأول، فيقال: هب أنه منعها من شعورها به على التفصيل والكمال، فهل يمنعها عن أدنى شعور بوجه ما مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن؟ ! ومعلوم أن تعلقها بالبدن لم يمنعها عن الشعور بأول أحوالها وهي في البدن، فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك؟

وأيضًا فإنها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت عالمة حية عاقلة، فلما تعلقت

بالبدن سلبت ذلك كله، ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئًا فشيئًا، وهذا لو كان لكان أعجب الأمور أن تكون الروح كاملة والنقل والفطرة مما يدل على هذا؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

فهذه الحالة التي أخرجنا عليها هي حالنا الأصلية، والعلم والعقل والمعرفة والقوة طارئ علينا حادث فينا بعد أن لم يكن، ولم نكن نعلم قبل ذلك شيئًا ألبتة إذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به.

وأيضًا فلو كانت مخلوقة قبل الأجساد، وهي علي ما هي الآن من طيب وخبث وكفر وإيمان وخير وشر، لكان ذلك ثابتًا لها قبل الأعمال، وهي إنما اكتسبت هذه الصفات والهيئات من أعمالها التي سعت في طلبها واستعانت عليها بالبدن، فلم تكن لتتصف بتلك الهيئات والصفات قبل قيامها بالأبدان التي بها عملت تلك الأعمال.

وإن كان قدر لها قبل إيجادها ذلك ثم خرجت إلى هذه الدار على ما قدر لها فنحن لا ننكر الكتاب والقدر السابق لها من الله، ولو دل دليل على أنها خلقت جملة ثم أودعت في مكان حية عالمة ناطقة ثم كل وقت تبرز إلى أبدانها شيئًا فشيئًا، لكنا أول قائل به، فالله سبحانه على كل شيء قدير، ولكن لا نخبر عنه خلقًا وأمرًا إلا بما أخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يخبر عنه بذلك، وإنما أخبر بما في الحديث الصحيح، أن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك وينفخ الروح فيه ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه، وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك الزمان الطويل، ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، وتأمل ما دل عليه النص من هذين المعنيين، وبالله التوفيق.

هل تموت الروح أم يموت البدن وحده؟(١)

اختلف الناس في هذه المسألة فمنهم من قال: تموت وتذوق الموت لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت على أنه لا يبقى إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وإذا كانت الملائكة ستموت فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لا نقطع عنها النعيم والعذاب، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب.

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف:

تنازع الناس لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قيل: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟ قيل: قد قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فقد استثنى الله سبحانه بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق. فقيل: هم الشهداء وقيل: هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

---

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين، وغيرهم، وفي النار من أهل العذاب وخزنتها.

هل تتلاقى أرواح الأموات؟[(١)]

ذكر ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب شديد قال: فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية، قال: فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شرًا قالوا: اللهم راجع بعبدك.

وعن الحسن البصري ﷺ قال: إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: أو لم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ما جاءنا ولا مر بنا: سلك به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية.

وقال وهب بن منبه: إن لله في السماء السابعة دارًا يقال لها: البيضاء، تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا، تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله إذا قدم إليهم.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم عند ربهم يرزقون، وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون.

الثاني: أنهم إذا استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم بهم.

الثالث: أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضًا مثل

---

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

يتباشرون، وقد تواترت المرائي بذلك، فمنها: ما ذكره صالح بن بشير قال: رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له: يرحمك الله، لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، فقال: أما والله لقد أعقبني ذلك فرحًا طويلا وسرورًا دائمًا، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن السري في قوله: ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾

قال: يتوفاها في منامها، فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران، ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس.

قال ابن القيم معلقًا: وهو أحد القولين في الآية، وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم، والمعنى على هذا القول: أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها مثل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى.

والقول الثاني في الآية: إن الممسكة والمرسلة في الآية كلتاهما توفيت وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى أجلها لتستكمله.

واختار شيخ الإسلام هذا القول، وقال عليه يدل القرآن والسنة، قال: فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها النوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال، بل هي قسم ثالث.

ثم قال ابن القيم: والذي يترجح هو القول الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفاتين:

وفاة كبرى، وهي وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم، وقسم الأرواح قسمين: قسما قضى عليها الموت فأمسكها عنده وهي التي توفاها وفاة الموت، وقسمًا لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها، وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولا فهذه ممسكة وهذه مرسلة، وأخبر أن التي لم تمت هي التي توفاها في منامها، فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين: وفاة موت ووفاة نوم لم يقل: ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ فإنها من حين قبضت ماتت، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك: ﴿ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾. بعد أن توفاها وفاة النوم، فهو سبحانه توفاها أولا وفاة نوم ثم قضى عليها الموت بعد ذلك؟ والتحقيق أن الآية تتناول النوعين وفاتين، وفاة نوم، ووفاة موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء أمات في النوم أم في اليقظة، ويرسل نفس من لم يمت فقوله: ﴿ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام.

وقد دل على التقاء أرواح الأحياء الأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبر بدين عليه، وذكر له شواهده وأدلته.

وأبلغ من هذا أنه بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبرها، وربما أخبره بأمور يقطع الجن أنه لم يكن يعرفها غيره.

قال سعيد بن المسيب[1]: التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، فقال أحدهما للآخر: إن مت قبل فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك، وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال الآخر: وهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قال: نعم، أرواحهم

---

(١) سعيد بن المسيب: كان رحمه الله عظيم الشأن، رفيع القدر، عزيز القول حميد الصدر، وكان سيد التابعين، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، سمع سعد بن أبي وقاص، وأبا هريرة وغيرهما، توفي سنة ٩٤ هـ، وقيل سنة ١٠٥ والله أعلم.

في الجنة تذهب حيث تشاء، قال: فمات فلان فلقيه في المنام، فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط.

وقال العباس بن عبد المطلب: كنت أشتهي أن أرى عمر في المنام، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي، إن كان عرشي ليهد لولا أن لقيت رؤوفا رحيمًا.

ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين ليت شعري إلى أي الحالات صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغي والله ما استرحت إلا الآن، قال: قلت: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهدى في جنة عدن.

وقال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت ما يمنعك أن ترد السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد عليك السلام؟ فقلت له: ماذا لقيت بعد ذلك؟ لقيت والله أهوالا وزلازل عظامًا شدادًا، قال: قلت له: فما كان بعد ذلك؟ قال وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا عنا السيئات، وضمن عنا التبعات، قال: ثم شهق مالك وخر مغشيًّا عليه، قال: فلبث بعد ذلك أيامًا مريضًا، ثم انصدع قلبه فمات.

وقال أبو يعقوب القاري: رأيت في منامي رجلا آدمًا طوالا والناس يتبعونه قلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني(١)، فابتعته فقلت: أوص يرحمك الله، فكلح(٢)، في وجهي، فقلت: مسترشد فأرشدني رحمك الله، فأقبل علي فقال: ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولى وتركني.

يقول ابن القيم في هذا الباب: وهذا باب طويل جدًّا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، وقلت: هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره، فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، وأخبره بمال دفنه، أو

---

(١) أويس القرني: عاصر عهد رسول الله ﷺ ، ولكنه لم يره، وقدم مكة بعد وفاته، وكان زاهدًا ورعًا، استشهد بوقعة صفين.

(٢) كلح: أي أعرض عنه.

حذره من أمر يقع أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبره، الواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذاك عجائب.

وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة ولا أمارة بوجه ما، ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك.

وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرائي الناس إنما هي مجرد صورة اعتقادهم المطابق وغير المطابق.

فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع: رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس[١].

والرؤيا الصحيحة أقسام منها: إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

ومنها: مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها.

ومنها: التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم.

ومنها: عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له.

ومنها: دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات.

وهذا موضع اضطراب فيه الناس (فمن قائل): إن العلوم كلها كامنة في النفس وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها.

وهذا فيه حق وباطل، فلا يرد كله ولا يقبل كله، فإن تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد، لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله، وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية وتفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء

---

(١) انظر تفسير الأحلام لابن سيرين والنابلسي، تحقيق المؤلف.

والصفات والأفعال وغير ذلك، وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية.

ومن قائل: إن هذه المرائي علوم علقها الله في النفس ابتداء بلا سبب وهذا قول منكري الأسباب، والحكم القوي وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة.

ومن قائل: عن الرؤيا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداد ألفه على يد ملك الرؤيا ومرة يكون مثلا مضروبًا، ومرة يكون نفس ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه.

وهذا أقرب من القولين قبله، ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه، بل لها أسباب أخرى كما تقدم.

فقد ثبت أن الأرواح تتلاقى، لأنها جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف. وما تناكر منها اختلف، كما تقدم.

نزل الناس قديمًا وحديثًا تعرف هذا وتشاهده.

قال جميل بن معمر العنبري:

أظل نهاري مستهامًا وتلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

فإن قيل: فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه، وربما كان بينهما مسافة بعيدة، ويكون المرئي يقظان روحه لم تفارق جسده، فكيف التقت روحاهما؟
قيل: هذا إما أن يكون مثلا مضروبًا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه كما قال حبيب بن أوس:

سقيمًا لطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة إحداهما بالأخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب.

والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم، كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات.

قال بعض السلف: «إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر، فيأتيها ملك الريا بما هو لاقيها من خير أو شر قال: وقد وكل الله بالرؤيا لصادقة ملكًا

وعلمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها، فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته، فتارة يبشره بخير قدمه ويقدمه وينذر عن معصية ارتكبها أو هم بها، ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها، ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانًا وتذكيرًا وتعريفًا وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها، وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهوه وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رئي له، وكم ممن استغنى وأصاب كنـــزا دينًا عن منام».

فهذا عمير بن وهب أتي في منامه فقيل له: قم إلى موضع كذا من البيت فاحفره تجد مال أبيك، وكان أبوه قد دفن مالا ومات ولم يوص به، فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم وتبرًا كثيرًا، فقالت له الصغرى من بناته: يا أبت ربنا هذا الذي أحيانا بدينه خير من هبل والعزى، ولولا أنه كذلك ما ورثك هذا المال، وإنما عبدته أيامًا قلائل.

يقول ابن القيم: وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له في منامه فكثير جدًا، وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب.

وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها، وبالله التوفيق.

هل تقبض الروح وهي تعرف حالها من الإيمان؟(١)

نعم، لا تقبض الروح حتى تبشر وأنه يصعد بها.

قال مجاهد: إن المؤمن ليبشر صلاح ولده من بعده لتقر عينه.

وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك

(١) كتابنا الحياة بعد الموت.

يقرئك السلام.

قال ابن المبارك قال: أخبرنا حيوة قال: أخبرنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢].

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى، فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر**» خرجه كذلك ابن أبي حاتم.

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فقالت عائشة - أو بعض أزواجه - : إنا لنكره الموت، فقال: «**ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**».

وقد خرج البزار في "مسنده" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل**

روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] مرضيًا عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك وطويت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين. وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة، فتنـزع روحه انتزاعًا شديدًا، ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة، ويطوي عليها المسح ويذهب بها إلى سجين».

قال القرطبي معلقًا: فقوله في روح المؤمن: يذهب بها إلى عليين، هو معنى ما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التي فيها الله، والأحاديث يفسر بعضها بعضًا ولا إشكال.

وذكرته عند بعض من يتسم بالعلم والفقه والقضاء فلم يكن منه إلا أن بادر بلعن من رواه ونقله فظن منه التجسيم، قلت له: الحديث صحيح، والذين رووه هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وغيرها من أمور الدين، فإن كذبوا هنا كذبوا هنالك، وإن صدقوا هنا صدقوا هنالك، والتأويل مزيل ما توهمته، وكان في ذلك كلام".

تلاقي أرواح الموتى وأرواح الأحياء في النوم(١)

تقدم فيه أثر سلمان، وعبد الله بن سلام. قال ابن القيم: وشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن تحصى، والحس الواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات، كما تتلاقى أرواح الأحياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]. وأخرج بقي بن مخلد وابن منده في كتاب الروح، والطبراني في الأوسط من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم،

---

(١) شرح الصدور للسيوطي رحمه الله.

فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]قال: يتوفاها في منامها، فتلتقي روح الحي وروح الميت، فيتذاكران ويتعارفان، فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس.

وخرج جويبر عن ابن عباس في الآية قال: سبب ممدود ما بين المشرق والمغرب بين السماء والأرض، فأرواح الموتى وأرواح الأحياء إلى ذلك السبب، فتتعلق النفس الميتة بالنفس الحية، فإذا أذن لهذه الحية بالانصراف إلى جسدها لتستكمل رزقها أمسكت النفس الميتة، وأرسلت الأخرى.

وفي الفردوس ولم يسنده ولده من حديث أبي الدرداء. «الميت إذا مات دير به حول داره شهرًا وحول قبره سنة، ثم يرفع إلى السبب الذي تلتقي فيه أرواح الأحياء والأموات».

قال ابن القيم: ومن الدليل على تلاقي أرواحهم أن الحي يرى الميت في منامه فيخبره الميت بأمور غيب، ثم توجد كما أخبر. قلت: قال أبو محمد خلف بن عمرو العكبري في فوائده: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن رافع بن دريح العكبري، حدثنا إسماعيل بن بهرام، حدثنا الأشجع عن شيخ، عن ابن سيرين قال: ما حدثك الميت بشيء في النوم فهو حق لأنه في دار الحق[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن الجوزي في كتاب عيون الحكايات بسنده، عن شهر بن حوشب: أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين، فقال الصعب لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه، فليتراءى له. قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم، فمات الصعب، فرآه عوف في المنام، فقال: ما فعل بك؟ قال: غفر لي بعد المشاق. قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه. قلت ما هذه؟ قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي، فهن في قرني فأعطوه إياها، واعلم أنه لم يحدث في أهلي

---

(١) قول ابن سيرين هذا فيه نظر، إذ قد يتمثل الشيطان في صورة إنسان حي أو ميت باستثناء الرسول ﷺ لقوله: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي».

حدث بعد موتي، إلا قد لحق بي خبره، حتى هرة ماتت منذ أيام، وأعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام، فاستوصوا بها معروفًا.

قال عوف: فلما أصبحت أتيت أهله، فنظرت إلى القرن، وهو بالقاف، محركًا جعبة النشاب، فأنزلته، فإذا فيه عشرة دنانير في صرة، فبعثت إلى اليهودي فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحم الله صعبًا كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه، فقال: هي والله بأعيانها، فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب؟ قالوا: نعم. حدث فينا كذا وكذا. فما زالوا يذكرون حتى ذكروا موت الهرة، قلت: أين ابنة أخي؟ قال: تلعب فأتيت بها، فمسستها، فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفًا فماتت لستة أيام(١).

وأخرج ابن المبارك في الزهد، عن عطية بن قيس، عن عوف بن مالك الأشجعي: أنه كان مواخيًا لرجل يقال له محلم، ثم إن محلمًا حضرته الوفاة، فأقبل عليه عوف، فقال محلم: إذا أنت وردت، فارجع إلينا، فأخبرنا بالذي صنع بك. قال محلم: إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقبض محلم، ثم ثوى عوف بعده عامًا فرآه في منامه، فقال يا محلم! ما صنعت وما صنع بك؟ فقال له وفينا أجورنا. قال: كلكم؟ قال: كلنا إلا الأحراض آخر من هلكوا في الشر الذين يشار إليهم بالأصابع، والله لقد وفيت أجري كله، حتى وفيت أجر هرة ضلت لأهلي قبل موتي بليلة، فأصبح عوف، فغدا إلى امرأة محلم، فلما دخل قالت: مرحبًا زور صعب بعد محلم، فقال عوف: هل رأيت محلمًا منذ توفي؟ قالت: رأيته البارحة ونازعني في ابنتي ليذهب بها معه، فأخبرها عوف بالذي رآه وما ذكر من الهرة التي ضلت فقالت: لا علم لي بذلك خدمي أعلم، فدعت خدمها، فسألتهم فأخبروها أنها ضلت لهم هرة قبل موت محلم بليلة، ومحلم هو ابن جثامة أخو الصعب.

وأخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الوصايا، والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل، وأبو نعيم كلاهما عن عطاء الخراساني قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس: أن ثابتًا قتل يوم اليمامة، وعليه درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين،

(١) هذه القصة عن شهر بن حوشب وهو ضعيف وما علمنا يهوديًا يترحم على أحد من المسلمين أو يصلي على رسول الله ﷺ .

فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه، فقال: أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضعه، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي، ومنـــزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد، فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني: أبا بكر الصديق ﷺ فقل له: إن علي من الدين كذا، وفلان من رقيقي عتيق، وفلان، فأتى الرجل خالدًا، فأخبره، فبعث إلى الدرع، فأتى بها، وحدث أبا بكر الصديق برؤياه، فأجاز وصيته قال: ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس.

قال في الصحاح: استن الفرس: قمص، والطول بكسر الطاء وفتح الواو: الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل، عن كثير بن الصلت قال: أغفي عثمان في اليوم الذي قتل فيه، فاستيقظ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال: « **إنك شاهد معنا الجمعة** ».

وأخرج أيضًا عن ابن عمر أن عثمان ﷺ أصبح، فحدث فقال: إني رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام فقال: « **يا عثمان! أفطر عندنا** ». فأصبح عثمان صائمًا، فقتل من يومه.

وأخرج الحاكم عن حسين بن خارجة قال: لما جاءت الفتنة الأولى أشكلت علي، فقلت: اللهم أرني من الحق أمرًا أتمسك به، فأريت فيما يرى النائم الدنيا والآخرة، وكان بينهما حائط غير طويل، وإذا أنا تحته فقلت تسلقت هذا الحائط حتى أنظر إلى قتلى أشجع، فيخبروني. قال: فانهبطت بأرض ذات شجر، فإذا بنفر جلوس، فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: نحن الملائكة. قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدم إلى الدرجات، فارتفعت درجة الله أعلم بها من الحسن والسعة، فإذا أنا بمحمد ﷺ ، وإذا إبراهيم شيخ كبير، وإذا هو يقول لإبراهيم استغفر لأمتي، وإذا إبراهيم يقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أهرقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، فهلا فعلوا كما فعل سعد خليلي؟ فقلت: والله لقد رأيت رؤيا لعل الله أن ينفعني بها. اذهب فانظر كيف كان مكان سعد، فأكون معه، فأتيت سعدًا، فقصصت عليه القصة، فما

أكثر بها فرحًا. وقال: لقد خاب من لم يكن إبراهيم خليله. قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: ما أنا مع واحدة منهما. قلت: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم؟ قلت: لا. قال: فاشتر شياهًا وكن فيها حتى تنجلي.

وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل، عن سلمى قالت: دخلت عليّ أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبكي، وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**شهدت قتل الحسين آنفًا**».

وأخرج الحاكم عن معمر قال: حدثني شيخ لنا أن امرأة جاءت إلى بعض أزواج النبي ﷺ فقالت لها: ادعي الله أن يطلق لي يدي. قالت: وما شأن يدك؟ قالت: كان لي أبوان، فكان أبي كثير المال والمعروف، ولم يكن عند أمي شيء من ذلك لم أرها تصدقت بشيء غير أنا نحرنا بقرة، فأعطت مسكينًا شحمه وألبسته خرقة، فماتت أمي ومات أبي فرأيت أبي على نهر يسقي الناس، فقلت يا أبتاه! هل رأيت أمي؟ قال: لا. فذهبت ألتمسها، فوجدتها قائمة عريانة ليس عليها إلا تلك الخرقة، وفي يدها تلك الشحمة، وهي تضرب بها في يدها الأخرى، ثم تمص أثرها، وتقول: واعطشاه. فقلت: يا أمه! ألا أسقيك؟ قالت: بلى، فذهبت إلى أبي، فأخذت من عنده إناء، فسقيتها، فنبه بي بعض من كان عندها، فأتي، فقال من سقاها أشل الله يده، فاستيقظت وقد شلت يدي.

تحقيق أن روح الحي تخرج في النوم وتسري إلى حيث شاء الله تعالى وتلاقي الأرواح وغيرها(١)

أخرج الحاكم في المستدرك، والطبراني في الأوسط، والعقيلي، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقي عمر عليًا، فقال: يا أبا الحسن الرجل يرى الرؤيا، فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب. قال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد ولا أمة ينام فيمتلئ نومًا إلا يعرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش، فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب**».

---

(١) شرح الصدور للسيوطي رحمه الله تعالى.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن الأرواح يعرج بها في منامها إلى السماء وتؤمر بالسجود عند العرش، فمن كان طاهرًا يسجد عند العرش، ومن كان ليس بطاهر سجد بعيدًا عن العرش.

وأخرج ابن المبارك في الزهد، عن أبي الدرداء قال: إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤوى بها إلى العرش، فإن كان طاهرًا أذن لها بالسجود، وإن كان جنبًا لم يؤذن لها بالسجود.

وأخرج الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام**».

وأخرج النسائي، عن خزيمة قال: رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال: «**إن الروح لتلتقي بالروح**».

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: في روح اليقظة أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان، ورأت تلك الروح المنامات إذ فارقت الجسد، فإذا رأتها في السموات صحت الرؤيا إذ لا سبيل للشيطان إلى السموات، وإن رأتها دون السموات كانت في إلقاء الشيطان، فإن رجعت إلى الجسد استيقظ الإنسان كما كان.

وقال عكرمة ومجاهد: إذا نام الإنسان كان له سبب يجري فيه الروح، وأصله في الجسد فتبلغ حيث شاء الله، فما دام ذاهبًا، فالإنسان نائم، وإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان، وكان بمنزلة شعاع الشمس هو ساقط بالأرض، وأصله متصل بالشمس.

وذكر ابن منده عن بعض العلماء: أن الروح تمد من منخره وأصله في بدنه فلو خرج بالكلية لمات، كما أن السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة لطفئت، ألا ترى أن مركز النار في الفتيلة وضوءها يملأ البيت، فالروح تمتد من منخر الإنسان في منامه، وتجول في الملكوت، ويريه الملك الموكل بأرواح العباد ما أحب، ثم يرجعه إلى بدنه. انتهى.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة، عن عكرمة أنه سئل عن الرجل يرى في منامه كأنه بخراسان وبالشام وبأرض لم يطأها. قال: تلك الروح ترى والروح معلقة

بالنفس، فإذا استيقظ جر النفس الروح.

وأخرج من وجه آخر، عن عكرمة في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]. قال: ما من ليلة إلا والله يقبض الأرواح كلها، فيسأل كل نفس ما عمل صاحبها من النهار، ثم يدعو ملك الموت فيقول: اقبض هذا وهذا.

نبذ من أخبار من رأى الموتى في منامه وسألهم عن حالهم فأخبروه

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، وابن سعد في الطبقات، عن محمد بن زياد الألهاني: أن عصف بن الحارث قال لعبد الله بن عائذ الثمالي الصحابي ﷺ حين حضرته الوفاة: إن استطعت أن تلقانا، فتخبرنا بعد الموت، فلقيه في منامه بعد حين، فقال له: ألا تخبرنا؟ فقال: نجونا ولم نكد أن ننجو. نجونا بعد المشقات، فوجدنا ربنا خير رب غفر الذنب، وتجاوز عن السيئة إلا ما كان من الأحراض. قلت له: وما الأحراض؟ قال: الذين يشار إليهم بالأصابع في الشر.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي الزاهرية قال: عاد عبد الأعلى بن عدي ابن أبي بلال الخزاعي، فقال له عبد الأعلى: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وإن استطعت أن تلقانا، فتعلمنا ذلك، وكانت أم عبد الله أخت أبي الزاهرية تحت ابن أبي بلال، فرأته في منامها بعد وفاته بثلاثة أيام، فقال: إن ابنتي أيام لاحقتي، فهل تعرفين عبد الأعلى؟ قالت: لا. قال: فاسألي عنه، ثم أخبريه أني قد أقرأت رسول الله ﷺ منه السلام، فرد عليه، فأخبرت أخاها أبا الزاهرية بذلك فأبلغه.

وأخرج عن يحيى بن أيوب قال: تعاهد رجلان أيهما مات أن يخبر صاحبه بما يلقي، فمات أحدهما، فرآه صاحبه في النوم فقال يا أخي! ما فعل الحسن؟ ذلك ملك في الجنة لا يعصى. قال: ابن سيرين؟ قال: فيما شاء واشتهت نفسه وشتان ما بينهما. قال: يا أخي! فبأي شيء أدرك ذلك الحسن؟ قال: بشدة الخوف.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر في تاريخه، عن محمد بن يحيى الجحدري قال: قال ابن الأجلح: قال لي أبي قلت لسلمة بن كهيل: إن مت قبلي، فقدرت أن تأتيني فتخبرني بما رأيت فافعل، فقال سلمة له: وأنت إن مت قبلي فقدرت أن تأتيني

فتخبرني بما رأيت فافعل، فمات سلمة قبل الأجلح، فقال لي: أي بني علمت أن سلمة أتاني في نومي، فقلت: أليس قد مت؟ قال: إن الله قد أحياني. قلت: كيف وجدت ربك؟ قال: رحيمًا. قلت: أيش رأيت أفضل الأعمال التي يتقرب بها العباد؟ قال: ما رأيت عندهم أشرف من صلاة الليل. قلت: كيف وجدت الأمر؟ قال: سهلا، ولكن لا تتكلوا.

وأخرج أحمد في الزهد، وابن سعد في الطبقات، عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ لي خليلا، وإنه لما توفي لبثت حولا أدعو الله أن يرينيه في المنام، قال: فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته، قلت يا أمير المؤمنين! ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت وإن كاد عرشي ليهد، لولا أني لقيت ربي رؤوفًا رحيمًا.

وأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما كان شيء أعلمه أحب إلي أن أعلمه من أمر عمر، فرأيت في المنام قصرًا، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر فخرج من القصر عليه ملحفة، كأنه قد اغتسل فقلت: كيف صنعت؟ قال: خيرًا. كاد عرشي يهوي بي، لولا أني لقيت ربي غفورًا. قلت: كيف صنعت؟ قال: متى فارقتكم؟ قلت: منذ اثنتي عشرة سنة. قال: إنما انفلت الآن من الحساب.

وأخرج ابن عساكر، عن مطرف أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في النوم، فقال: رأيت عليه ثيابًا خضرًا. قلت: يا أمير المؤمنين! كيف فعل الله بك؟ قال: فعل الله بي خيرًا. قلت: أي الدين خير؟ قال: الدين القيم ليس بسفك الدم.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن محمد بن النضر الحارثي قال: رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته، فقال: يا أمير المؤمنين! ليت شعري إلى أي الحالتين صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغي، والله ما استرحت إلى الآن. قلت: فأين أنت؟ قال. أنا مع أئمة الهدى في جنات عدن.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، عن محمد بن سيرين رأيت أفلح، أو قال كثير بن أفلح في المنام، وكان قتل يوم الحرة فقلت: ألست قد قتلت؟ قال: بلى. قلت: فما صنعت؟ قال: خيرًا قلت: الشهداء أنتم؟ قال: لا إن المسلمين إذا اقتتلوا، فقتل بينهم قتلى، فليسوا بشهداء ولكنا ندماء.

وأخرج ابن سعد، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة، فإذا قباب مضروبة قلت: لمن هذه؟ قالوا: لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية. قلت: فأين عمار وأصحابه؟ قالوا: أمامك قلت: وقد قتل بعضهم بعضًا. قيل: إنهم لقوا الله، فوجدوه واسع المغفرة. قلت: فما فعل أهل النهر؟ يعني: الخوارج؟ قال: لقوا ترحًا[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، عن أبي بكر الخياط قال: رأيت كأني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمحفوظ قائمًا فيما بينهم يذهب ويجيء، فقلت: يا محفوظ! ما صنع بك ربك أو ليس قد مت؟ قال: بلى. ثم قال:

موت التقي حياة لا نفاد لها ... قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وأخرج عن سلمة البصري قال: رأيت بزيع بن مسور العابد في المنام، وكان كثير الذكر لله، كثير الذكر للموت، طويل الاجتهاد، فقلت: كيف رأيت موضعك؟ قال:

وليس يعلم ما في القبر داخله ... إلا الإله وساكن الأجداث

وأخرج عن بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور في النوم، فقلت له: يا أبا محمد! ما صنع بك ربك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل على نفسي.

وأخرج عن حفص الموهبي قال: رأيت داود الطائي في منامي فقلت: يا أبا سليمان! كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خير الآخرة كثيرًا. قلت: فلماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير والحمد لله. قلت: هل لك من علم بسفيان بن سعد؟ فقد كان يحب الخير وأهله، قال: فتبسم، ثم قال: رقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

وأخرج عن عتبة بن ضمرة، عن أبيه قال: لقيت عمتي في المنام، فقلت: كيف أنت؟ قالت: بخير قد وفيت عملي، حتى أعطيت ثواب خلاط أطعمته. والخلاط:

---

(١) الترح: ضد الفرح.

اللبن بالبقل.

وأخرج عن عبد الملك الليثي قال: رأيت عامر بن عبد القيس في النوم، فقلت: ما وجدت؟ قال: خيرًا. قلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: كل شيء أريد به وجه الله عز وجل.

وأخرج عن أبي عبد الملك الهجري قال: مات عم لي، فرأيته في النوم وهو يقول: الدنيا غرور والآخرة للعاملين سرور. ولم نر شيئًا مثل اليقين والنصح لله وللمسلمين، لا تحقرن من المعروف شيئًا، واعمل عمل من يعلم أنه مقصر.

وأخرج عن الأصمعي قال: رأيت شيخًا من البصريين من أصحاب يونس بن عبيد، وقد مات فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من عند يونس الطبيب. قلت من يونس الطبيب؟ قال: الفقيه اللبيب. قلت: ابن عبيد؟ قال: نعم. قلت: وأين هو؟ قال: في مجالس الأرجوان[1] مع الجواري الأبكار قرت عيناه بصحة تقواه.

وأخرج عن ميمون الكردي قال: رأيت عروة بن البزار في النوم بعد موته فقال: إن لفلان السقاء علي درهماً، وهو في كوة في بيتي، فخذه، فادفعه إليه، فلما أصبحت لقيت السقاء، فقلت له: ألك على عروة شيء؟ قال: نعم درهم. فدخلت بيته، فوجدت الدرهم في الكوة، فدفعته إلى السقاء.

وأخرج عن رجل من أهل الكوفة قال: رأيت سويد بن عمرو الكلبي في النوم بعد ما مات في حالة حسنة. قلت: يا سويد ما هذه الحالة الحسنة؟ قال: إني كنت أكثر من قول لا إله إلا الله، فأكثر منها. ثم قال: إن داود الطائي، ومحمد بن خضر الحارثي طلبا أمرًا فأدركاه.

وأخرج عن إبراهيم بن المنذر الحراني قال: رأيت الضحاك بن عثمان في النوم فقلت: فما فعل الله بك؟ قال: في السماء تماريد، من قال لا إله إلا الله تعلق بها، ومن لم يقلها هوى.

وأخرج عن محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: رأى رجل ابن عائشة التميمي في النوم، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بحبي إياه.

---

(١) الأرجوان: شجر له نور أحمر أحسن ما يكون وذلك لون يشبه فهو أرجوان.

وأخرج عن النضر بن يحيى، عن والان أبو عيسى ابن مريم رجل من قزوين، وكان من الصالحين. قال: اغترني القمر ليلة، فخرجت إلى المسجد، فصليت وسبحت. ودعوت فغلبتني عيناي، فنمت ، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أربعة أرغفة ببياض مثل الثلج، فوق كل رغيف در مثل الرمان، فقالوا: كل. فقلت: إني أريد الصوم، قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحتمله، فقيل لي: دعه نغرسه لك شجرًا ينبت لك خيرًا من هذا. قلت : أين؟ قالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلى فيها رضوى وعينًا وقرة العين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يقربن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هي غفوة حتى ترتحل، فتنـــزل الدار. قال: فما مكث إلا جمعتين حتى توفي.

قال السري: فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي: ألا تعجب من شجر غرس لي يوم حدثتك، وقد حمل. قلت: حمل ماذا؟ قال: لا تسأل عما لا يقدر على صفته أحد، لم نر مثل الكريم إذا حل به مطيع.

وأخرج عن إسماعيل بن عبد الله بن ميمون قال: رأيت علي بن محمد بن عمران بن أبي ليلى في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: المعرفة. قلت: ما تقول في الرجل يقول: حدثنا وأخبرنا؟ فقال: إني أبغض المباهاة.

وأخرج عن بعض أصحاب مالك بن دينار أنه رأى مالك بن دينار في النوم فقال: ما صنع الله بك؟ قال: خيرًا. لم نر مثل العمل الصالح، لم نر مثل الصحابة الصالحين، لم نر مثل السلف الصالح، لم نر مثل مجالس الصالحين.

وأخرج عن عبد الوهاب بن يزيد الكندي قال: رأيت أبا عمر الضرير، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني. قلت: فأي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: ما أنتم عليه من السنة والعلم. قلت: فأي الأعمال وجدت شرًّا؟ قال: احذر الأسماء. قلت: وما الأسماء؟ قال: قدري ومعتزلي ومرجئ، فجعل يعدد أسماء الأهواء.

وأخرج عن أبي بكير الصيرفي قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويرى رأي جهم، فأريه رجل في النوم كأنه عريان، وعلى رأسه خرقة سوداء، وعلى عورته أخرى، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: جعلني مع بكر القيس،

وفرعون بن الأعسر، وهذان نصرانيان.

وأخرج عن شيخ قال: مات رجل لي، وكان ممن يخوض في هذه الأمور، فرأيته في النوم كأنه أعور، فقلت: يا فلان ما هذا الذي أرى بك؟ قال: تنقصت أصحاب محمد، فنقصني هذا، ووضع يده على عينه الذاهبة.

وأخرج عن أبي جعفر المديني قال: رأيت محمود بن حميد في منامي، وكان من العاملين، وعليه ثوبان أخضران، فقلت: إلى ماذا صرت بعد الموت؟ فنظر إلي، ثم أنشأ يقول:

نعم المتقون في الخلد حقًا بجوار نواهد أبكار

قال أبو جعفر: والله ما سمعته من أحد قبله.

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن مطرف بن عبد الله قال: كنت بالمقبرة فصليت قريبًا من قبر ركعتين خفيفتين لم أرض إتقانهما، ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني، فقال: ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما؟ قلت: قد كان ذلك. قال: تعملون ولا تعلمون، ونعلم ولا نستطيع أن نعمل، لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها، فقلت: من ههنا؟ قال: كلهم مسلم، وكلهم قد أصاب خيرًا، فقلت: من ههنا أفضل؟ فأشار إلى قبر، فقلت في نفسي: اللهم أخرجه إلي فأكلمه، فخرج من قبره فتى شاب، فقلت: أنت أفضل من ههنا؟ فقال: قد قالوا ذلك. قلت: فبأي شيء نلت ذلك؟ فوالله ما أرى لك ذلك السن فأقول: نلت ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله والعمل. قال: قد ابتليت بالمصائب، فرزقت الصبر عليها. فبذلك فضلتهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن إياس بن دغفل قال: رأيت أبا العلاء يزيد بن عبد الله، فيما يرى النائم، فقلت: كيف وجدت طعم الموت؟ قال: وجدته مرا كريهًا قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ قال: صرت إلى روح وريحان، ورب غير غضبان. قلت: فأخوك مطرف؟ قال: فاتني بيقينه.

وأخرج عن بعضهم قال: مات أخ لي فرأيته في النوم، فقلت: ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

وأخرج عن المنكدر بن محمد بن المنكدر قال: رأيت في منامي كأني دخلت مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس مجتمعون على رجل في الروضة، فقلت: من هذا؟ قيل: رجل قدم من الآخرة يخبر الناس عن موتاهم، فجئت أنظر، فإذا الرجل صفوان ابن سليم، قال: والناس يسألونه وهو يخبرهم، فقال: أما ههنا أحد يسألني عن محمد ابن المنكدر؟ فطفق الناس يقولون هذا ابنه هذا ابنه ففرجت الناس، فقلت: أخبرنا رحمك الله، فقال: أعطاه الله من الجنة كذا، وأعطاه كذا وأرضاه وأسكنه منازل في الجنة، وبوأه فلا ظعن عليه ولا موت.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي كريمة قال: جاءني رجل فقال: رأيت كأني أدخلت الجنة، فانتهيت إلى روضة فيها أيوب ويونس وابن عون والتيمي قلت: أين سفيان الثوري؟ قال: ما نرى ذاك إلا كما نرى الكوكب.

وأخرج عن مالك بن دينار قال: رأيت محمد بن واسع في الجنة، ورأيت محمد بن سيرين في الجنة، فقلت: أين الحسن؟ قال: عند سدرة المنتهى.

وأخرج عن يزيد بن هارون قال: رأيت محمد بن يزيد الواسطي في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بمجلس جلسه إلينا أبو عمرو البصري يوم جمعة بعد العصر، فدعا وأمنا، فغفر لنا منذ فارقناكم.

وأخرج عن عتبة بن أبي ثبيت قال: رأيت خليد بن سعيد في منامي بعد موته، فقلت: ما صنعت؟ قال: أفلتنا ولم نكد نتفلت. قلت: متى عهدكم بالقرآن؟ قال: لا عهد لنا به منذ فارقناكم.

وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد، عن محمد بن سالم الخواص الصالح قال: رأيت يحيى بن أكثم القاضي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء، فذكر الثالثة مثل الأوليين كلما أفقت قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك، فقال الله تعالى: وما حدثت عني وهو أعلم بذلك قلت: حدثني عبد الرزاق بن همام. قال: حدثنا معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك عن نبيك ﷺ، عن

جبريل عنك يا عظيم أنت قلت: ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحييت منه أن أعذبه بالنار. فقال الله: صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق النبي، وصدق جبريل، وأنا قلت ذلك. انطلقوا به إلى الجنة.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن أبي بكر الفزاري قال: بلغني أن بعض إخوان أحمد بن حنبل رآه في النوم بعد موته، فقال: يا أحمد ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي يا أحمد صبرت على الضرب إن قلت، ولم تتغير أن كلامي منـــزل غير مخلوق، وعزتي لأسمعنك كلامي إلى يوم القيامة، فأنا أسمع كلام ربي عز وجل.

وأخرج عن محمد بن عوف قال: رأيت محمد الصفي الحمصي في النوم، فقلت: إلام صرت؟ قال: إلى خير، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين، فقلت: يا أبا عبد الله صاحب سنة في الدنيا وصاحب سنة في الآخرة، فتبسم إلي.

وأخرج عن محمد بن مفضل قال: رأيت منصور بن عمار في النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: كنت تخالط، ولكني قد غفرت لك لأنك كنت تحببني إلى خلقي. قم، فمجدني بين ملائكتي. كما كنت تمجدني في الدنيا، فوضع لي كرسي. فمجدت الله بين ملائكته.

وأخرج عن أبي الحسن الشعراني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي أنت منصور بن عمار؟ قلت: نعم يا رب. قال: أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا، وترغبهم في الآخرة؟ قلت: قد كان ذلك، ولكني ما اتخذت مجلسًا إلا بدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك، وثلثت بالنصيحة لعبادك. قال: صدقت ضعوا له كرسيًّا يمجدني في سمائي، كما مجدني في أرضي بين عبادي.

وأخرج عن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبي في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قربني وأدناني، وقال لي يا شيخ السوء! تدري لم غفرت لك؟ قلت لا يا إلهي. قال: لأنك جلست للناس يومًا مجلسًا فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط، فغفرت له، ووهبت له أهل المجلس كلهم، ووهبتك فيمن وهبته له.

وأخرج عن سلمة بن عفان قال رأيت وكيعًا في المنام بعد موته، فقلت له ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: بأي شيء؟ قال: بالعلم.

وأخرج عن أبي يحيى المستملي بن همام قال: رأيت أبا همام في المنام بعد موته، وعلى رأسه قناديل معلقة، فقلت: يا أبا همام! بم نلت هذه القناديل؟ قال: هذا بحديث الحوض، وهذا بحديث الشفاعة. وهذا بحديث كذا، وهذا بحديث كذا.

وأخرج عن سفيان بن عيينة قال: رأيت الثوري في المنام بعد موته. فقلت أوصني. قال: قل من مخالطة الناس. قلت: زدني. قال: سترد فتعلم.

وأخرج عن أبي الربيع الزهراني قال: حدثني جار لي قال: رأيت ابن عون في النوم بعد موته فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: ما غربت الشمس من يوم الاثنين، حتى عرضت علي صحيفتي، فرحمني وغفر لي، وكان مات يوم الاثنين.

وأخرج عن أبي عمرو الخفاف قال: رأيت محمد بن يحيى الذهلي في النوم بعد موته، فقلت: فما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي: قلت: فما فعل عملك؟ قال: كتب بماء الذهب، ورفع في عليين.

وأخرج عن الأستاذ ابن أبي الوليد قال: رأيت أبا العباس الأصم في المنام، فقلت له: ماذا انتهى حالك أيها الشيخ؟ فقال: أنا مع أبي يعقوب البويطي، والربيع بن سليمان في جوار أبي عبد الله الشافعي نحضر كل يوم في ضيافته.

وأخرج عن سهيل أخي حزم قال: رأيت مالك بن دينار بعد موته، فقلت ماذا قدمت به على الله تعالى؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله تعالى.

وأخرج عن امرأة من أهل اليمن قالت: رأيت رجاء بن حيوة في النوم، فقلت ألم تمت؟ قال: بلى، ولكن نودي في أهل الجنة أن تلقوا الجراح بن عبد الله وذلك قبل أن يأتي خبر الجراح، ثم جاء نعي الجراح، فحسب، فوجد قد استشهد بأذربيجان ذلك اليوم.

وأخرج عن عتبة بن أبي حكيم، عن امرأة من بيت المقدس قالت: كان رجاء بن حيوة جليسًا لنا، وكان نعم الجليس، فمات، فرأيته بعد شهر، فقلت إلام صرتم؟ قال: إلى خير، ولكنا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قد قامت. قلت:

وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم، حتى ازدحموا على بابها.

وأخرج عن الأصمعي، عن أبيه قال: رأى رجل في المنام جريرا الحصفي بعد موته، فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بتكبيرة كبرتها في ظهر ماء بالبادية. قال: فما فعل أخوك الفرزدق؟ قال: إيها أهلكه قذف المحصنات.

وأخرج عن ثور بن يزيد الشامي قال: رأيت الكميت بن زيد في النوم بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ونصب لي كرسيًا، وأجلسني عليه وأمرت بإنشاد طريب، فلما بلغت إلى قولي:

حنانيك رب الناس من أن يغرني ... كما غرهم شرب الحياة المصرد

قال: صدقت يا كميت. إنه ما غرك ما غرهم، فقد غفرت لك بصدقك في صفوتي من بريتي، وخيرتي من خليقتي، وجعلت لك بكل منشد أنشد بيتًا من مدحك آل محمد رتبة أرفعها لك في الآخرة إلى يوم القيامة.

وأخرج عن أبي الشعشاع المصري قال: رأيت أبا بكر بن النابلسي - أحد من قتله بنو عبيد على السنة بعد ما قتل - في المنام، وهو في أحسن هيئة، فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عز ... وواعدني بقرب الانتصار

وقربني وأدناني إليه ... وقال أنعم بعيش في جواري

وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلا أن وضعت في اللحد، ووقفت بين يدي الله، فحاسبني حسابًا يسيرًا، ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا بين رياحينها وأشجارها لا أسمع حسًا ولا حركة، فإذا بصوت يقول: يا سفيان بن سعيد! هل تعلم أنك آثرت الله على نفسك، فقلت: إي والله فأخذتني صواني النثار من كل جانب.

وأخرج عن أحمد بن حنبل قال: رأيت الشافعي في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوجني وزوجني، وقال لي: هذا بما لم تره بما أرضيتك، ولم تتكبر فيما أعطيتك.

وأخرج عن الربيع بن سليمان قال: رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما صنع

الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر على اللؤلؤ الرطب.

وأخرج عن إسماعيل بن إبراهيم الفقيه قال: رأيت الحافظ أبا أحمد الحاكم في النوم بعد موته، فقلت: أي الفرق أكثر نجاة عندكم؟ فقال: أهل السنة.

وأخرج عن خيثمة بن سليمان قال: رأيت عاصمًا الطرابلسي - أحد الغزاة - في النوم بعدما توفي، فقلت: أي شيء حالك يا أبا علي؟ فقال: إنا لا نكني بعد الموت، ولم يجبني بغير هذا، فقلت: أي شيء حالك يا عاصم، وإلام صرت؟ قال: صرت إلى رحمة واسعة وجنة عالية، قلت: بماذا؟ قال: بكثرة جهادي في البحر.

وأخرج عن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار في النوم، فقلت له: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت أهوالا وزلازل عظامًا شدادًا. قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن لنا التبعات.

وأخرج عن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي العباسي قال: رأيت أبا جعفر محمد بن جرير في النوم، فقلت: كيف رأيت الموت؟ قال: ما رأيت إلا خيرًا. قلت: كيف رأيت هول المطلع؟ قال: ما رأيت إلا خيرًا. قلت: كيف رأيت منكرًا ونكيراً؟ قال: ما رأيت إلا خيرًا. فقلت: إن ربك بك حفي اذكرنا عند ربك. قال: يا أبا علي! تقول اذكرنا عند ربك، ونحن نتوسل بكم إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج عن حبيش بن مبشر قال: رأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قربني وأدناني وأعطاني وحباني وزوجني ثلاثمائة حوراء، وأدخلني عليه مرتين، فقلت: بماذا؟ فأخرج شيئًا من كمه، وقال: بهذا. يعني الحديث.

وأخرج عن سليمان العمري قال: رأيت أبا جعفر القارئ يزيد بن القعقاع في النوم بعد موته، فقال: أقرئ إخواني مني السلام، وأخبرهم أن الله جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم مني السلام، وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس[1]، فإن الله تعالى وملائكته يتراؤون مجلسك بالعشيات.

وأخرج عن زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته، فقلت

---

(١) الكيس: ضد الحمق.

له: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي.

وأخرج عن محمد بن فضيل بن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أي العمل وجدت أفضل؛ قال: الأمر الذي كنت فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم.

وأخرج عن يزيد بن مذعور قال: رأيت الأوزاعي في منامي بعد موته، فقلت: يا أبا عمرو! دلني على شيء أتقرب به إلى الله. قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء، ومن بعدهم درجة المحزونين.

وأخرج عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت أبي في النوم بعد موته، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار يا بني.

وأخرج عن عبد الله بن عبد الرحمن قال:

رأيت الخليفة المتوكل في النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: تم غفر لك وقد عملت؟ قال بالقليل من السنة التي أظهرتها.

وأخرج عن حجاج بن تميلة قال: شهدت الحسن والفرزدق عند قبر، فقال الحسن للفرزدق ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، فسكت الحسن. قال لبطة بن الفرزدق: فرأيت أبي في النوم بعد موته، فقال لي يا بني! نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن.

وأخرج عن عبد الله بن صالح الصوفي قال: رئي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل له: بأي شيء؟ قال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ.

وأخرج عن يزيد بن معاوية قال: رأى رجل حي ميتًا فقال له الميت يا فلان! أخبر الناس أن وجه عامر بن قيس يوم القيامة مثل القمر ليلة البدر.

وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: رأيت أبي في المنام بعد موته، وعليه قلنسوة طويلة، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: زينني بزينة العلم. قلت: فأين مالك بن أنس؟ قال: مالك فوق فوق، فلم يزل يقول فوق، ويرفع رأسه، حتى سقطت القلنسوة عن رأسه.

وأخرج عن خشنام بن أخت بشر الحافي قال: رأيت خالي في النوم، فقلت له:

ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وجعل يذكر ما فعل الله به من الكرامة، فقلت له: قال لك شيئًا؟ قال: نعم. قال لي يا بشر! ما استحيت مني تخاف ذلك الخوف كله على نفس هي لي.

وأخرج عن الحسين بن إسماعيل المحاملي قال: رأيت القاشاني في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فأومأ لي بأنه نجا بعد شدة. قلت: فما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: غفر الله له. قلت: فبشر الحافي؟ قال: ذاك تجيئه الكرامة من الله في كل يوم مرتين.

وأخرج عن عاصم الجهني قال: رأيت في المنام كأني دخلت في درب هشام فلقيني بشر الحافي، فقلت: من أين؟ قال: من عليين قلت: ما فعل الله بأحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل، وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعمان. قلت: فأين أنت؟ قال: علم الله قلة رغبتي في الطعام، فأباحني النظر إليه عز وجل.

وأخرج عن أبي جعفر السقا قال: رأيت الحافي ومعروفًا الكرخي في النوم، كأنهما جائيان، فقلت من أين؟ فقالا: من جنة الفردوس، وقد زرنا موسى كليم الرحمن عز وجل.

وأخرج عن القاسم بن منبه قال: رأيت بشرا الحافي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال يا بشر! قد غفرت لك، ولكل من تبع جنازتك، فقلت: يا رب ولكل من أحبني؟ قال: ولكل من أحبك إلى يوم القيامة.

وأخرج عن أحمد الدورقي قال: مات جار لي، فرأيته في النوم وعليه حلتان، قلت: أيش قصتك؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر الحافي، فكسى أهل المقبرة حلتين حلتين.

وأخرج عن حجاج بن الشاعر قال: رئي بشر الحافي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: يا بشر! ما عبدتني على قدر ما نوهت باسمك.

وأخرج عن رجل أنه رأى بشرا الحافي في النوم، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال لي يا بشر! لو سجدت لي على الجمر ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي.

وأخرج عن محمد بن خزيمة قال: لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غمًّا شديدًا، فبت ليلتي، فرأيته في المنام، وهو يتبختر في مشيته، فقلت: يا أبا عبد الله! أي مشية هذه؟ فقال مشية الخدام في دار السلام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد! ادعني بتلك الدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا فقلت: يا رب كل شيء . فقال لي: هيه، فقلت: بقدرتك على كل شيء فقال لي: صدقت. فقلت: لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء.

قال: قد فعلت، ثم قال: يا أحمد! هذا قولك إن القرآن كلامي، ثم قال لي يا أحمد! هذه الجنة، فقم فادخل إليها، فدخلت، فإذا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة على نخلة، ويقول: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين، قلت له: ما فعل عبد الوهاب الوراق؟ قال: تركته في بحر من نور في زلازل من نور يزار به الملك الغفور.

قلت له: ما فعل بشر الحافي؟ قال: بخ بخ، ومن مثل بشر تركته بين يدي الملك الجليل، وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل يقبل عليه، وهو يقول: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم يتنعم في دار الدنيا.

وأخرج عن دلف بن أبي دلف العجلي قال: رأيت أبي في المنام في دار وحشة وعرة سوداء الحيطان، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا أبي عريان واضع رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دلف؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، فأنشأ يقول:

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخناق
قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمت؟ قلت: نعم، ثم أنشأ يقول:

فويل لنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ... فنسأل بعده عن كل شيء

وانصرف. قال: فانتبهت.

وأخرج عن الأصمعي، عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتلة قتلت بها إنسانًا سبعين قتلة، ثم رأيته بعد الحول،

فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أما سألت عن هذا عام أول؟

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت في المنام كأن جيفة ملقاة فقلت ما هذه؟ قالوا: إنك إن كلمته كلمك، فوكزته برجلي، فرفع رأسه إلي، وفتح عينه، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الحجاج قدمت على الله، فوجدته شديد العقاب، قتلني بكل قتلة قتلتها. أنا موقوف بين يدي الله أنتظر ما ينتظره الموحدون من ربهم. إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وأخرج عن أشعث قال: رأيت الحجاج في منامي بحال سيئة قلت: ما صنع بك ربك؟ قال: ما قتلت أحدًا قتلة إلا قتلني بها. قلت: ثم مه؟ قال: ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله.

وأخرج عن أبي الحسين قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أدخلت موضعًا واسعًا، وإذا رجل على سرير قاعد، وإذا رجل يقلي بين يديه. قلت: من هذا القاعد؟ قيل: إن ذا يزيد النحوي، وهذا أبو مسلم يعني: الخراساني صاحب الدعوة يقلي بين يديه، قلت: فما حال إبراهيم الصائغ؟ قال: ذاك في أعلى عليين من يصل إليه!.

قال أبو الحسن وقيل لي في المنام إن هذا الذي رأيته رآه رجل صالح في كور خراسان، فكان يجيئنا بعد ذلك، ويذكر أن ببلخ رجلا رأى هذه الرؤيا، وبسمرقند وجورجان وكور خراسان.

وأخرج عن أحمد بن عبد الرحمن المعبر قال: رأيت صالح بن عبد القدوس ضاحكًا مستبشرًا فقلت: ما فعل بك ربك، وكيف نجوت مما كنت ترمي به من الزندقة؟ قال: إني وردت على ربي لا تخفي عليه خافية، فاستقبلني برحمته، قال: قد علمت براءتك مما كنت تُرمى به.

وأخرج عن أبي يزيد طيفور البسطامي قال: رأيت علي بن أبي طالب ﷺ في النوم، فقلت يا أمير المؤمنين! علمني كلمة تنفعني، فقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب الله. قلت: زدني. قال: وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بما عند الله. قلت: زدني قال: وأحسن منه، ففتح كفه فإذا فيه مكتوب بماء الذهب:

قد كنت ميتًا فصرت حيًا ... وعن قليل تكون ميتا

فابن بدار البقاء بيتًا ... واهدم بدار الفناء بيتا

وأخرج عن بعض المكيين قال: رأيت سعيد بن سالم القداح في النوم، فقلت: من أفضل من في هذه القبور؟ قال: صاحب هذا القبر. قلت: بم فضله؟ قال: إنه ابتلي فصبر، قلت: ما فعل فضيل بن عياض؟ قال: هيهات كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها.

وأخرج عن أبي الفرج غيث بن علي قال: رأيت أبا الحسن العاقولي المقرئ في النوم في هيئة صالحة، فسألته عن حاله، فذكر خيرًا. قلت: أليس قد مت؟ قال: بلى. قلت: كيف رأيت الموت؟ قال: حسن أو جيد، وهو مستبشر، قلت: غفر لك دخلت الجنة؟ قال: نعم. قلت: فأي الأعمال أنفع؟ قال ما ثم شيء أنفع من الاستغفار أكثر منه.

وأخرج عن الحسن بن يونس الحراني قال: رأيت الهاجور الأمير في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت. بماذا؟ قال: بضبطي لطريق المسلمين، وطريق الحاج.

وأخرج عن أبي نصر بن ماكولا قال: رأيت في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدراقطني في الآخرة، فقيل لي ذلك يدعى في الجنة الإمام.

وأخرج عن أبي نصر خلف الوزان قال: رئى يوسف بن الحسين الرازي الصوفي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني. قلت: بماذا قال بكلمات قلتها عند الموت. قلت: اللهم نصحت الناس قولا وخنت نفسي فعلا، فهب لي خيانة فعلي لنصيحة قولي.

وأخرج عن عبد الله بن صالح قال: رئى أبو نواس في المنام، وهو في نعمة كبيرة، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأعطاني هذه النعمة. قيل لماذا؟ وقد كنت مخالطًا. قال: جاء بعض الصالحين إلى المقابر في ليلة من الليالي، فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة (قل هو الله أحد) وجعل ثوابها لأهل المقابر. غفر الله لأهل المقابر عن آخرهم، فدخلت أنا في جملتهم.

وأخرج عن محمد بن نافع قال: رأيت أبا نواس، وأنا بين النائم واليقظان، فقلت: أبو نواس فقال لات حين كنية. قلت: الحسن بن هانئ؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها هي تحت الوسادة، فأتيت أهله، فرفعت لي

الوسادة، فإذا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظمك
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعًا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم

وأخرج عن أبي بكر الأصبهاني قال: رئى أبو نواس في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس وهي:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
حيون من لجين شاخصات باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
وأن محمدًا عبد رسول إلي الثقلين أرسله المليك

وأخرج عن عبد الله بن محمد المروزي قال: رأيت يعقوب بن سفيان الحافظ في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأمرني أن أحدث في السماء، كما كنت أحدث في الأرض. فحدثت في السماء الرابعة، فاجتمع على الملائكة واستملى علي جبريل، وكتبوا بأقلام من ذهب.

وأخرج عن أبي عبيد بن حربويه: أن رجلا حضر جنازة سري السقطي، فلما كان في بعض الليل رآه في النوم، فقال: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي ولمن حضر جنازتي. وصلى علي. قال: فإني ممن حضر جنازتك، وصلى عليك، فأخرج درجًا. فنظر فيه، فلم ير فيه اسمه، فقال: بلى. قد حضرت. قال: فنظر فإذا اسمه في الحاشية.

وأخرج عن أبي القاسم ثابت بن أحمد بن الحسين البغدادي قال: رأيت أبا القاسم سعد بن محمد الزنجاني في النوم يقول لي مرة بعد أخرى يا أبا القاسم! إن الله يبني لأهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتًا في الجنة.

وأخرج عن محمد بن مسلم بن دارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام. فقلت له: ما حالك؟ قال: أحمد الله على الأحوال كلها. إني أحضرت، فوقفت بين يدي الله، فقال لي: يا عبيد الله لم تدرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب! إنهم حولوا

دينك. قال: صدقت، ثم أتي بطاهر الخلقاني فاستعديت عليه إلى ربي، فضربه الحد مائة. ثم أمر به إلى الحبس، ثم قالوا: ألحقوا عبيد الله بأصحابه بأبي عبد الله، وأبي عبد الله، وأبي عبد الله: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل.

وأخرج عن حفص بن عبد الله قال رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في السماء الدنيا بالملائكة، قلت بم هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث. أقول فيها عن النبي ﷺ. وقد قال النبي ﷺ: «**من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**».

وأخرج عن يزيد بن مخلد الطرسوسي قال: رأيت أبا زرعة بعد موته يصلي في السماء الدنيا بقوم عليهم ثياب بيض، وعليه ثياب بيض، وهم يرفعون أيديهم في الصلاة، فقلت: يا أبا زرعة! من هؤلاء؟ قال: الملائكة. قلت: بأي شيء أدركت هذا؟ قال: برفع اليدين في الصلاة. قلت: فإن الجهمية قد آذوا أصحابنا بالري. قال: اسكت، فإن أحمد بن حنبل قد سد عليهم الماء من فوق.

وأخرج عن أبي العباس المرادي قال: رأيت أبا زرعة، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي، فقال لي: يا أبا زرعة إني أوتى بالطفل، فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي. تبوأ من الجنة حيث شئت.

وأخرج ابن عساكر عن صدقة بن يزيد قال: نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض بناحية طرابلس أو انطابلس أحدها مكتوب عليه:

وكيف يلذ العيش من هو موقن ... بأن المنايا بغتة ستعاجله
وتسلبه ملكا عظيمًا ونخوة ... وتسكنه البيت الذي هو أهله

وعلى القبر الثاني:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى القبر الثالث:

وكيف يلذ العيش من هو صائر ... إلى جدث تبلي الشباب منازله
ويذهب حسن الوجه من بعد ضوئه ... سريعًا ويبلى جسمه ومفاصله

فنزلت قرية بالقرب منها، فقلت لشيخ بها: لقد رأيت عجبًا. قال: وما

ذاك؟ قلت: رأيت هذه القبور. قال: حديثها أعجب مما رأيت عليها. قلت: فحدثني. قال: كانوا ثلاثة إخوة: واحد يصحب السلطان ويؤمر على الجيوش والمدن، وآخر تاجر موسر مطاع في تجارته، وآخر زاهد قد تخلى وانفرد لعبادة ربه، فحضرت الزاهد الوفاة، فأتاه أخوه صاحب السلطان، وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه ببلاده، وأتاه التاجر. فقالا له: توصي بشيء؟ فقال: والله ما لي مال أوصي به ولا علي دين أوصي به، ولا أخلف من الدنيا عرضًا، ولكن أعهد إليكما عهدًا فلا تخالفا. إذا مت، فادفناني على نشز من الأرض واكتبا على قبري: (وكيف يلذ العيش من هو عالم). البيتين.

ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلكما تتعظان، ففعلا ذلك، فلما كان اليوم الثالث أتى أخوه صاحب السلطان القبر، فلما أراد الانصراف سمع من داخل القبر هدة أرعبته وأقرعته فانصرف مذعورًا وجلا، فلما كان الليل رأى أخاه في المنام، فقال: أي أخي! ما الذي سمعت في قبرك؟ قال: هدة تلك المقمعة. قيل لي رأيت مظلومًا فلم تنصره، فأصبح، فدعا أخاه وخاصته، فقال: إني أشهدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبدًا، فترك الإمارة ولزم العبادة، وكان مأواه البراري والجبال وبطون الأودية فحضرته الوفاة، فحضر أخوه، فقال: يا أخي! ألا توصي إلي بشيء؟ قال: ما لي مال ولا علي دين، ولكن أعهد إليك إذا أنا مت، فاجعل قبري إلى جنب قبر أخي واكتب عليه: (وكيف يلذ العيش من هو موقن). البيتين.

ثم تعهد قبري ثلاثًا، فلما مات فعل أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث من إتيانه القبر أراد الانصراف، فسمع وجبة من القبر كادت تذهب عقله، فرجع مرعوبًا، فلما كان الليل رأى أخاه في منامه، فقال: كيف أنت؟ قال: بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير، فقال: فكيف أخي؟ قال: مع الأئمة الأبرار. قال: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قدم شيئًا وجده، فاغتنم وجدك قبل فقرك، فأصبح الأخ الثالث معتزلا للدنيا، وفرق ماله وأقبل على طاعة الله تعالى، ونشأ ابن له في المكاسب حتى أتت أباه الوفاة. قال: يا أبت! ألا توصي لي بشيء. قال: يا بني! ما لي مال فأوصي فيه، ولكن أعهد إليك إذا أنا مت أن تدفنني مع عميك، وأن تكتب على قبري: (وكيف يلذ العيش من هو صائر). البيتين.

ثم تعاهد قبري ثلاثًا، ففعل الفتى ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتًا هاله، فانصرف مهمومًا، فلما كان الليل رأى أباه في منامه، فقال له يا بني! أنت عندنا عن قليل، والأمر جد، فاستعد وتأهب لرحيلك وطول سفرك، وحول جهازك من المنــــزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنــــزل الذي أنت به قاطن، ولا تغتر بما اغتر به البطالون من طول آمالهم، فقصروا في أمر معادهم، فندموا عند الموت، وأسفوا على تضييع العمر، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنقذهم. أي بني! فبادر، ثم بادر، ثم بادر.

فقال الشيخ، فدخلت على الفتى صبيحة رؤياه فقصها علي وقال: ما أرى الأمر الذي قال أبي إلا وقد أظلني، ولا أحسب بقي من أجلي إلا ثلاثة أشِهر، أو ثلاثة أيام، لأنه أنذرني بالمبادرة ثلاثًا، فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم، ثم استقبل القبلة وتشهد، ثم مات من الليل.

باب ما يحبس الروح عن مقامها الكريم(١)

أخرج الترمذي وابن ماجه والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**». قال العلماء: معلقة أي محبوسة عن مقامها الكريم.

وأخرج الطبراني، عن أنس قال: كنا عند النبي ﷺ وأتي برجل يصلي عليه فقال: «**هل على صاحبكم دين**» قالوا: نعم. قال: «**فما ينفعكم أن أصلي على رجل روحه مرتهن في قبره لا يصعد روحه إلى السماء، فلو ضمن رجل دينه قمت فصليت عليه، فإن صلاتي تنفعه**».

وأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي والأصبهاني في الترغيب، عن سمرة ابن جندب أن النبي ﷺ صلى صلاة الصبح فقال: «**أههنا أحد من بني فلان؟ فإن صاحبكم قد احتبس عند باب الجنة بدين عليه، فإن شئتم فأفدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله**».

وأخرج أحمد والبيهقي، عن جابر أن رجلا مات وعليه دين ديناران، فلم يصل

---

(١) شرح الصدور للسيوطي رحمه الله تعالى.

عليه النبي ﷺ فتحملهما أبو قتادة فصلى عليه، ثم قال له بعد ذلك بيوم: «**ما فعل الديناران؟ قال: إنما مات أمس، فعاد عليه من الغد، فقال: قد قضيتهما فقال: الآن بردت عليه جلدته**».

وأخرج البزار والطبراني، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم قال: «**ههنا أحد من هزيل؟ إن صاحبكم محبوس على باب الجنة بدينه**».

وأخرج أحمد عن سعيد بن الأطول قال: مات أبونا وترك ثلاثمائة درهم وعيالا ودينًا، فأردت أن أنفق على عياله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أباك محبوس بدينه فاقض عنه**».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «**صاحب الدين مأسور بدينه يشكو إلى الله الوحدة**».

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن شيبان بن حسن قال: خرج أبي وعبد الواحد بن زيد إلى غزو، فهجموا على ركية واسعة عميقة فإذا بهمهمة فيها، فدخل أحدهما الركية، فإذا هو برجل على لوح جالس وتحته الماء فقال: أجني أم إنسي؟ قال: بل إنسي. قال: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل أنطاكية، وإني مت، فحبسني ربي هنا بدين علي، وإن لدي بأنطاكية ما يذكروني ولا يقضون عني، فخرج الذي كان في الركية، فقال لصاحبه: غزوة بعد غزوة امشوا حتى نقضي عنه دينه، فذهبوا حتى قضوا ذلك الدين، ثم رجعوا إلى موضع الركية، فلم يروا ركية ولا شيئًا، فأمسوا وباتوا هناك، فإذا الرجل قد أتاهم في منامهم فقال لهم: جزاكم الله عني خيرًا، فإن ربي حولني إلى موضع كذا وكذا من الجنة حيث قضي عن ديني.

الفصل الثاني / الموت والقبر

١- أسباب عذاب القبر.

٢- ما ينجي من عذاب القبر.

٣- ما ينتفع به المؤمن بعد موته.

٤- ما لا ينتفع به المؤمن بعد موته.

قبض روح المؤمن

ما يكون قبيل قبض الروح:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولأن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»**[1]

حضور الملائكة عند الاحتضار:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١][2]. أي إن الذين أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى، ثم استقاموا على أداء فرائضه، وكان الحسن يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة وقوله تعالى ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قال مجاهد والسدي: يعني عند الموت قائلين ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ ﴾ أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه، ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء في حديث البراء ﷺ : **«قال إن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه، أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»** وقال زيد ابن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند

---

(١) رواه البخاري وأحمد في مسنده. وصحيح الجامع برقم ١٧٨٢.

(٢) وأخذت تفسيرها من تفسير ابن كثير وغيره وقيل إن الشيطان يحضر أيضا عند الاحتضار أعاذنا الله منه.

الاحتضار: نحن كنا أولياؤكم، أي قرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله تعالى، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس معكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور وفي الحديث: «**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**» قلنا يا رسول الله: كلنا يكره الموت، قال ﷺ: «**ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى، فأحب الله لقاءه، وقال إن الفاجر أو الكافر إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه**»(1). وأخرج ابن منده في باب الأرواح من طريق مجاهد عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ: قال: «إن المؤمن إذا حضر أتاه ملك في أحسن صورة وأطيب **ريح فيجلس عنده لقبض روحه وأتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة**».

سكرات الموت

تمني الموت: قال تعالى مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]. وعن مريم عليها السلام في قولها﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣].

وسيأتي في علامات الساعة حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**».

قال القرطبي معلقًا: لا تعارض بين هذه الترجمة والتي قبلها لما نبينه، أما يوسف عليه السلام، فقال قتادة: لم يتمن الموت لأحد نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى ﴾ [يوسف: ١٠١]، فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي: إذا جاء أجلي توفني مسلمًا، وهذا هو القول المختار في تأويل الآية عند أهل

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أنس ﷺ.

التأويل.

وأما مريم عليها السلام فإنما تمنت الموت لوجهين: **أحدهما:** أنها خافت أن يظن بها السوء في طهارتها فيفتنها ذلك. **الثاني:** لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور، والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم، والله أعلم.

وأما الحديث فإنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينــزل بالناس من فساد الحال في الدين، وضعفه وخوف ذهابه لا لضر ينــزل بالمرء في جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه، ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه السلام: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت** – ويروى أدرت – **في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»(١).

ومثل هذا قول عمر ﷺ: «اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر» فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله.

المؤمن يموت بعرق الجبين:

عن بريدة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**». وروي عن سلمان الفارسي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارقبوا للميت عند موته ثلاثاً: إن رشح جبينه، وذرفت عيناه، وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإن غط غطيط البكر المخنوق، وخمد لونه، وازبد شدقاه، فهو عذاب من الله تعالى**»

قال عبد الله: إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه فيجازف بها عند الموت، أي يجازي فيعرق لذلك جبينه.

قال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته؛ لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء في العينين، وذلك وقت الحياء، والكافر في عمى عن هذا كله، والموحد المعذب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حل به، وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة، فإنه

---

(١) أخرجه مالك.

ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحي من ربه، مع البشرى والتحف والكرامات.

قال القرطبي: وقد تظهر العلامات الثلاث، وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان، وقد شاهدنا عرق الجبين وحده، وذلك بحسب تفاوت الناس في الأعمال، والله أعلم.

وفي حديث ابن مسعود: «موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الكرب فيجازف بها عند الموت»، أي يشدد لتمحص عنه ذنوبه.

خروج نفس المؤمن والكافر.

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن نفس المؤمن تخرج رشحًا، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها**»(١).

إن للموت سكرات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

وقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

فللموت شدة، يلاقيها العبد بألم شديد، وهذا هو رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيسمح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**».

ثم نصب يديه فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومالت يده.

وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو الذي كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، فما بالك بالعبد الضعيف، نسأل الله السلامة.

يقول الشيخ الغزالي في الإحياء: "اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرًا بأن ينغص

---

(١) أخرجه أبو نعيم.

عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته.. وحقيقًا بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده.. كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك".

وقال لقمان لابنه: "يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك، والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذاته وفسد عليه عيشه.. وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النـــزع وهو عنها غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور"[(١)].

خرج الترمذي عن عائشة ﵂ قال: ما أغبط أحدًا بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ.

وذكر المحاسبي "الرعاية": أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «**يا خليلي كيف وجدت الموت؟**»قال: كسفود محمي جعل في صوف رطب، ثم جذب، قال: «**أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم**».

وروي أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله، قال له ربه: **يا موسى كيف وجدت الموت؟**، قال: وجدت نفسي كالعصفور الحي حين يقلي على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير، وروي عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة تسلخ بيد القصاب[(٢)]، وهي حية.

وفي الخبر من حديث حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «**إن الملائكة تكتنف العبد، وتحبسه، ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت**»، وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه السلام إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: «وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن». ذكره القاضي أبو بكر بن العربي، وعن شهر بن حوشب قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته؟ فقال: «**إن أهون الموت**

---

(١) الإحياء (٤/٤٤٥) ط/الحلبي.

(٢) القصاب: الجزار.

بمنــزلة حسكة كانت في صوف، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف؟»، قال شهر: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه؟ إنك لتقول لنا: ليتني كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبًا عن نزول الموت حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت، فقال: يا بني، والله كأن جنبي في تخت، وكأني أتنفس من سَمِّ إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي، ثم أنشأ يقول:

ليــتني كــنت قــبل مــا قــد بدا لي في تــلال الجــبال أرعــى الوعــولا

وعن أبي ميسرة رفعه قال: **«لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء والأرض لماتوا جميعًا»**. وأنشدوا:

أذكـــر المـــوت ولا أرهـــبه إن قلـــبي لغلـــيظ كالحجـــر
أطلـــب الدنـــيا كـــأني خالـــد ووراـــي المـــوت يقفـــو بالأثـــر
وكفـــى بالمـــوت فـــاعلم واعظًـــا لمـــن المـــوت علـــيه قـــد قـــدر
والمنـــايـــا حـــولـــه رصـــد لـــيس نجـــي المـــرء مـــنهن المفـــر

النــزع:

شدة الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها، وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النــزع على شدة ما هم فيه، فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!!.

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق في جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضوع الذي أصابته الشوكة، إنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرًا وباطنًا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية

المنتشرة في سائر أجزاء اللحم، أما الجراحة فإنما تصيب الموضوع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النــزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنــزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم تراجع بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح وإنما يستغيث المضروب ويصبح لبقاء قوته وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه؛ لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه، فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة، ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وغرغرة من حلقه وقدره وقد تغير لونه وأريد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم ينتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعها وتخضر أنامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه، ولو كان المجذوب عرقًا واحدًا لكان ألمه عظيمًا فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًا فتبرد أولا قدماه ثم ساقه ثم فخذاه لكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة.

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: نعم يا أمير المؤمنين: إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى.

وقال النبي ﷺ: **«إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن**

مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: عليك السلام، تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»، اهـــ.

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه، فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا من سكرات الموت بقية الدواهي، فدواهي الموت ثلاثة:

الأولى: شدة النزع.

الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب، فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته.

روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عنه، ثم التفت، فإذا برجل أسود قائم الشفر منتن الريح أسود الثياب يزج من فيه ومناخيره لهب النار والدخان، فغشي على إبراهيم عليه السلام، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه.

الشيطان يحضر الميت:

قال القرطبي في التذكرة: روي عن النبي ﷺ: «**إن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه على صفة أبيه، يقول له: يا بني إني كنت عليك شفيقًا ولك محبًّا، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان، والذي على شماله على صفة أمه، تقول له: يا بني إنه كان بطني لك وعاء، وثدي لك سقاء، وفخذي لك وطاء، ولكن مت على دين اليهود وهوخير الأديان**».

ذكره أبو الحسن القابسي في شرح ابن أبي زيد له، وذكر معناه أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة، وإن عند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تعرض عليه الفتن، وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة واستعملهم عليه ووكلهم به، فيأتون المرء وهو على تلك الحال فيتمثلون له في صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصح في دار الدنيا، كالأب والأم والأخ والأخت

والصديق الحميم، فيقولون له: أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن فمت يهوديًّا فهو الدين المقبول عند الله تعالى، فإن انصرم عنهم وأبى، جاءه آخرون وقالوا له: مت نصرانيًّا فإنه دين المسيح وقد نسخ الله به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه وهو معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران: ٨].

أي لا تزغ قلوبنا عند الموت، وقد هديتنا من قبل هذا زمانًا، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتًا جاءته الرحمة، وقيل: هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين، ويمسح الشحوب عن وجهه فيبتسم الميت لا محالة، وكثير من يرى متبسمًا في هذا المقام فرحًا بالبشير الذي جاءه من الله تعالى، فيقول: يا فلان أولم تعرفني؟ أنا جبريل، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة، فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، وهو قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتي.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت وفاة أبي أحمد، وبيدي الخرقة لأشد لحييه، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده: لا بعد لا بعد، فعل هذا مرارًا، فقلت له: يا أبت أي شيء ما يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتني وأنا أقول: لا بعد، لا حتى أموت.

قال القرطبي: "وقد سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي بثغر الإسكندرية يقول: حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فكان يقول: لا، لا، فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال: أتاني شيطانان عن يميني، وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهوديًّا فإنه خير الأديان، والآخر يقول:مت نصرانًّا، فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا إلي تقولان هذا؟، وقد كتبت بيدي في كتاب الترمذي والنسائي عن النبي ﷺ: «**إن الشيطان يأتي أحدكم عند موته فيقول: مت يهوديًّا، مت نصرانيًّا**»، فكان الجواب لهما. لا لكم.

قلت: ومثل هذا عن الصالحين كثير يكون الجواب للشيطان: لا، لمن يلقنه

الشهادة، وقد تصفحت كتاب الترمذي أبي عيسى، وسمعت جميعه، فلم أقف على هذا الحديث فيه، فإن كان في بعض النسخ فالله أعلم.

وأما كتاب النسائي فسمعت بعضه، وكان عندي كثير منه، فلم أقف عليه وهو نسخ، فيحتمل أن يكون في بعضها، والله أعلم.

صفة ملك الموت:

روي عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له: اصرف وجهك عني فصرف، ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له: والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئًا سوى وجهك كفاه ثم قال لـــه: أرني كيف تقبض روح الكافر، فقال له: لا تطيق ذلك، قال: بلى أرني، قال: اصرف وجهك عني فصرف وجهه عنه، ثم نظر إليه، فإذا صورة إنسان أسود رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما أنت راء من الصور، تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال له: والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه!.

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم -: لا يتعجب من كون ملك الموت يُرى على صورتين لشخصين، فما ذلك إلا مثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلقة في الصحة والمرض والصغر والكبر والشباب والهرم، وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبة الوجه بتغير اللون بلفح الهواجر في السفر، غير أن قضية الملائكة عليهم السلام يجري ذلك منهم في اليوم الواحد والساعة والواحدة، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا في الأوقات المتباعدة والسنين المتطاولة، وهذا بين فتأمله.

وقالوا: وأما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع، فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حتمية ذلك إلا الذي يبتدئ له ويطلع، وإنما هي أمثال تضرب وحكايات تروى.

ما الموت

الموت ضد الحياة، والحياة هي تعلق الروح بالبدن إلى أجل محدود، وعلى ذلك فالموت هو نزع الروح من البدن، أو الموت هو انعدام الحياة التي عرفها الإنسان.

والموت مخلوق خلقه الله (تعالى) بقدرته لقوله (تعالى): ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ

وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] ولقد ذكر الموت في القرآن الكريم ١٧٥ مرة.

والموت هو انتقال من دار إلى دار ومن صور الحياة إلى صور أخرى فلا بد للإنسان أن يمر بهذه المراحل.

١- بطن الأم. ٢- مدة وجوده في الدنيا.

٣- عالم البرزخ الذي بعد الموت.

٤- ما بعد قيام الساعة من جنة أو نار ويسمى دار القرار.

فائدة: قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى[(١)] للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها.

الأولى: بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر.

الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولى إلى هذه.

الرابعة: الدار التي لا دار بعدها دار القرار، الجنة أو النار، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى.

قلت: ويدل لما ذكره في الثالثة ما أخرجه ابن أبي الدنيا مرفوعًا: **«إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه، حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت، فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه»**

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا كمثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا»**.

---

(١) كتاب شرح الصدور للسيوطي ص٢٦٩.

وقال الإمام ابن القيم[1]: إن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثًا دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار وجعل سبحانه وتعالى لكل دارًا أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعًا لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعميها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هنا ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحط بهذا الموضع علمًا وأعرفه كما ينبغي وقد أرانا الله تعالى من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلا والبدن تبع له، فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح أثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوم والظمأ وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس فإذا كانت الروح تتألم وتنضم ويصل ذلك إلى بدنها بطريقه الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم الحشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا أبديًّا أصلا.

ذكر القبر في القرآن الكريم

ذكرت كلمة القبر في القرآن الكريم في حوالي ثمانية مواضع في سور متفرقة

---

(١) في كتابه الروح ص ٨٨- ٩٠.

وسوف أذكر بحول الله تعالى وقوته هذه الآيات وبالله التوفيق والسداد:

١- ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠، ٢١].

٢- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤].

٣- ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج:٧].

٤- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢].

٥- ﴿ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

٦- ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٤، ٥].

٧- ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩، ١٠].

٨- ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢].

بحث في لفظ القبر

روينا[1] قبر: القبر: مدفن الإنسان، وجمعه قبور، والمقبر المصدر، والمقبرة بفتح الباء وضمها: موضع القبور، والمقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم. والمقبر أيضًا موضع القبر وهو المقبري: والمقبرة واحدة المقابر، قال عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

أزور وأعــــتاد القـــــبور، ولا أرى ... ســـوى رمـــس أحجـــار عليه ركود

لكـــــل أنــــاس مقـــبر بفـــنائهم ... فهـــم ينقـــصون والقـــبور تـــزيد

وفي الحديث: نهي عن الصلاة في المقبرة، هي موضع دفن الموتى وتضم باؤها

(١) لسان العرب ص٩- ١٠ ج١١

وتفتح، وإنما نهي عنها لاختلاط ترابها بصديد الموتى ونجاساتهم، والحديث «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**» أي لا تجعلوها لكم كالقبور لا تصلون فيها لأن العبد إذا مات وصار في قبره لم يصل ويشهد له قوله فيه: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**»(١)، وقيل: معناه لا تجعلوها كالمقابر التي لا تجوز الصلاة فيها. وقبره يقبره ويقبره: دفنه وأقبره جعل له قبرًا وأقبر إذا أمر إنسانًا بحفر قبر قال أبو عبيدة: قالت بنو تميم للحجاج(٢) وكان قتل صالح بن عبد الرحمن: أقبرنا صالحًا أي ائذن لنا في أن نقبره فقال لهم: دونكموه، وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢١] أي جعله مقبورًا ممن يقبر ولم يجعله ممن يلقي للطير والسباع ولا ممن يلقي في النواويس، كأن القبر مما أكرم به المسلم. ومما أكرم به بنو آدم، ولم يقل فقبره لأن القابر هو الدافن بيده، والمقبر هو الله تعالى لأنه صيره ذا قبر، وليس فعله كفعل الآدمي، والإقبار أن يهيئ له قبرًا أو ينـــزله منـــزله، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الدجال ولد مقبورًا يعني أن أمه وضعته وعليه جلدة مصمتة ليس فيها شق ولا نقب، فقالت قابلته: هذه سلعة وليس ولدًا فقالت أمه: بل فيها ولد وهو مقبور فيها فشقوا عنه فاستهل(٣) .وأقبره جعل له قبرًا يوارى فيه ويدفن فيه، وأقبرته: أمرت بأن يقبر، وأقبر القوم قتيلهم: أعطاهم إياه يقبرونه، وأرض قبور: يعني غامضة ا.هـــ

هذا والنبي ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»(٤) يأهل مصر: يا علماء مصر هناك فرق بين القبر والمقصورة، أوجه سؤال إلى كل مسلم أو عالم في

(١) متفق عليه وانظر رياض الصالحين برقم ١١٣٠.

(٢) الحجاج الثقفي المجرم السفاح. قال في الروضة الندية وقد أحصى الذين قتلهم الحجاج من الصحابة والتابعين فبلغوا مائة ألف وعشرون ألفًا. هذا السفاح كان في سجنه واحدًا وثمانين ألف أسير بدون جرم. مر هذا الفاجر يوم الجمعة فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ قيل أهل السجون يقولون: قتلنا الحر فقال: قولوا لهم "اخسئوا فيها ولا تكلمون. فما عاش بعد إلا أقل من جمعة. انظر ص ٣٢٢ موارد الظمآن.

(٣) استهل: أحدث صوتًا.

(٤) رواه الموطأ ص ١٥٦.

مصر المحروسة، من أين أتيتم بدليل هذه المقصورة والقباب والمقامات؟ هل رأيتم قبر الحبيب المصطفى ﷺ؟ هل رأيتم بقيع الغرقد؟ اتقوا الله في هدي نبيكم ﷺ.

القبر هو البرزخ

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ [الفرقان: ٥٣] أي حاجزًا، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ أي من أمامهم ومن بين أيديهم. روى هناد بن السري قال حدثنا: محمد ابن الفضيل ووكيع عن مطر قال:

سألت مجاهدا عن قول الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قال: هو ما بين الموت والبعث وقيل للشعبي: مات فلان قال: "ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة هو في برزخ".

فالبرزخ حياة ثانية تتوسط حياتين: حياة دنيوية تبدأ بالولادة وتنتهي بالوفاة، وحياة أخروية تبدأ بالنفخ والبعث والنشور وتنتهي بالحساب والثواب وبالنعيم أو العذاب.

إذن فحياة البرزخ تبدأ من لحظة الوفاة إلى وقت النفخة الأولى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣].

هذه الحياة البرزخية ليست ومضة عابرة أو فترة قصيرة بل هي حياة بكل ما تحتمله، وبكل ما تحمله كلمة حياة من معان وأجواء، وفيها حساب وفيها نعيم وفيها مساءلة.

وحياة البرزخ ليست امتدادًا للحياة الدنيا، فهي مغايرة لها، وليست على شاكلتها، فما رجع أحد من الحياة البرزخية إلى دنيانا حتى يكون شاهد صدق على أنها امتداد دنيوي وهي أيضًا ليست الحياة الأخروية لأن الحياة الأخروية لها ميقات وأشراط وعلامات ما زالت في علم العليم الحكيم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] فالحياة البرزخية إذن حياة بين حياتين... حياة فيها حياة.. تحلل فيها الميت من عتمته وظلامه وطينيته ودخل منطقة الروح والحق والنور، فرأى

فيها ما حجب عنه في دنياه وأبصر ما غطى عليه، وعلم فيها ما كان وما سيكون قال تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق:٢٢].

ورأى منها مكانه في العالم الأخروي ومكانته يوم القيامة مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: **«ما من عبد ينزل في قبره إلا ويعرف مكانه في الآخرة أشقي أم سعيد»**.

جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له:ما كنت تقول في هذا النبي محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي ﷺ يراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت[١] ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»**[٢].

في الحياة البرزخية صديقون وشهداء أحياء في قبورهم وفيها جاحدون كافرون معذبون في رمسهم.

وفيها رسل الله تعالى من ملائكة وأنبياء يعيشون في أجوائها يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون.

فالأنبياء أحياء في قبورهم.. يحيون حياة برزخية وقد التقى بهم رسول الله ﷺ ليلة أسري به وتحدث معهم وصلى بهم.

يقول الرسول ﷺ: **«ليلة أن أسري بي التقيت في السماء بإبراهيم فقال لي: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان[٣] وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر والتقى بآدم عليه السلام. والتقى بموسى وهارون وداود وسليمان وإدريس ويحيى**

---

(١) لا علمت ولا نطقت.

(٢) الإنس والجن.

(٣) أرض مستوية.

وعيسى عليهم السلام ».

وفي البرزخ شاهد رسول الله ﷺ الكثير من المشاهد البرزخية... رأى منازل ودرجات العابدين العاملين.. ورأى دركات المخالفين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الإلهية، أو تهاونوا فيها أو تثاقلوا عنها..

إذن فالرسول محمد ﷺ وكذلك سائر الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أحياء في برزخهم حياة لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى ..حياة كحياة هؤلاء الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤].

بدع المقابر(١)

يتسن الزيارة للمقابر لأخذ العبرة والعظة وحتى يرى الإنسان مصيره الذي لا مفر منه لذا وجب أن يكون لأخذ العبرة هذا متسما بالهدوء ومحليا بالتجرد من أعمال الدنيا الفانية..

ولكن هيهات أن يترك أهل البدع مكانا لا يدخلون فيه بدعهم وظلمات أفكارهم حتى يهدروا الشريعة وحتى لا يبقى في الدين إلا اسمه.

ونسوق هنا بعض البدع التي نراها عند القبور على أنها ليست من دين الله تطبيقا لحديث: **«كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»** وحديث **« أصحاب البدع كلاب أهل النار ».**

١- من بدعها اتخاذها موسما وعيدا ومبيتا وملعبا للأطفال وسوقا للبيع والشراء في عطلات الأسبوع (الجمعة) وفي المواسم كعطلة رجب والأعياد بل تجد

(١) من كتاب هذه دعوتنا للشيخ عبد اللطيف مشتهري. وكتابنا بدع المقابر والمآتم بتحقيقنا.

عند أضرحة أهل بيت رسول الله ﷺ إذا صح وجودهم بها[(١)] تجد الناس وقد أسموها حرما وقد جعلوا لكل ولي ليلة فيها تقام حضرته أضف إلى ذلك تبرج النسوة والصخب والشرك بسؤال الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله، والاختلاط والخلوة المحرمة في مواطن العبرة والخشية والرعدة من رهبة الموت، وقد قال بعض الصالحين (إذا رأيتم أحدًا يأكل عند المقابر أو يضحك فاعلموا أنه مطموس القلب بعيد عن رحمة الله لأنه عبث في موطن الخوف).

وقد روى غير واحد حديث «**إن الله يكره لكم ثلاثة العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر**».

٢- ومن البدع الجلوس على المقابر أو وطؤها وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وحذر حيث قال: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتخلص إلى ثيابه ثم تخلص إلى بدنه فتحرقه أهون من أن يجلس على قبر**» رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

وكما أن الجلوس على القبر منهي عنه كذلك الاتكاء والاستناد حيث قال عمر بن حزم "رآني رسول الله ﷺ متكئا على قبر فقال: «**لا تؤذ صاحب القبر**».

٣- ومن أشد بدع المقابر التبول والتغوط عليها والتقذير لها فإن لها حرمة وقد روى أحمد ومسلم حديث «**زوروا المقابر فإنها تذكر الموت والآخرة**» وزاد أحمد فإن فيها عبرة»».

فكيف يكون موطن العبرة مقذرًا أو مكانًا للنجاسات - وهل يرضى أحد ممن يفعلون ذلك أن يضع أحد على قبره ما تأنف الإنس والملائكة منه ولا ترضاه إلا كفرة الجن.

٤- ومن البدع المنكرة في المقابر وضع الشموع عليه وزيارة النساء لها وفي الحديث «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه داود والترمذي.

لأن وضع النار على من في القبور من أشد ما يتأذى به الميت حتى أن الفقهاء

---

(١) انظر كتاب رأس الحسين للإمام ابن تيمية.

قرروا ألا نضع في القبر حجرا دخل النار دون ضرورة.

ومن البدع التي يجهلها الكثير وقف الأموال على مقبرة ما أو الأطيان باسم الرحمة أو قراءة القرآن بما هو معهود الآن أو إقامة الحيشان وغرس الأشجار والصبار ووضع الرياحين لأنه تعطيل وحبس للأموال لحساب الأموات على حساب الأحياء حتى وإن كان غير ذي قربى فهم أولى.

أما قراءة القرآن واستئجار المقرئين للتلاوة عند القبور وفي البيوت في موضع خروج الروح وفي السرادقات فهذا عمل قد لا يقبله الله سبحانه وتعالى[١] لأن هذا القارئ إذا لم يعلم أنه سيأخذ أجرا على قراءته ما قرأ فالقراءة ليست لله ولكنها للمال وهذا أفضل عن أنها عمل يقصد به غير وجه الله هذا بالنسبة للقارئ أما بالنسبة لمستأجر القارئ فمن أين له أن هذا العمل في ميدان الدين وهل ثبت الدليل لديه أن الله يقبل هذا العمل علاوة على ما في ذلك من التباهي والرياء والإسراف وضياع الوقت والحديث يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» واشترط الصلاح في الولد لوصول ثواب الدعاء فكيف بحال القارئ الذي لا نعلم له ظاهرًا ولا باطنًا. وإذا كنت مخلصا لهذا الميت فتعلم القرآن وتلاوته وصل الصلاة في ميقاتها وصم شهرك من غير فسوق وأد حقوق ربك كلها وحقوق الخلق بالحسنى ثم ادع لمن شئت فإنك مجاب بإذن الله وعلى فرض أن القراءة كانت صحيحة فإن خديجة كانت أحب الناس لرسول الله ﷺ ومع هذا لم يفعل لها ذلك وحمزة عمه سيد الشهداء وسعد بن معاذ وكثير غيرهم لم يثبت أنه قرأ لهم قرآنا فالثابت هو الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء ما على الميت من زكاة أو حج أو صيام أو ديون أو عهود وعقود.

ومن الفظائع الخشوع للميت عند زيارته والاستئذان منه للدخول عليه كل هذا من عبادة وتعظيم غير الله وقد يحلف أحدهم بالله خمسين مرة كذبا دون مبالاة ولكنك لو أردت اختباره وطلبت منه الحلف بصاحب الضريح فزع وخاف من سوءا العاقبة التي زعم أنها ستحل به من الولي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر باب لا ينفع الميت.

أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]وفي آية أخرى: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء:٧٧]، وقد لا يستطيع أحدهم أن يقوم على عمل ما مهما دللناه على الاستخارة الشرعية والاستشارة الدينية إلا بعد أن يمنحه شيخه سادن الضريح إذنا بالعمل مهما كانت النتيجة وجعلوهم بمنزلة الأحبار والرهبان الذين يدعون أن ما يحلونه هم في الأرض يحله الله في السماء وما يحرمونه يحرمه الله تعالى عما يقولون علوًّا كبيرا.

وأخيرا لزم التنويه بأن زيارة المقابر الخالية من البدع بغرض أن ينفع الزائر نفسه بالعبرة وأن ينفع الميت بالدعاء له والاستغفار مطلوبة وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وكان رسول الله ﷺ إذا زار المقابر يقول «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن إن شاء الله بالأثر**»وفي رواية «**السلام على أهل الديار من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم رب هذه الأجساد البالية والأرواح الباقية التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ادخل عليه روحا من عندك (أي راحة) وسلاما مني اللهم زد في حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم ارفع في درجاتهم ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم اللهم ارحمهم في الغابرين (الماضيين) وارفع درجاتهم في المهديين** ».

فظاعة القبر وسهولته وسعته على المؤمن[١]

١- أخرج الحاكم وابن ماجه والبيهقي وهناد في الزهد، عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته[٢] فيقال له: تذكر الجنة

---

(١) أخذت هذا الباب من كتاب شرح الصدور للإمام السيوطي وعليه تقع مسئولية العلم.

(٢) وهذا دليل قوي على وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها إلى جانب الأدلة التي رواها البخاري وغيره انظر كتابنا "اللحية في ضوء الكتاب والسنة".

والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا، فيقول: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» وقال رسول الله ﷺ: «**وما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه**».

٢- وأخرج ابن ماجه، عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير قبره فبكى وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: «**يا إخوتي لمثل هذا فأعدوا**».

٣- وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمر قال: توفي رجل بالمدينة، فصلى عليه رسول الله ﷺ فقال: «**يا ليته قد مات في غير مولده**» فقال رجل من الناس لم يا رسول الله؟ قال: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**».

٤- وأخرج أبو القاسم بن منده، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله**».

٥- وأخرج ابن منده، عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**».

٦- وأخرج البيهقي في عذاب القبر، وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «**القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة**».

٧- وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، والصابوني في المائتين، وابن منده، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1] أنه خطب فقال: «القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة إلا وأنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الدود، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة».

٨- وأخرج ابن منده، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن في قبره في روضة خضراء يرحب قبره سبعين ذراعًا وينور له كالقمر ليلة البدر**».

٩- وأخرج علي بن معبد، عن معاذة قالت: قلت لعائشة رضي الله عنها ألا

---

(١) كرم الله وجهه لأنه لم يسجد لصنم أبدا.

تخبرينا عن مقبورنا ما يلقي وما يصنع به! فقالت: إن كان مؤمنًا فسح له في قبره أربعون ذراعًا.

قال القرطبي: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر[1] والسؤال وأما الكافر فلا يزال قبره ضيقا عليه وقوله ﷺ: «**وإنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز وأن القبر يملأ على المؤمن خضرا، وهو العشب من النبات وقد عينه ابن عمر، وفي حديثه أنه الريحان، وذهب بعض العلماء إلى حمله على المجاز،وأن المراد خفة السؤال على المؤمن وسهولته عليه، وأمنه وطيب عيشه وراحته وسعته عليه بحيث يرى مد بصره، كما يقال فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة، وكذا في ضده قال القرطبي والأول أصح.

١٠- وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن وهب ابن منبه قال: كان عيسى عليه السلام واقفا على قبر ومعه الحواريون فذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه، قال عيسى كنتم في أضيق منه في أرحام أمهاتكم، فإذا أحب الله تعالى أن يوسع وسع.

١١- وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن أبي غالب صاحب أبي أمامة: في الشام حضره الموت، فقال لعمه: أرأيت لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ فقال: إذن والله كانت تدخلك الجنة. قال: فوالله أرحم بي من والدتي، فقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فقمنا باللبن فسويناه عليه، فسقطت منه لبنة، فوثب عمه فتأخر، فقلت: ما شأنك قال: ملئ قبره نورا وفسح له مد بصره.

١٢- وأخرج من طريق محمد بن أبان، عن حميد قال: كان لي ابن أخت فذكر شبيها بهذه الحكاية إلا أنه قال: فاطلعت في اللحد فإذا هو مد بصري، قلت لصاحبي: رأيت؟ قال: فليهنك ذلك قال: فظننت أنه بالكلمة التي قالها.

١٣- وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت،عن أبي بكر ابن مريم، عن الأشياخ قال: كان شيخ من بني الحضرمي بالبصرة، وكان شيخا صالحا وكان له ابن أخ

(١) أي ضمة القبر والتي لا نجاة لأحد منها.

يصحب القينات[١]، فكان يعظه فمات الفتى، فلما أنزله عمه في قبره، فسوى عليه التراب شك في بعض أمره، فنـــزع بعض اللبن ونظر في قبره، فإذا قبره أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فرد عليه اللبن ثم سأل امرأته عن عمله فقالت كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله يقول: وأنا أشهد ما شهدت به، وألقنها من يتولى عنها.

١٤- وقال أبو الحسن البراء: حدثني عبد الرحمن بن أحمد النخعي، قرأته لشريك بن عبد الله قال: صليت بالكوفة على ميت، ثم دخلت قبره فبينما أنا أصلح عليه اللبن وقعت لبنة من القبر، وإذا أنا بالكعبة والطواف قد مثلا لي في القبر[٢].

١٥- وفي كتاب الديباج لأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الجبلي سمعت عبد الله بن محمد العبسي يقول حدثني عمرو بن مسلم عن رجل حفار للقبور قال: حفرت قبرين وكنت في الثالث، فاشتد علي الحر، فألقيت كسائي على ما حفرت واستظللت فيه، فبينما أنا كذلك إذا رأيت شخصين على فرسين أشهبين، فوقفا على القبر الأول، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: فرسخ في فرسخ، ثم تحولا إلى الثاني، فقال: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: مد البصر، ثم تحولا إلى الثالث الذي أنا فيه، فقال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: فتر في فتر، فقعدت أنظر الجنائز، فجيء برجل معه نفر يسير، فوقفوا على القبر الأول. قلت: من هذا الرجل؟ قالوا: إنسان قراب يعني سقاء ذو عيال، ولم يكن له شيء، فجمعنا له دراهم، فقلت، ردوا الدراهم على عياله ودفنته معهم، ثم أتى بجنازة ليس معها إلا من يحملها، فسألوا عن القبر، فجاءوا إلى القبر الذي قالا مد البصر. قلت: من هذا الرجل؟ فقالوا: إنسان غريب مات على مزبلة، ولم يكن معه شيء، فلم آخذ منهم شيئًا ودفنته، وقصدت أنظر الثالث، فلم أزل انتظره إلى العشاء، فأتي بجنازة امرأة لبعض القواد[٣]، فسألتهم الثمن، فضربوا برأسي، ودفنوها فيه[٤].

---

(١) أي: المغنيات والراقصات.

(٢) انظر كتاب شرح الصدور للسيوطي وهذه الرواية في النفس منها شيء.

(٣) قواد الجيش.

(٤) أي أزاحوه بعيدًا ودفنوها ولم يعطوه شيئًا.

١٦- وأخرج ابن أبي الدنيا، عن جعفر بن سليمان قال: شهد رجل ميتا يدلى في حفرته، فقال: إن الذي سهل على الجنين في بطن إنه قادر أن يسهل عليك.

١٧- وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق أبي غطفان المري قال: قال عمر يا رسول الله: لو فزعتنا أحيانا لفزعنا، فكيف بظلمة القبر وضيقه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يتوفى العبد على ما قبض عليه**».

١٨- وأخرج الأجري في كتاب الغرباء، عن الصلت قال: حدثني أبو اليزيد رجل من أهل البحرين قال: غسلت رجلا ميتًا بالبحرين. فإذا مكتوب على لحمه طوبى لك يا غريب، فذهبت أنظر، فإذا هو بين الجلد واللحم.

١٩- وأخرج ابن عساكر في تاريخه، عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط قال: حضرت جنازة الأحنف بن قيس فكنت فيمن نزل قبره، فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصره، فأخبرت بذلك أصحابه فلم يروا ما رأيت.

٢٠- وأخرج ابن الحسن بن السري في كتاب كرامات الأولياء عن إبراهيم الحنفي قال: صلب الحجاج مهانة الحنفي على باب، وكان يصلب القراء على أبوابهم، فكنا نرى الضوء عنده في الليل.

٢١- وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو داود في سننه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى في قبره نور.

٢٢- وأخرج أبو نعيم، عن المغيرة بن حبيب أن عبد الله بن غالب الداني قتل في المعركة شهيدًا، .فلما دفن أصابه من قبره رائحة المسك، فرآه رجل من إخوانه في منامه قال: ما صنعت؟ قال: خير الصنيع. قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة. قال: بم؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد في قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ.

٢٣- وأخرج أحمد في الزهد، عن مالك بن دينار قال: نزلت في قبر عبد الله ابن غالب، فأخذت من ترابه، فإذا هو مسك، وفتن الناس به، فبعث إلى قبره فسوى.

الجلوس على القبر

عن عمارة بن حزم ﷺ قال: رآني رسول الله ﷺ جالسًا على قبر فقال: «يا

صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك». (رواه الطبراني في الكبير).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر»**[١]. (رواه مسلم وأبو داود).

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن أمشي على جمرة أو رضف**[٢] **أو أخصف** - يعني برجلي - **أحب إلي من أن أمشي على قبر»**. (رواه ابن ماجه بإسناد جيد).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «لأن أطأ على جمرة أحب إلي من أطأ على قبر مسلم». (رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«كسر عظم الميت ككسره حيا»**. (رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: **«السلام عليكم يأهل القبور يغفر الله لنا ولكم وأنتم سلفنا ونحن بالأثر»**. (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

بحث في لفظ الضريح

مفتي الجمهورية سابقا يقول

زيارة الأضرحة شرك بالله تعالى[٣]

وجه مدير الشؤون الدينية بالإذاعة عام ١٩٥٧ إلى فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتي الجمهورية رحمه الله تعالى سؤالين يتناولان أمرين هامين: هما زيارة الأضرحة والطواف حولها والتوسل بها. والنذر لغير الله، فأجاب فضيلة المفتي رحمه الله على

---

(١) يقصد الحفرة أو المكان المدفون تحته الميت ولم يقصد الشارع أو الطريق الذي بين أماكن الدفن.

(٢) الرضف: الحجارة المحماة.

(٣) كتاب الوثنية في ثوبها الجديد وكتابنا بدع الصوفية والكرامات.

هذين السؤالين بما يرضي الله سبحانه وتعالى حيث كانت الإجابة موافقة لما تعارفنا عليه من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف رضي الله عنهم أجمعين.

كان السؤال الأول:

ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء.

جـ: أود أن أذكر أولا أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد والإسلام يحارب جاهدًا كل ما يقرب بالإنسان من مزالق الشرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهي رواسب جاهلية.

فلو نظرنا على ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه.

ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة الشريفة، وكل طواف حول أي مكان آخر حرام شرعًا.

والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر بن الخطاب ﷺ وهو يقبله (والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعا.

وتأتي بعد ذلك مسألة الشفاعة، وهذه في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه، أو من بيده الأمر، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله لهم أن يشفعوا، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة.

وهؤلاء أيضًا يحددهم الله تعالى، إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمته، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي أحد كان فإن هذا عبث لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة، ومن يشفع لهم وعلى ذلك يتضح أن

زيارة الأَضرحة والطواف حولها، وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم: كل هذا حرام قطعا، ومناف للشريعة، فيه إشراك بالله.

وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق، فإن كثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التي تتنافى مع الإسلام وإذا أخذ بالرفق في هذا الأمر، فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم!!.

أما السؤال الثاني فهو

هل يجوز النذر لغير الله؟ مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ربع أرضه أو مبلغًا من المال لأحد الأولياء. وهل يقر الإسلام هذه النذور؟

ج: وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله.

والنذر لغير الله شرك. فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله. انتهى.

هل يرى الميت زوار قبره؟

هل يرى الميت زوار قبره حتى في غير يومي الخميس والجمعة؟

الجواب:

إنه قد ثبت ما يدل على أن الميت يعرف زوار قبره بعينهم ويسمع خطابهم ويرد عليهم السلام حتى في غير يوم الخميس والجمعة، وإن كان لهما أفضلية في ذلك كصبح يوم السبت فقد روى ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**». صححه أبو محمد عبد الحق.

ولم يقيد عليه الصلاة والسلام بيوم دون يوم بل أطلق. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور له بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: «إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام» وروى أيضا في كتابه المذكور بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**».

ويؤيد ذلك ما ورد في البخاري ومسلم عن أنس بن مالك من مخاطبته عليه الصلاة والسلام لقتلى قليب بدر بعد أن قذفوا فيه بأمره عليه الصلاة والسلام وقوله للصحابة لما تعجبوا من ذلك: « **لا والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابًا**[(١)] ». ومعلوم أن معرفة الأموات لزوارهم الأحياء معرفة ورؤية روحانية لا قلبية ولا بصرية لذهاب محال الحواس البدنية منهم بمجرد الموت، ولو بقيت الأجسام لنحو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كرامة لهم فليس الإدراك قائمًا بها بل قد اختص بالأرواح. وهذا لا ينافي تنعم الجسم أو تألمه تبعًا للروح.

رحم الله أمواتنا وجميع أموات المسلمين وألحقنا بهم على الإيمان الكامل آمين.

أين توجد روح الميت التقي

أين توجد روح الميت التقي؟ هل حقيقة توجد في الجنة أم أنها لا تذهب إليها إلا يوم القيامة؟

الجواب:

قد ذكر صاحب كتاب الروح ما يتعلق بمستقر الأرواح بعد الموت ولنذكر لك محصل ما قال هو وغيره باختصار رحمهم الله تعالى: وهو أنه قد وقع اختلاف بين العلماء في مستقر أرواح المؤمنين لا فرق بين شهداء وغيرهم في مدة البرزخ وهي ما بعد الموت إلى البعث فمنهم من قال: إنها عند الله تعالى في الجنة يتنعمون فيها بنعيمها إذا لم يحبسهم عنها كبيرة ولا دين ومنهم من قال: إنها بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها، ومنهم من قال: إنها على أفنية قبورها. ومنهم من قال: إنها في عليين مرسلة تذهب حيث شاءت من السماء والأرض. ومنهم من قال: إنها في السماء السابعة. ومنهم من قال: إنها في السماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام. ومنشأ هذا الخلاف ورود ما يدل لكل قول من الكتاب والسنة الصحيحة والآثار الصريحة والراجح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت على حسب تفاوتها في أعمالها في الدنيا ومنازلها عند الله تعالى.

---

(١) انظر ج٧ ص ٣٧٧ - قرطبي.

أما أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهو أعلى الجنان تحت العرش وهم فيه متفاوتون في منازلهم وأما أرواح الشهداء خصوصا الصديقين وأكابر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكذا بعض الناس من غير الصحابة فهي في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فيها حيث شاءت ما لم يحبس بعضهم عنها (أي بعض الشهداء) بكبيرة أو دين كما ورد في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ ومن الأرواح من يكون مقره على باب الجنة في السماء السابعة تنظر إلى منازلها في الجنة ولكنها لا تدخلها إلا يوم القيامة. ومنها من يكون مقره في الأرض محبوسة فيها لم تعل إلى الملأ الأعلى حيث كانت أرواحًا سفلية أرضية لم تتطهر من دنس المعاصي ولا تصلح لأن تجامع الأنفس السماوية حيث لم تجامعها في الدنيا بالعلوم والمعارف والطاعات.

وفقنا الله جميعًا لما فيه رضاه وحفظنا من فتن المحيا والممات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

ولنذكر لك بعضًا مما ورد من أدلة ما ذكر من الكتاب والسنة والآثار ثم نبين لك أنه لا تعارض بينها، ولذا كان الراجح في مستقر الأرواح هو ما علمت. قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]، حيث ذكر سبحانه وتعالى عقيب خروج الروح من البدن بالموت.وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام مقربين وأخبر أنها في جنة نعيم، وأصحاب يمين وحكم لها بالسلامة وهو يتضمن سلامتها من العذاب، ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم. قالوا وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠] وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا وهذا لا ينافي كونه يقال لها أيضًا عند البعث بشرى لها من الله تعالى في منازل الخوف. وروى الإمام مالك رحمه الله تعالى. في موطئه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر ملصق في شجر الجنة حتى**

يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» هذا حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد في مسنده والنسائي وغيره[١].

وأخرج أحمد والطبراني في الكبير بسند حسن عن أم هانئ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا؟ فقال رسول الله ﷺ: يكون النسم طيرا معلقا بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها.

وأخرج مسلم ويغره من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا «**أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش**» وأخرج أحمد وعبيد في مسنديهما والطبراني بسند حسن عن محمود بن عبيد عن ابن عباس مرفوعًا: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشيًّا**»[٢].

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقبلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا[٣] عن الحرب فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ** :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وروى أبو نعيم الأصبهاني بسنده عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ «**إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة**».

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خداش قال: سمعت مالك بن أنس ﷺ يقول:

---

(١) انظر ص٧٠ – راموز الأحاديث.

(٢) انظر ص ١٨٠ ج٤ رقم ٤٩٥٦ – فيض القدير.

(٣) نكل من باب دخل أي جبن.

«بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت» وقد روى في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ رأى أرواح ذرية المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام في سماء الدنيا. وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. وقال أيضًا في شرح حديث ابن عمر رضي الله عنهما: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة. قال وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك والله أعلم. وفيما ذكر من هذه الأدلة الكفاية وقد علمت الراجح في هذا المقام، وأعلم أنه لا تعارض بين تلك الأدلة لأن الأرواح في مستقرها في البرزخ ليست على ما عهد لها في الدنيا بل لها شأن آخر واتصال ببدنها أينما كانت في السموات أو في الجنة أو في الأرض إما لعظم جولانها وسريانها وشدة سرعتها وانتقالها وقرب ذهابها ورواحها إلى بدنها كحالها معه في حالة النوم في الدنيا فإنها تذهب إلى السموات وتدخل الجنة وترى ما فيها وتتنعم بنعيمها وترى ضد ذلك من النار والعذاب ويحصل من ذلك كله لبدنها نصيب تبعًا لها وهو بمكان نومه ثم ترجع إليه بأدنى تنبيه، وإما لكونه لها اتصال ببدنها في قبره كاتصال شعاع الشمس وهي بالسماء الرابعة بمن في الأرض، ولذا يسمع السلام ممن يسلم عليه عند قبره ويرد عليه السلام ويعرفه إن كان يعرفه في الدنيا، كما تقدمت الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك مع ما علمت من الآيات والأحاديث الدالة على أنها في الجنة وعلى بابها وفي السماء السابعة وفي السماء الدنيا وفي أعلى عليين فهي تكون في تلك الأماكن كلها وتكون على أفنية قبورها بالمعنى الذي عرفت على أن ما دل على أنها في السماء السابعة أو على باب الجنة لا ينافي ما دل على أنها في الجنة لأن الجنة في السماء السابعة وكذلك في العكس أو قيل إنها في الجنة مع كونها في السماء أو على باب الجنة لكون رزقها ونعيمها يأتي إليها من الجنة هذا بقطع النظر عن القول بالتفاوت وتوجيه كل دليل لما هو صالح للدلالة عليه عند الله وفي نفس الأمر. أما على القول به وهو الراجح كما علمت فلا يحتاج في دفع تعارض ما ظاهره متعارض من تلك الأدلة إلى أي تأويل كما هو ظاهر. جعلنا الله تعالى وإياكم ممن يكون

مستقرهم الملأ الأعلى ومأواهم الجنة يتنعمون فيها من حين الموت مع النبي الأواب وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله والأحباب.

تمثيل الأرواح بالصورة البشرية

هل تتمثل الأرواح بالصورة البشرية؟

الجواب:

الأرواح التي هي مظنة التمثيل بالصورة البشرية هي الملائكة والجن، وقد قرر العلماء جميعًا أن الملك يمكن تمثله بالصورة الكريمة دون القبيحة وأنه لا تحكم عليه الصورة بمعنى أن الصورة التي تمثل بها لو أصيبت لا تمس خلقته الأصلية بشيء بدليل لطم موسى عليه السلام لعين ملك الموت إذ أتاه في صورة بشر ففقأ عينه، بخلاف الجن فقد يتشكلون بالصور القبيحة وتحكم عليهم الصورة، وقد قرر القرآن أن روح الله تمثل لمريم عليها السلام بشرا سويًا، كما في سورة مريم ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧]وجاءت الملائكة للخليل إبراهيم في صورة آدميين يبشرونه بغلام عليم ولما صنع لهم طعامًا من العجل الحنيذ ورأى أيديهم لا تمد لطعامه أوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، ورآهم قوم لوط على صور بشرية جميلة فظنوهم بشرًا وقصدوهم بسوء وفاحشة فقال لهم لوط اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي. هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. وفي غزوة بدر كانوا يكثرون سواد المسلمين بصور الرجال المحاربين

﴿ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]وكان الصحابة يميزون بين قتلى الملائكة وقتلاهم بأثر سياط سود على العنق والأصابع. ومجيء جبريل في صورة دحية الكلبي أمر معلوم وكان يأتي في صورة رجل أبيض الثوب أسود الشعر لا يرى عليه أثر السفر، كما رواه مسلم وغيره في حديث تعليم الناس أمر دينهم وأخبرهم النبي ﷺ أنه جبريل. والنصوص في هذا متواترة مشهورة وفي هذا كفاية[١].

---

(١) انظر ج١ص٦٥ - الدين الخالص.

وللجن القدرة على التشكيل بإرادتهم الذاتية في صورة آدمية وعلى شكل معين وهيئة محددة من الإنسان وكذلك في صورة أية كائنات أخرى حية على اختلافها، كما في كتاب (عالم الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل) ص ٨٤، فلقد تشكلت في هيئة جنود سليمان عليه السلام ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]كما أن الرسول محمدًا ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**» رواه الخطيب والديلمي عن حذيفة[١].

أي أن الشيطان قد يتمثل بأي بشر سوى النبي ﷺ، أما شكل الجن الأصلي فإنه لا يرى لنا ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧]ولقد تمثل للنبي ﷺ ليلة ليقطع عليه صلاته فأمسك بعنقه وضغط حتى أحس بريقه على يده ثم تذكر دعوة أخيه سليمان فتركه، والنصوص أكثر من أن تحصر، والفرق بين النوعين (الملائكة والشياطين) وهو الفرق بين المتضادين الخير والشر والنفع والأذى (ولمة المسلك) إيعاد بالخير وتصديق بالحق، (ولمة الشيطان) إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، والمعصوم من عصم الله. أما أرواح الموتى فهي في برزخ إلى يوم يبعثون. والله يقول ﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢]وادعاء تحضيرها أو تمثلها ببشر خرافة ثبت بطلانها.

وقد ورد في فضل آية الكرسي عند تفسيرها جملة روايات في البخاري وغيرها، أن أبي بن كعب ﷺ كان له جرن فيه تمر يحرسه فوجده ينقص فوجد ذات ليلة دابة شبيهة بالغلام المحتلم فسلم عليه فرد السلام وسأله ما أنت؟ قال جني وناوله يده فإذا يد كلب وشعر كلب وسأله عن سبب دخوله فقال بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك، فقال أبي بن كعب فما الذي يجيرنا منكم، قال: آية الكرسي. فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « **صدق الخبيث** ». ورواه الحاكم في المستدرك بسند قال إنه صحيح.

وحدثت هذه القصة أيضًا لأبي أيوب، قال: وكانت الغول تجيء فتأخذ. رواه الترمذي وأحمد. والغول هي الجن إذا تبدى في الليل، كما حدث هذا لأبي هريرة

---

(١) انظر ص ٤٢١ – راموز الأحاديث.

نفسه وأن الشيطان شكا له فقرًا وعيالا. رواه البخاري والنسائي فهؤلاء ثلاثة من الصحابة تشكل لهم الجن بصورة بشرية وهناك رواية أبي عبيد أن عمر ﷺ لقيه جني وعرض عليه مصارعته فصارعه عمر فغلبه فقال له ما دمت قد غلبتني فسأعلمك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان "آية الكرسي" فقال له عمر: إني أراك ضئيلا كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال: إني بينهم لضليع ثم عاود مصارعته فصرعه عمر[١] قيل لابن مسعود راوي الحديث أهو عمر؟ فقال: من عسى أن يكون إلا عمر؟ وفي هذا القدر مقنع لمن أنصف.

في شبح القتيل

يعتقد أناس وخاصة في الريف أن من مات قتيلا يظهر له شبح في المكان الذي قتل فيه بمثل حركاته ونبرات صوته، كما كان في الحياة. فهل لذلك أصل في الدين؟

الجواب:

هذه خرافة نهى الدين عن اعتقادها وقد كان العرب يزعمون أن أرواح الموتى أو عظامهم التي بليت تصير طيرًا يسمى الهامة أو الصدى.

وأن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتقف عند قبره تقول: اسقوني وما يزال كذلك حتى يدرك بثأره فعند ذلك تطير ولا تعود.

وقد بدد الإسلام هذه العقيدة فيما بدد من المزاعم والأوهام وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه لا حقيقة لما يزعمون. روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**. قال أعرابي يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها **فقال: فمن أعدى الأول؟**» رواه البخاري ومسلم[٢].

---

(١) انظر ج١ ص٣٠٥ تفسير ابن كثير. وج٣ ص١٤ - الدين الخالص.

(٢) انظر ج٢ص٢٠٧ - هداية الباري (ولا صفر) بفتحتين هو تأخير المحرم إلى صفر في الشيء أو دابة بالبطن تعدى عند العرب ويحتمل أن يكون نفيًا لما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه =

ومراده بالنفي النهي عن هذا الاعتقاد الباطل ووجوب تطهير العقول من هذا الوهم الكاذب ومنه ما يزعمه جهلة العوام مع غرار تلك الخرافة العتيدة من ظهور روح القتيل في المكان الذي قتل فيه وذهابها ومجيئها بحركات تماثل ما كان عليه في حياته وكل هذا وهم وخيال منهي عن اعتقاده بدلالة هذا الحديث. والله أعلم[١].

التعوذ من عذاب القبر

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن[٢]، قولوا « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** » رواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قال: سمعني رسول الله ﷺ وأنا أقول اللهم امتعني بزوجي رسول الله[٣] وبأبي سفيان وبأخي معاوية، فقال: « **سألت الله لآجال مضروبة[٤] وأيام معدودة[٥] وأرزاق مقسومة[٦] لن يعجل شيئًا منها قبل أجله ولا يؤخره ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر كان خيرًا**

=

الدواهي والفتن (والهامة) بتخفيف الميم وحكى أبو زيد تشديدها وهي من طير الليل قيل هي البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم يعتقد أنها ناعية له نفسه أو بعض أهله (كأنها الظباء) في القوة والنشط وصفاء البدن من الأدواء.

(١) انظر ص ١٤٣ – فتاوى شرعية.

(٢) يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد في تعليمهم إياه وحفظهم له كما لو كان من القرآن وذلك ليدعوا به في آخر التشهد وفي الحديث الصحيح: «إذا تشهد أحدكم فيتعوذ من أربع: من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال».

(٣) يعني بحياته فهو دعاء له بطول العمر.

(٤) أي محدودة مسماة لا يزاد فيها ولا ينقص منها.

(٥) أي معلومة معينة.

(٦) أي مقدرة قد قسمها الله عز وجل بين عباده فلا يموت أحد منهم حتى يستوفي رزقه.

وأفضل[١]» . رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « **ما استجار عبد من النار**[٢] **سبع مرات**[٣] **إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلانا استجار مني فأجره**[٤] **ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا سألني فأدخله الجنة** ». رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة**[٥] **ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار**[٦]». رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه[٧].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة سيارة**[٨] **يتبعون مجالس الذكر فذكر الحديث إلى أن قال: فيسألهم الله –عز وجل – وهو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويكبرونك ويهللونك. ويحمدونك**[٩] **ويسألونك قال فما يسألون؟ قالوا:**

---

(١) أي لو كنت في دعائك قد طلبت من الله عز وجل أن يجيرك من النار أو عذاب القبر لكان أنفع لك لأنه دعاء بشيء ممكن الحصول. لذلك أردت أن أبدأ أبواب الكتاب بهذا الدعاء العظيم لأن الدعاء عبادة بل مخ العبادة.

(٢) أي طلب من الله عز وجل أن يجيره وينقذه منها.

(٣) بأن يقول سبع مرات بعد صلاة الصبح اللهم أجرني من النار ومثلها بعد صلاة المغرب.

(٤) أي فارحمه مني وأبعده عني.

(٥) يعني أن الجنة تسمع لدعاء هذا المشتاق إليها وتشفع له عند الله تعالى أن يدخله الجنة.

(٦) وكذلك النار تسمع لهذا المستغيث الطالب من الله أن يجيره من النار فتشفع له بذلك.

(٧) قال ابن ماجه "حدثنا هناد بن السري ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن زيد بن أبي مريم عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ ثم روى الحديث، وفي الحديث الحث على كثرة سؤال الجنة والتعوذ من النار.

(٨) أن يكثرون السير في الأرض متتبعين لمجالس الذكر يعني الذكر الشرعي وليس الذكر الذي يفعله بعض السفهاء من رقص وتمايل وضرب بالدف والمزمار مثل أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فأخذوا يرقصون حوله ويتواجدون.

(٩) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهي أفضل الكلام بعد القرآن. قلت إن الذكر الشرعي عن جلوس وفي السر، وكان صحابة رسول الله ﷺ يجلسون =

يسألونك جنتك قال: وهل رأوا جنتي (قالوا: لا أي رب، قال فكيف لو رأوا جنتي: قال ويستجيرونك قال: وبم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا قال: كيف لو رأوا ناري. قالوا: ويستغفرونك قال فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا)». الحديث رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وهو حديث عظيم نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يذكره ويدعوه ويستغفره.

أسباب عذاب القبر

عزيزي القارئ يجب أن تعلم أن كل هؤلاء لهم من عذاب القبر نصيب[1] فاحذر أيها المسلم الكريم أن تكون واحدا من هؤلاء فيكون لك من عذاب القبر نصيب:

١- النمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن.

٢- الداعي إلى البدعة فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

٣- القائل على الله ورسوله ما لا علم له به.

٤- آكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة.

٥- شارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة (الحشيش).

٦- الزاني واللواط والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر.

٧- آخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له.

٨- المحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه.

٩- مؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم.

١٠- الحاكم بغير ما أنزل الله والمبدل لشرع الله فيقدم القوانين الوضعية على حكم الله سبحانه.. وهذا بهتان عظيم.

=

بجواره وكأن على رؤوسهم الطير من الوقار.

(١) كتاب الروح ص١٠٥، ١٠٦. وكتابنا القبر أول منازل الآخرة وهذا ما يسميه العلماء (الترهيب أو التحذير) لكي يبتعد المؤمن عن هذه الخصال الذميمة.

١١- المفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان.

١٢- قاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله.

١٣- المعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها.

١٤- المقدم رأيه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ.

١٥- النائحة والمستمع إليها.

١٦- ونواجي جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله ﷺ والمستمع إليهم.

١٧- الذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج.

١٨- المطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه.

١٩- الجبارون والمتكبرون والذين يستعبدون الناس.

٢٠- والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف.

٢١- الذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم.

٢٢- أعوان الظلمة، الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.

٢٣- الذي إذا خوفته بالله وذكرت به لم يرع ولم ينـــزجر فإذا أخوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه.

٣٤- الذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ويرفع به رأسا فإذا بلغه عمن يحسن الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه.

٢٥- الذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه وادعى الطرب وود لو أن المغني لا يسكت.

٢٦- الذي يحلف بالله الكذب فإذا حلف بالبندق[1] أو برأس شيخه أو قريبه أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب.

٢٧- الذي يفتخر بالمعصية ويتكاثر بها بين إخوانه وأقربائه وهو المجاهر.

٢٨- الذي لا تأمنه على مالك وحرمتك.

---

(١) قال في لسان العرب. البندقة. بطن قيل أو قبيلة من اليمن. والبندق الذي يرمى به.

٢٩- الفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه.

٣٠- الذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلا.

٣١- الذي لا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج.

٣٢- الذي لا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة.

٣٣- الذي لا يبالي بما حصل المال من حلال أو حرام.

٣٤- الذي لا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويراشي ويرائي العالمين ويمنع الماعون.

٣٥- الذي يشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنوبه.

أخي أوصيك ونفسي بالابتعاد عن هذه الصفات الذميمة، وعليك بالعمل بالكتاب والسنة المطهرة ومن حبي لك وخوفي عليك أهدي لك الباب الذي بعده (الأسباب التي تنجيك من عذاب القبر).

القبر باب وكل الناس داخله والموت كأس وكل الناس شاربه

حديث جامع في المنجيات من عذاب القبر.

أخرج الطبراني في الكبير، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والأصبهاني في الترغيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «إني رأيت عجبا البارحة»:

١- رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره لوالديه فرده عنه.

٢- ورأيت رجلا من أمتي، بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك.

٣- ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته[١] الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم.

---

(١) احتوشته: أحاطت به.

٤- ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

٥- ورأيت رجلا من أمتي يلهث[١] عطشا، كلما ورد حوضا منع، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

٦- ورأيت رجلا من أمتي، والنبيون قعود حلقًا حلقًا، كلما دنا لحلقة طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة، وأخذ بيده وأقعده إلى جنبي.

٧- ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة، وخلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير فيها[٢] فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه النور.

٨- ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين، كلموه فكلموه.

٩- ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت سترًا على وجهه، وظلا على رأسه.

١٠- ورأيت رجلا من أمتي أخذته الزبانية[٣] من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

١١- ورأيت رجلا من أمتي جاثيًا[٤] على ركبتيه، بينه وبين الله تعالى حجاب فجاءه حسن خلقه، فأخذ بيده فأدخله على الله.

١٢- ورأيت رجلا من أمتي، وقد هوت به صحيفته من قبل شماله[٥] فجاءه خوفه من الله، فأخذ صحيفته، فجعلها عن يمينه.

---

(١) لهث الكلب: يلهث لهثًا، إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر.

(٢) أي لا يدري كيف يهتدي.

(٣) الزبانية: ملائكة العذاب يجرون المذنب إلى النار.

(٤) الجاثي: الجالس على ركبتيه.

(٥) من جهة شماله دليل على سوء مصيره قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٧].

١٣- ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه[١] فثقلوا ميزانه.

١٤- ورأيت رجلا من أمتي، قائما على شفير[٢] جهنم، فجاءه وجله[٣] من الله تعالى فاستنقذه من ذلك ومضى.

١٥- ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخلصته من النار.

١٦- ورأيت رجلا من أمتي، قائمًا على الصراط يرعد[٤] كما ترعد السعفة[٥] فجاءه حسن ظنه بالله فسكت روعه[٦] ومضى.

١٧- ورأيت رجلا من أمتي، على الصراط، يزحف أحيانًا ويحبو فجاءته صلاته علي، فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط.

١٨- ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فقفلت دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله. ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة[٧].

ومنها أي الأسباب المنجية من عذاب القبر

١- الرباط في سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه أجرى

---

(١) الإفراط جمع فرط: وهو الولد الصغير الذي يموت قبل أن يدرك، فرط فروطًا وفرطا عجل وأسرع وفرط فلان ولدًا: أحتسبه عند الله صغيرًا. ويقال: فرط له ولد: تبعه إلى الجنة ويقال في الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطًا أي يتقدمنا حتى نرد إليه انتهى الروح ص ١١٤.

(٢) حرفها وطرفها.

(٣) الخوف.

(٤) أخذته الرعدة من شدة الخوف.

(٥) السعفة: غصن النخل، وتسمى في بلدنا: جريدة.

(٦) القلب والعقل.

(٧) انظر ص ١٣٢ وما بعدها من كتاب الروح ص٢١ وما بعدها ج٣ القدر وكتابنا القبر أول منازل الآخرة.

الله عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» رواه مسلم.
وقال ﷺ: **«كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر»**[١].

وقال ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل الله، أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان عليه، وأجرى عليه رزقه، وآمن الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع[٢]»**.

وقال ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل الله، أمنه الله من فتنة القبر»**[٣].

٢- الاستشهاد في ساحة القتال:

قال رسول الله ﷺ لما سئل: وما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: **«كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»**[٤].

٣- الدعاء:

روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: **«من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»**[٥].

٤- الموت بداء البطن:

أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجة والبيهقي عن سلمان بن صرد وخالد ابن عرفطة قالا: قال رسول الله ﷺ: **«من قتله بطنه لم يعذب في قبره»**[٦].

٥- سورة تبارك:

عن ابن مسعود ﷺ قال: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[٧].

---

(١) صحيح الجامع رقم ٤٥٦٢.
(٢) صحيح الجامع برقم ٦٥٤٤.
(٣) صحيح الجامع برقم ٦٥٤٥.
(٤) صحيح الجامع برقم ٤٤٨٣.
(٥) صحيح الجامع برقم ٦٢٧٥.
(٦) صحيح الجامع برقم ٦٤٦١.
(٧) صحيح الجامع برقم ٣٦٤٣.

وقال ﷺ: «**سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية حاجت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك**»[١].

٦- إنظار المعسر:

قال ﷺ: «**إن رجلا ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه، فقال له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قال له: انظر، قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس وأحارفهم، فأنظر المعسر، وأتجاوز عن المؤسر، فأدخله الله الجنة**»[٢].

٧- الموت يوم الجمعة وليلتها:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر**»[٣].

٨- العالم صاحب اللحية البيضاء:

خرج الترمذي في نوادر الأصول من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر يوما فتاني القبر فقال عمر رضي الله عنه أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال: «**نعم كهيئاتكم اليوم!!**» فقال عمر في فيه الحجر وقال سهل بن عمار رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال إنه أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء: وقلت: ألمثلي يقال هذا علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا.

٩- العمل بسنة النبي ﷺ:

أخرجه اللالكائي[٤] في السنة عن إبراهيم بن أدهم قال حملت جنازة فقلت: بارك الله لي في الموت، فقال قائل: من السرير وما بعد الموت. فدخل علي منه رعب، فلما دفن الميت جلست عند القبر متفكرًا، فإذا أنا بشخص خرج من القبر

---

(١) صحيح الجامع برقم ٣٦٤٤.

(٢) صحيح الجامع برقم ٢٠٧٩.

(٣) صحيح الجامع برقم ٥٧٧٣.

(٤) انظر ص ١٦٨ كتاب شرح الصدور للإمام السيوطي وكتابنا القبر أول منازل الآخرة - طبعة بيروت ص ١٢١.

أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا، وأنقاهم ثيابا وهو يقول:

يا إبراهيم قلت لبيك، فمن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا القائل لك من السرير وما بعد الموت، قلت: فمن أنت: قال: أنا السنة أكون لصاحبي في الدنيا حافظا وعليه رقيبا، وفي القبر مؤنسا ونورا، وفي القيامة سائقا وقائدًا إلى الجنة.

١٠- إدخال السرور على الناس[١].

وأخرج محمد بن بلال أبو الشيخ في الثواب، وابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أدخل رجل مؤمن على مؤمن سرورا إلا خلق الله تعالى له من ذلك السرور ملكا يعبد الله ويوحده، فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور، فيقول له: أتعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: ؟أنا السرور، الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أؤنس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت وأشهدك مشاهد القيامة، وأشفع لك وأريك منـــزلك في الجنة»**.

١١- الوضوء:

قال ابن رجب الحنبلي في أهوال القبور ص٥٦:

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ قال: **«إني رأيت الليلة عجبا...»** فذكر الحديث بطوله وفيه **«... رأيت رجلا من أمتي بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه، فاستنقذه منه»**.

١٢- الصيام والصلاة والحج والجهاد والصدقة:

أخرج الإمام أحمد من حديث محمد بن المنكدر قال: كانت اسماء تحدث عن النبي ﷺ: **«إذا دخل الإنسان في قبره، فإن كان مؤمنا حف به عمله: الصيام والصلاة قال: فيأتيه المسلك من نحو الصلاة فيرده، ومن نحو الصيام، فيرده، فيناديه اجلس، فيجلس»**[٢].

---

(١) انظر ص ١٦٨ كتاب شرح الصدور للإمام السيوطي وكتابنا القبر أول منازل الآخرة – طبعة بيروت ص ١٢١.

(٢) انظر أهوال القبور لابن رجب ص٣١.

وروينا[١] عن كعب قال: إذا وضع العبد الصالح قبره احتوشته أعماله الصالحة، الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه فقد أطال القيام ليلة عليهما، قال فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل عليكم عليه، فقد أطال ظمأه لله تعالى في الدنيا، قال: فيأتون من قبل جسده، فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه، وأتعب بدنه، وحج، وجاهد لله عز وجل، لا سبيل عليكم عليه قال: فيأتونه من قبل يديه، فتقول الصدقة، كفوا عن صاحبي، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت في يدي الله عز وجل ابتغاء وجهه، فلا سبيل لكم عليه فيقال هنيئًا طيبًا حيًّا وميتا قال «ويأتيه ملائكة الرحمة، فتفرشه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره، مد البصر ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره».

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «قال: **إن الميت إذا وضع في قبره، فإنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين[٢] فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه**».

١- فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل[٣].

٢- ثم فيؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل.

٣- ثم فيؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل.

٤- ثم فيؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل[٤].

١٣- شهادة أربعة من جيرانه[٥]:

عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من**

---

(١) في كتاب أهوال القبور لابن رجب ص٣٢.

(٢) وفي رواية: «والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون مدبرين».

(٣) أي ليس من جهتي مكان للدخول.

(٤) انظر الترغيب للمنذري تحقيق محمد خليل عراس ص٧١٦/٤.

(٥) انظر ص٨٥ج٤ نيل الأوطار.

جيران الأدنين إلا قال الله تعالى: قد قبلت عملهم فيه وغفرت له ما لا يعلمون» رواه أحمد.

وأخرج البخاري وغيره عن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان**، ثم لم نسأله عن الواحد».

قال العلماء إنما لم يسأله عمر عن الواحد استبعادًا منه أن يكتفي في مثل هذا المقام العظيم بأقل من النصاب. والمعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تقبل، وقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أنس قال: «مر بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال: وجبت، ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شرًا، فقال وجبت، فقال عمر: ما وجبت؟ قال: « **هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض** » وقد وقع في رواية من حديث أنس المتقدم: «إن لله عز وجل ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر».

١٤- دفن بعض الصالحين معه:

روينا[1] قال: روى ابن أبي الدنيا عن محمد بن موسى الصافع عن عبد الله بن نافع المدني قال: مات رجل من أهل المدينة، فدفن بها رجل كان من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم إنه بعد سابعة أو ثامنة أري كأنه من أهل الجنة، قال: ألم تكن قلت! إنك من أهل النار قال: قد كان ذلك، لأنه دفن معنا رجل من الصالحين، فشفع في أربعين من جيرانه وكنت منهم.

وقال البراء: حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا عمرو بن حميد قال: أخبرني رجل من أهل جرجان قال: لما مات كرز الحارثي رأى رجل فيما يرى النائم كأن أهل القبور جلوس على قبورهم، وعليهم ثياب جدد، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا إن أهل القبور كسوا ثيابا جددًا لقدوم كرز عليهم.

---

(١) في كتاب أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ص٨٤ وعليه تقع المسؤولية.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن بعضهم رأى في منامه معروفا الكرخي لما دفن في قبره شفع في أربعين من كل جانب من جوانبه فاعتقوا من النار.

١٥- قضاء الدين عنه:

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب "من عاش بعد الموت"(١) من طريق سيار ابن حسن قال: خرج أبي وعبد ا لواحد بن زيد يريدان الغزو فهجموا على ركية عميقة واسعة فأدلوا حبالهم بقدر فإذا القدر قد وقعت في الركية قال: فقرنوا حبال الرفقة بعضها ببعض، ثم دخل أحدهما إلى الركي، فلما صار ببعضها إذا هو بهمهمة في الركي، فرجع، فصعد فقال: أتسمع ما أسمع؟ قال: نعم، فناولني العمود فأخذ العمود، فدخل في الركية فإذا هو برجل جالس على ألواح، وتحته الماء. فقال: أجني أم إنسي؟ قال: بل إنسي. قال: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل إنطاكية، وإني مت، فحبسني ربي هنا بدين علي وإن ولدي بإنطاكية لا يذكروني، ولا يقضون عني، فخرج الذي كان في الركية(٢)، فقال لصاحبه: غزوة بعد غزوة، فدع أصحابنا يذهبون، فساروا إلى إنطاكية، فسألوا عن الرجل وعن بنيه، فقالوا: نعم إنه لأبينا، وقد بعنا ضيعة لنا، فامشوا معنا حتى نقضي عنه دينه. قال: فذهبوا معهم حتى قضوا ذلك الدين، ثم رجعوا من إنطاكية حتى أتوا موضع الركية، ولا يشكون أنها ثم، فلم يكن ركية ولا شيء، فأمسوا فباتوا هناك، فإذا الرجل قد أتاهم في منامهم وقال: جزاكم الله خيرًا، فإن الله حولني إلى مكان كذا وكذا من الجنة حيث قضي ديني.

وروي في كتاب "المنامات": حدثني زكريا بن الحارث النضري قال: رئي محمد ابن عباد في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: لولا ديني دخلت الجنة.

١٦- كف الأذى عن الناس:

أخرج ابن منده، عن أبي كاهل قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعلمن يا أبا كاهل أنه من كف أذاه عن الناس كان حقا على الله أن يكف عنه أذى القبر**»(٣).

---

(١) انظر كتاب أهوال القبور لابن رجب الحنبلي.

(٢) لسان العرب: الركية، البئر وقلت: أو الساقية التي في بلدنا.

(٣) شرح الصدور وكتابنا أهوال القبور، طبعة بيروت ص١٢٢.

١٧- إنارة المساجد والرائحة الطيبة فيها:

أخرج أبو الفضل الطويسي في عيون الأخبار بسنده عن عمر ﷺ مرفوعًا: **«من نور في مساجد الله نورًا نور الله له في قبره، ومن راح فيه رائحة طيبة أدخل الله تعالى عليه في قبره من روح الجنة»**(١).

١٨- عيادة للمريض:

أخرج الديلمي، عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال موسى يا رب ما لمن عاد مريضًا؟ قال: يوكل الله ملكين يعودانه في قبره حتى يبعث»** وفي رواية **«ملائكة يعودونه»**(٢).

وعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة من الجنة حتى يرجع»** وروى أبو داود من حديث علي ﷺ: **«ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»** رواه الترمذي وقال: حسن(٣).

١٩- الصدق:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عن الله من الصديقين أي صديقا....»**(٤).

٢٠- إرشاد الأعمى:

عن ابن عباس(٥) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«من قاد أعمى حتى يبلغ مأمنه، غفرت له أربعون كبيرة، وأربع كبائر توجب النار»** رواه الطبراني ورواه المنذري من حديث ابن عمر: **«من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما**

---

(١) شرح الصدور وكتابنا القبر أول منازل الآخرة، طبعة بيروت ص١٢٢.

(٢) شرح الصدور وكتابنا القبر أول منازل الآخرة ص١٢٢.

(٣) الحديث رقم ٤٠٦ ص٢١ من كتاب بشارة المحبوب.

(٤) الحديث رقم ٤٠١ ص ١١٩ نفس المصدر السابق.

(٥) الحديث رقم ٢٣٥ ص ٧٣ من كتاب بشارة المحبوب.

تقدم من ذنبه وما تأخر».

٢١- ترك المراء:

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في رياض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وحسنه(١).

٢٢- بناء المساجد:

عن عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجدًا يبتغي وجه الله بني الله له بيتا في الجنة» وفي رواية: «مثله في الجنة» رواه البخاري وغيره(٢).

٢٣- العفة عن السؤال:

عن ثوبان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا، وأتكفل له بالجنة، فقلت أنا، فكان لا يسأل أحد شيئًا» رواه النسائي وأحمد وابن ماجه وأبو داود بإسناد صحيح(٣).

٢٤- إنظار المعسر:

عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ: «أن رجلا مات فدخل الجنة، فقيل له ما كنت تعمل؟ قال: فإما ذكر وأما ذكر فقال كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد فغفر له» وفي رواية: «فأنظر الموسر واتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة». رواه مسلم وغيره(٤).

٢٥- المحسن إلى اليتيم:

عن مالك بن حارث ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من ضم يتيما من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يشب، قال عنه وجبت له الجنة..»(٥).

(١) الحديث رقم ٢٥٢ ص٨٣ نفس المصدر السابق والمراء هو الجدل.

(٢) الحديث رقم ٢٦٢ ص٨٤ من كتاب بشارة المحبوب.

(٣) انظر ص٩٦ من نفس المصدر السابق.

(٤) الحديث ٣٠٢ ص ٩٧ من نفس المصدر السابق.

(٥) الحديث رقم ٣٥٦ ص١٠٩ من كتاب بشارة المحبوب وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين =

٢٦- امرأة راضٍ عنها زوجها:

وعن أم مسلمة ﵂ قالت:قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة**» رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه(١).

٢٧- حفظ الفرج واللسان.

عن سهل بن سعد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له الجنة**» رواه البخاري(٢).

٢٨- التاجر الصدوق:

عن أبي سعيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء**» رواه الترمذي وحسنه(٣).

٢٩- تربية البنات:

عن أبي سعيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة**» رواه الترمذي واللفظ له، وأبو داود وزاد «**فأدبهن وأحسن إليهم وزوجهن فله الجنة**»(٤).

٣٠- الذين يتصافون ويتناصرون:

روينا بعد عنعنة وكلام طويل، عن محفوظ بن علقمة عن ابن عائذ أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة: هل أنت محدثي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه نسيان، ولا كذب؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**حقت محبتي للذين يتصافون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي....**(٥)».

= في الجنة».

(١) الحديث رقم ٣٥٧ ص ١٠٩ نفس المصدر السابق.

(٢) الحديث رقم ٣٧٧ ص١١٣ نفس المصدر السابق.

(٣) الحديث رقم ٣٥١ ص١٠٨ كتاب بشارة المحبوب.

(٤) الحديث رقم ٣٦٣ ص١١٠ من نفس المصدر السابق.

(٥) في كتاب التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٦٥.

٣١- الشيب في الإسلام:

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«لا تنتفوا الشيب، فإنه ما من مسلم يشب شيبة في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة»**.

٣٢- قضاء حوائج الناس:

وعن ابن عمر وأبي هريرة ﷺ وقالا: قال رسول الله ﷺ: **«من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يصلون عليه، ويدعون له إن كان صباحًا حتى يمسي، وإن كان مساء يصبح، ولا يرفع قدما إلا حط الله عنه بها خطيئته، ورفع له بها درجة»**.

٣٣- الحياء:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»**(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والبغوي في شرح السنة والحاكم والطبراني في الكبير.

٣٤- الصلاة على النبي ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

روينا(٢) قال عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: **«من صلى علي في اليوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعدة في الجنة»**.

٣٥- التصافح:

روينا(٣) قال: قال ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»**.

٣٦- السماحة:

روينا(٤) عن جابر ﷺ أن رسول ﷺ قال: **«رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع،**

---

(١) انظر ص٦٢، ٦٣، ٦٤ من كتاب بشارة المحبوب.

(٢) كتاب بشارة المحبوب ابن خليل الأذراعي ص٥٩.

(٣) نفس المصدر السابق ص٦٠.

(٤) نفس المصدر ص٦١.

سمحًا إذا اشترى، سمحا إذا اقتضى» وزاد الترمذي: **«غفر الله لرجل كان قبلكم، سهلا إذا باع، سهلا إذا اشترى، سهلا إذا اقتضى».**

٣٧- إجابة دعاء الأم خير من العبادة:

روينا[١] قال: ما رواه الليث بن سعد عن يزيد بن حوشب عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو كان جريج الراهب فقيها عالما، لعلم أن إجابة، (دعاء)[٢] أمه خير من عبادة ربه عز وجل».**

٣٨- الولد الصالح من خير ما يكتنــز المؤمن:

روينا[٣] بعد عنعنة وكلام طويل حدثنا كامل بن طلحة أبو يحيى الحجري حدثنا عباد بن عبد الصمد قال: حدثنا راعي رسول الله ﷺ قال أخبرني رسول الله ﷺ قال: **«بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان»** قال: قلت وما هي يا رسول الله؟ قال:

١- سبحان الله.

٢- الحمد لله.

٣- لا إله إلا الله.

٤- والله أكبر.

٥- والولد الصالح يتوفى[٤] يحتسبه والده.

٣٩- السقط يراغم عن أهله.

روينا[٥] بعد مقدمة طويلة وعنعنة عن علي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن السقط ليراغم[٦] ربه إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها الساقط المراغم ربه،**

---

(١) في كتاب التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٨٨.

(٢) دعاء: نداء قلت: إذا كنت في صلاة فرض ونادت عليك أمك فلا ترد عليها، أما إذا كنت في صلاة سنة فيجب عليك الرد والله أعلم.

(٣) في كتاب التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٧٨.

(٤) بضم الياء وفتح التاء أما فتحها فهو خطأ شنيع جدًا.

(٥) في كتاب: التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٤٥.

(٦) يراغم: يحاجه، ويعارضه، والمراد أن يبالغ في شفاعتهم ويجتهد حتى تقبل شفاعته.

أدخل أبويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة» أخرجه ابن ماجة منفردًا به.

وقوله: إن السقط ليراغم أي ليغاضبه، والمراغمة: المغاضبة، والترغم: التغضب، يقال راغم فلان قومه إذا نبذهم، وخرج عنهم.

وقوله: "فيجرهما بسرره" هو ما تقطعه القابلة من سرة المولود، التي هي موضع القطع، وكذلك السر بضم السين للذي يقطع أيضا، وسرت الصبي أسره إذا قطعت سرره، ووادي السرر على أربعة أميال من مكة كانت فيه دوحة[١] سار تحتها سبعون نبيًّا.

٤٠- من مات له ولد فاحتسب[٢]:

وقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أخرج البخاري، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته إياهم»**.

٤١- الموت بالحرق وذات الجنب[٣]:

أخرج مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم: **«الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع[٤] شهيدة»[٥]**.

---

(١) الدوحة: الشجرة.

(٢) فتح الباري (٣/١٤٢).

(٣) هي ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن لأضلاعها.

(٤) في النهاية: "أي تموت وفي بطنها ولد، وقيل تموت بكرًا، والجمع بالضم بمعنى المجموع، كذخر بمعنى المذخور، وكسر الكسائي الجيم والمعنى أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة". قلت: والمراد هنا الحمل قطعا بدليل الحديث المتقدم وكان يلفظ "يقتلها ولدها جمعاء".

(٥) أحكام الجنائز للألباني ص٣٩.

٤٢- الموت على عمل صالح:

أخرج أحمد عن حذيفة، قال: قال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم بها دخل الجنة، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله ختم الله بها دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة**»[١].

٤٣- الموت بالغرق والهدم[٢]:

قال ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون والغرق وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**».

أخرجه البخاري (٦/٣٣ - ٣٤) ومسلم (٦/٥١) والترمذي (٢/١٥٩) وأحمد (٢/٣٢٥) من حديث أبي هريرة.

٤٤- موت المرأة في نفاسها[٣]:

عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ: «عاد عبد الله بن رواحة فما تحوز[٤] له عن فراشه، فقال: « **أتدري من شهداء أمتي؟** قالوا: قتل المسلم شهادة، **قال: إن شهداء أمتي إذا قليل: قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء[٥] شهادة يجرها ولدها بسرره[٦] إلى الجنة** ».

أخرجه أحمد والترمذي والطبراني وإسناده صحيح.

٤٥- الموت بداء السل، والحرق:

يقوله ﷺ: «**والقتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق[٧] شهادة والغرق شهادة، والسل شهادة والبطن شهادة**» رواه الطبراني في الأوسط.

---

(١) أحكام الجنائز ص٤٣.

(٢) أحكام الجنائز ص٣٨.

(٣) أحكام الجنائز ص٣٨.

(٤) أي تنحى.

(٥) جمعاء: هي التي تموت، وفي بطنها ولد.

(٦) السرة نعرفها جميعًا وهي التي تقطعها القابلة يعني يوم القيامة يجرها هذا الجنين الذي مات في بطنها بحمل السرة لأنها لم تقطع.

(٧) أحكام الجنائز ص٤٠.

٤٦- الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه[١]:

١- أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم. قال: رسول الله ﷺ : «**من قتل دون ماله**» وفي رواية «**من أريد ماله بغير حق فقاتل، فقتل فهو شهيد**».

٢- وأخرج مسلم والنسائي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**» ، قال: أرأيت إن قتلني، قال « **فأنت شهيد** » ، قال: أرأيت إن قتلته قال: « **هو في النار** ».

٣- وأخرج النسائي وأحمد عن مخارق رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «الرجل يأتيني فيريد مالي؟ **قال: ذكره بالله**، قال: فإن لم يذكر؟ **قال فاستعن عليه من حولك من المسلمين**، قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين **قال: فاستعن عليه بالسلطان**، قال: فإن نأى السلطان عني (وعجل علي)؟ **قال: قاتل دون مالك حتى تكن من الشهداء، أو تمنع مالك**».

٤٧- الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس[٢]:

أخرج أبو داود والنسائي والترمذي وأحمد: «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد**».

٤٨- من قتل دون مظلمته[٣]:

أخرج النسائي وأحمد، أن النبي ﷺ قال: «**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**».

٤٩- الموت برشح الجبين:

الموت برشح الجبين ذكر الشيخ[٤] أن الشرع الحكيم قد جعل علامات بينات

---

(١) أحكام الجنائز ص٤٢.

(٢) أحكام الجنائز ص٤١.

(٣) أحكام الجنائز ص٤٢.

(٤) انظر كتاب الجنائز للشيخ الألباني ص٣٥.

يستدل على حسن الخاتمة، فأيما امرئ مات بإحداها كانت له بشارة ويا لها من بشارة. ثم ذكر منها الموت برشح الجبين؛ لحديث بريدة بن الحصيب ﷺ: «أنه كان بخراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده بالموت وإذا هو يعرق جبينه، فقال الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **موت المؤمن بعرق الجبين** ».

٥٠- نطقه الشهادة عند الموت(١):

قال الشيخ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن عن معاذ، وعن طلحة بن عبد الله ﷺ قال رأى عمر طلحة بن عبد الله ثقيلا فقال ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا - وإنني على أبي بكر إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثا ما منعني أن أسأله عنه إلا الضرر عليه حتى مات، سمعته يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عن كربته، قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي: قال؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت هي والله وما هي هي.

٥١- مات غريبا(٢):

أخرج الآجري في كتاب "الغرباء" عن الصلت قال: حدثنا أبو اليزيد رجل من أهل البحرين قال: غسلت رجلا ميتا بالبحرين، فإذا مكتوب على لحمه طوبى لك يا غريب، فذهبت أنظر فإذا هو بين اللحم والجلد.

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**موت غربة شهادة**» وأخرجه الدارقطني ولفظه: «**موت الغريب شهادة**» وذكره أيضًا من حديث ابن عمر وصححه وأخرجه أبو بكر الخرائطي من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات غريبا مات شهيدًا**»(٣).

---

(١) انظر كتاب الجنائز للشيخ الألباني ص٣٤.

(٢) شرح الصدور وكتابنا القبر أول منازل الآخرة.

(٣) التذكرة للقرطبي ص١٨١.

٥٢- البلاء:

روينا[١] قال وذكر مالك في الموطأ أنه بلغه عن أبي الحياب سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما يزال المؤمن يصاب في ولده وحامته[٢] حتى يلقى الله تعالى وليست عليه خطيئة**».

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب ولا هم ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه**» متفق عليه[٣].

٥٣- ذهاب البصر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أذهب الله بصره فصبر، واحتسب كان حقا على الله واجبا أن لا ترى عيناه النار**» رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي رواية من حديث أنس: «**ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه إلا النظر إلى وجهي، والجوار في داري**»[٤].

٥٤- الذي مرض بالحمى[٥]:

عن أبي ريحان قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحمى من فيح جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار**» وفي رواية: «**الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من جهنم**».

٥٥- من ذب عن عرض أخيه:

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار**» وفي رواية: «**من رد عن**

---

(١) في كتاب: التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٢٢.

(٢) الحامة: أي القرابة وخاصته ومن يحزنه ذهابه وموته. جمع حميم.

(٣) النصب: الشر والبلاء. أما الوصب: بفتح الصاد المرض وقد (وصب) يوصب (وصب) بكسر الصاد و(أوصبه) الله فهو (موصب).

(٤) الحديث رقم ٤٧٥ ص ١٣٩ كتاب بشارة المحبوب.

(٥) نفس المصدر السابق والحديث رقم ٤٧٣ ص١٣٨.

عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[١]. وذب يعني دافع.

٥٦- الصبر[٢]:

روينا[٣] عنعنة وكلام طويل عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا مات ولد الرجل، يقول الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي**[٤] **قالوا حمدك واسترجع**[٥] **فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد»**.

ولابن سعد من طريق الأزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها - أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يومًا باردًا، فحم خمسة عشر يوما، ومات مساء يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

وأشار الزين بن المنير إلى الحكمة في تأخر وفاته عن يوم الاثنين مع أنه كان يجب ذلك ويرغب فيه لكونه قام في الأمر بعد النبي - فناسب أن تكون وفاته متأخرة عن الوقت الذي قبض فيه رسول الله ﷺ أما بخصوص اليوم بعينه لمعنى فيه من التبرك به لكونه صار إليه من النبي ﷺ أو لكونه جاهد فيه أو تعبد. ويؤيده ما رواه ابن سعد من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال أبو بكر: «كفنوني في ثوبي اللذين كنت أصلي فيهما». قوله إنما هو أي الكفن[٦].

قلت: نأخذ من هذا أن الموت يوم الاثنين فيه بركة وأرجو لمن يموت يوم

---

(١) الحديث رقم ٤٧١ ص ١٣٨ نفس المصدر وذب دافع عن أخيه في غيبه.

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

(٣) في كتاب: التسلي والاغتباط للحافظ الدمياطي ص٥١.

(٤) بالطبع وهو أعلم بما قاله عبده.

(٥) قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وبالطبع إنما الصبر عند الصدمة الأولى، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

(٦) فتح الباري (٣/٢٩٧).

الاثنين وغيره من الأيام بالرحمة.

٥٧- عشرة أشياء:

قال الإمام السيوطي[١] في شرح الصدور، قال بعض العلماء من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب.

١- أن يتوب فيتاب عليه.

٢- أو يستغفر فيغفر له.

٣- أو يعمل حسنات فيمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

٤- أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه.

٥- أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه.

٦- أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفر له.

٧- أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه.

٨- أو يبتلى في عرصات[٢] القيامة بأهوال تكفر عنه.

٩- أو تدركه شفاعة نبيه.

١٠- أو رحمة ربه. اهـــ.

٥٨- ملازمة الحافظين قبر المؤمن[٣]:

روينا[٤] أخرج أبو نعيم، عن أبي سعيد: سمعت رسول الله ﷺ: **«إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء قالا: ربنا وكلنا بعبدك المؤمن نكتب عمله وقد قبضته إليك، فأذن لنا أن نسكن السماء، فقال: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون، فيقولان: فأذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول: أرضي مملوءة من خلقي يسبحون ولكن قوما على قبر عبدي، فسبحاني وجلالي وكبرائي إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي»**.

وأخرجه البيهقي في الشعب، وابن أبي الدنيا من حديث أنس.

---

(١) شرح الصدور للإمام السيوطي ص ١٥٢ وكتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت.

(٢) العرصات: جمع عرصة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه.

(٣) الحافظين: رقيب وعتيد عليهما السلام.

(٤) كتابنا القبر أول منازل الآخرة ص٩٤، وشرح الصدور للسيوطي ص٣١٥.

٥٩- أول ما يجازى به المؤمن في قبره[١]:

أخرج عبيد والبزار في مسنديهما، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه»**.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الحنبلي يرفعه قال: **« إن أول ما يتحف به المؤمن في قبره أن يقال له أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك[٢]»** وأخرج عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: قال: **«إن أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن خرج في جنازته»**.

٦٠- استقبال حافل من الملائكة لروح المؤمن:

شم الملائكة لروح المؤمن.

فرح المؤمنين باستقبال روح المؤمن الجديدة، أشد من أهل الغائب بغائبهم عند أرواح المؤمنين تستريح الروح من غم الدنيا.

روينا[٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي إلى روح الله، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة؟ التي جاءت من الأرض ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا أرواح المؤمنين فيلقانهم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون: دعوه يستريح فإنه كان في غم الدنيا»**[٤].

٦١- جلوس الصالحين عند قبره حين الدفن:

استأنس الميت بجلوس الصالحين عند قبره حين الدفن مقدار ما تنحر[٥]

---

(١) كتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت ص١٠٠.

(٢) جنــز - الجنازة بالكسر واحدة الجنائز، والعامة تفتحه ومعناها الميت على السرير فإن لم يكن عليه الميت فهو سرير ونعش، مختار الصحاح.

(٣) كتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت ص٨٧.

(٤) كتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت ص٨٧.

(٥) تنحر: تذبح.

جزور[١] ويقسم لحمها، لما ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال: «إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها[٢] حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع[٣] به رسل ربي[٤]».

٦٢- الدعاء بعد الفراغ من الدفن[٥]:

يستحب الاستغفار للميت عند الفراغ من الدفن وسؤال التثبيت له لأنه يسأل في هذه الحالة.

فعن عثمان قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**[٦]» رواه أبو داود والحاكم وصححه وروى رزين عن علي: أنه كان إذا فرغ من دفن الميت قال: اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منـــزول به فاغفر له ووسع مدخله.

٦٣- دعاء أهل السماء للعبد المؤمن[٧]:

أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها - فذكر من طيب ريحها - ويقول أهل السماء: روح طيبة**

---

(١) الجزور: الإبل.

(٢) ويوزع لحمها وذلك كناية عن المدة التي يجلس فيها الصالحين عند القبر وتقدر الآن هذه المدة يعني مدة الذبح والتوزيع بنحو ساعة.

(٣) عندما يستأنس الميت بالصالحين أثناء تواجدهم يتحدث مع رسل الله تعالى بثبات ولا يكون مهزوزًا.

(٤) رسل الله سبحانه وتعالى يعني منكر ونكير عليهما السلام روينا هذا الحديث في صحيح مسلم وفي رياض الصالحين وكتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت ص٤٠، هذا والجلوس لا يكون فوق الحفرة التي دفن فيها الميت وإنما بجوار القبر.

(٥) كتابنا القبر أول منازل الآخرة طبعة بيروت ص ٣٨.

(٦) ولم يقل عليكم بقراءة القرآن لأخيكم بل أمر بالدعاء، لأن القرآن شريعة وقانون يتلوه الأحياء ويؤمنون به وينفذونه ولكن الميت إذا كان حافظا لشيء ولو قليل من القرآن ومؤمن به فإنه ينفعه ويجادل عنه وسبق ذكر ذلك في السبب رقم ٤ وذكرنا أن الرجل الذي كان يحفظ سورة تبارك قبل موته جادلت عنه في قبره.

(٧) كتابنا أهوال القبور وما بعد الموت ص٣٢.

جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك[١] وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه، ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الآجل..».

٦٤- قبر المؤمن يملأ عليه خضرا[٢]:

أخرج البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد الصالح إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل[٣]؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، فيراهما جميعا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه نورا إلى يوم يبعثون**».

٦٥- بشرى المؤمن في قبره[٤]:

قال كعب الأحبار: إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه، فيأتون من قبل رأسه: فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا، فيأتون من قبل جسمه، فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء لوجهه، فلا سبيل لكم عليه، قال: فيقال: نم هنيئًا طبت حيًّا، وطبت ميتًا.

قلت: هذا لمن أخلص في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيته له في سره وجهره، فهو الذي تكون أعماله حجة له، وواقعة عنه فلا تعارض بين هذا وما تقدم فإن الناس مختلفو الحال في خلوص الأعمال. والله أعلم.

٦٦- تلقين الميت عقب الدفن:

روينا[٥] قال: وإذا ثبت إحياء الميت في قبره وسؤاله فيه عقب دفنه: فاعلم أن

---

(١) الصلاة من الله تعالى هي الرحمة.

(٢) كتابنا أهوال القبور ص ٣٣.

(٣) سيدنا رسول الله ﷺ.

(٤) التذكرة: ص١٦١.

(٥) الشيخ حسنين مخلوف المفتي السابق.

تلقينه بعد الدفن - كما هو الواقع الآن عندنا - مشروع فيه نفع وتثبيت له فإن الميت يستأنس بالتذكير على ما ورد في الأخبار "كما نقله العلامة ابن عابدين في حاشية الدر".

وقد استحبه جمهور الشافعية واختاره ابن الصلاح كما ذكره النووي في المجموع، وكذا القاضي وأبو طالب من فقهاء الحنابلة ورويا فيه حديثًا عن أبي أمامة الباهلي وهو وإن كان ضعيفًا إلا أنه اعتضد بشواهد من الأحاديث «كما قاله الحافظ ابن حجر» وبعمل أهل الشام قديمًا، ومنهم من يقتدي به (كما ذكره النووي).

وروى أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه وقد فعله أهل الشام عند موت أبي المغيرة، واستحبه راشد بن سعد، وحمزة بن جندب وحكيم بن عمير كما نقله ابن قدامة في المغني والحاصل أنه لا بأس به، بل يستحب والله أعلم.

هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا التلقين فأجاب في فتاويه بأنه قد ثبت عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به كأبي أمامة الباهلي وغيره ولم يفعله كثيرون منهم، ولذا قال الإمام أحمد وغيره لا بأس به واستحبه طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وكرهه طائفة من أصحاب مالك وغيرهم.

وقد ثبت عنه ﷺ، أن الميت يسأل ويمتحن في قبره وأنه أمر بالدعاء له بالتثبيت، وقال لأصحابه « **سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل** » وقال: إن الميت يسمع الثناء، « **وإنه ليسمع قرع نعالهم** » وقال: « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** » وأمر بالسلام على الموتى وأخبر أن أرواحهم ترد إليهم ويردون السلام، ولهذا قيل: إن التلقين ينفع الموتى اهـ[1] ملخصا.

٦٧- التهليل:

سئل شيخ الإسلام[2] عمن "هلل سبعين مرة، وأهداه الميت، يكون براءة

(١) انظر كتاب الفتاوى الشرعية للشيخ حسنين مخلوف المفتي الأسبق ص٢٧٢ ج٢ وكتاب الفتاوى للإمام ابن تيمية ص ٢٩٧، ٢٩٩. ج٢٤.

(٢) ابن تيمية انظر ص٣٢٣ ج٢٤ الفتاوى.

للميت من النار، حديث صحيح؟ أم لا؟ وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه، أم لا؟فأجاب: إذا هلل الإنسان هكذا: سبعين ألف مرة، أو أقل، أو أكثر، وأهديت إليه نفعه الله بذلك!!! وليس هذا حديثًا صحيحًا ولا ضعيفا، والله أعلم.

٦٨- دعاء الملائكة للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩].

ما ينتفع به المؤمن بعد موته

١- الصلاة عليه[١]:

قال ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه**»[٢]. وقال ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون[٤] إلا شفعوا فيه[٥]**»رواه أحمد ومسلم والترمذي[٦]. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لا يشركون**

(١) أي صلاة الجنازة لأنها شفاعة له.
(٢) رواه مسلم وغيره. انظر صحيح الجامع رقم (٥٧٨٦).
(٣) رواه النسائي وحسنه الألباني رقم (٥٧٨٧).
(٤) يخلصون له الدعاء ويسألون له المغفرة.
(٥) قبلت شفاعتهم.
(٦) صحيح الجامع برقم (٥٧٨٦).

بالله شيئًا إلا شفعوا فيه»[(١)].

٢- استئناس الميت بإخوانه في الله بعد الدفن قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها:

قال عمرو بن العاص ﷺ «فإذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها[(٢)] حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي» رواه مسلم.

٣- الصدقة الجارية التي عملها في حياته وعلم نافع وولد صالح يدعو له:

قال ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»** رواه مسلم[(٣)].

٤- الدعاء والاستغفار لسائر المسلمين:

لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: **«من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»**[(٤)].

٥- رباطه في سبيل الله تعالى في الدنيا:

قال ﷺ: **«كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة القبر»**.

٦- الدعاء له بعد دفنه مباشرة والاستغفار له:

عن أبي عمرو، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو ليلى، عثمان بن عفان ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال:« **استغفروا لأخيكم**

(١) صحيح الجامع برقم (٥٧٧١).

(٢) يعني انتظروا فوق قبري مقدار ساعة طبعا مع الاستغفار والدعاء.

(٣) صحيح الجامع برقم (٧٩٣).

(٤) صحيح الجامع برقم (٦٠٢٦).

وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » رواه أبو داود[1].

٧- الوالدان ينتفعان بعمل ولدهما:

قال الشيخ أمين محمود السبكي في فتاويه - وهناك أحاديث صريحة تفيد أن الوالدين ينتفعان بصدقة ولدهما أو صومه أو حجه عنهما. فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩- ١٠]، والآية السابقة:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، أما الأحاديث التي وردت في الموضوع فكلها تدور حول الجواب عن سؤال هو: هل ينتفع أبي وأمي إذا صمت أو تصدقت أو حججت عنهما. وكان الجواب: نعم... ينفعه ذلك. فالآيات محكمة ومعناها وأنها من شرع الله العام الذي لا يختص بقوم دون قوم وأن الأحاديث الصحيحة خاصة بعمل الأبناء يهدون ثوابه للآباء، وقد صح في الحديث أن ولد الإنسان من سعيه، وعمله من عمله، وبذلك كان انتفاع الوالدين بعمل ولدهما وإهداء ثوابه إليهما مما تتناوله الآيات.

أما ما جرت به العادات من قراءة القرآن وإهداء ثوابه للأموات والاستئجار على القراءة[2] والحج وإسقاط الصلاة والصوم فكل ذلك ليس بمستند شرعي سليم. وهو فوق ذلك يقوم على النيابة في العبادات التي لم تشرع إلا لتهذيب النفوس وهذا لا يكون إلا عن طريق العمل الشخصي.

كيف وقد صرح الجميع بأن ما اعتاده الناس من ذلك شيء حدث بعد عهد السلف. ولم يؤثر عن أحد منهم أنه عمل وأهدى لغير الوالدين مع ظهور رغبتهم في عمل الخير. والجدير بالمسلم أن يقف في عبادته وفي شؤون الثواب ومحو السيئات عند الحد الذي ورد فبحسنات الإنسان تذهب سيئاته، وبتقواه تغفر ذنوبه، ولا شأن للإنسان في الثواب يحوله، ولا في السيئات يمحوها والله الموفق. انتهى.

---

(١) صحيح الجامع برقم (٤٥٦٢).

(٢) القرآن شريعة فقراءته للأحياء للعمل به أما الميت فيصل إليه ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ.

رأى بعض الصالحين أباه في النوم، فقال له يا بني لم قطعتم هديتكم عنا؟ قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟ قال: يا بني لولا الأحياء لهلكت الأموات. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعًا.

«أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها».

٨- الصدقة من قبل ابنه:

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي ﷺ: «إن أمي افتلتت نفسها[١] ولا أراها لو تكلمت تصدقت، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها؟ **قال: نعم**» متفق عليه.

وأخرج البخاري عن ابن عباس أن سعد بن عبادة توفت أمه وهو غائب، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ **قال: نعم** قال: فإني أشهدك أن حائطي صدقة عنها[٢].

وأخرج أحمد والأربعة عن سعد بن عبادة أنه قال يا رسول الله: إن أمي ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: (الماء) فحفر بئرًا وقال هذه لأم سعد.

٩- عشر خصال تصل للميت المؤمن[٣]:

قال السيوطي وقد تضمن حديث ابن ماجه سبع خصال وورث خصال أخر بلغت عشر وقد نظمتها فقلت:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه إلا من فعال عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخيل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت الغريب بناه يأوي ... إليه أو بناء محل ذكر[٤]

---

(١) أي ماتت.

(٢) حائطي أي بستاني.

(٣) كتابنا القبر عذابه ونعيمه.

(٤) أي بنى مكان يذكر فيه اسم الله تعالى كالمساجد.

وتعلـيم قــرآن كــريم[1] فخـذها مـن أحاديـث بحـصر

ما لا ينتفع به المؤمن بعد موته

١- قال صاحب فقه السنة: «وما يفعله بعض الناس اليوم من اجتماع للتعزية وإقامة السرادقات، وفرش البسط، وصرف الأموال الطائلة من أجل المباهاة والمفاخرة من الأمور المحدثة». والبدع المنكرة التي يجب على المسلمين اجتنابها، ويحرم عليهم فعلها، ولا سيما وأنه يقع فيها كثير مما يخالف هدي الكتاب، ويناقض تعاليم السنة، ويسير وفق عادات الجاهلية، كالتغني بالقرآن وعدم التزام آداب القراءة وترك الإنصات والتشاغل عنه بشرب الدخان وغيره[2] ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز عنه كثير من ذوي الأهواء، فلم يكتفوا بالأيام الأول بل جعلوا يوم الأربعين يوم تجدد لهذه المنكرات وإعادة لهذه البدع وجعلوا ذكرى أولى بمناسبة مرور عام على الوفاة وذكرى ثانية وهكذا مما لا يتفق مع عقل ولا نقل "قلت" يا شعب مصر الحبيب عليكم بكتاب الله تعالى وسنة أحمد ﷺ[3].

٢-العتاقة:

هل ينفع الميت ما يسمونه العتاقة وأنها تعتق رقبته من النار وما عليه من حقوق الله والعباد؟ نرجو الإفادة.

الجواب:

العتاقة بفتح العين مصدر عتق يعتق أي منحة الحرية ويعتقد بعض الجهلة أنه يمكن عمل عتاقة للميت أي ما يعتق رقبته من النار ويعتقه مما عليه من حقوق الله والعباد ويكفر عنه الذنوب فيعمدون إلى تلاوة خاصة للقرآن باسم الختمة أو تلاوة: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عددًا خاصًّا أو يذكرون كلمة التوحيد كذلك أو غيرها ويهبون ذلك للميت وقد يصنعون له ما يسمونه (إسقاط) الصلاة فيجمعون ما استطاعوا من

---

(١) أي أن الميت إذا كان يحفظ الناس القرآن الكريم فإن أجر ذلك يصله في قبره.

(٢) القرآن لا ينفع الميت لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك بل القرآن ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠].

(٣) فقه السنة ج١، وكتابنا شرح الصدور بما لا ينفع الأموات في القبور.

الحلي والمعادن التي يبلغ ثمنها المئات ثم يجتمع بعض الفقهاء ويهبون هذه الأشياء لبعض الفقراء ثم يستردونها منهم ثم يهبونها لهم ويستردونها وهكذا تتم هذه التمثيلية المضحكة جملة مرات حتى تغطي قيمة الصلوات المتروكة من الميت حال حياته زعمًا منهم أن بعض العلماء أجاز ذلك، باعتبار أن كفارة الصلاة الواحدة صاع أو نحوه، وكل هذه ضلالة وجهالة وخداع باسم الإسلام والإسلام منه بريء فلم يثبت هذا العمل في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ولم يجر عليه عمل الخلفاء الراشدين ولا الأئمة المجتهدين ولا السلف الصالحين وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وهي مثل ما يصنعونه في المآتم والخميس الصغير والكبير والأربعين والذكرى كل عام، فكل ذلك ما أنزل الله به من سلطان، ومعلوم أن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود[١].

٣- وضع الجريدة على القبر[٢]:

لا يشرع وضع الجريدة ولا الزهور فوق القبر، وأما ما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما هذا فكان لا يستنـــزه من البول، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة**[٣]» ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا وقال: (**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**) فقد أجاب عنه الخطابي بقوله: وأما غرسه شق العسيب على القبر، وقوله (**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**) فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي ﷺ ودعائه للتخفيف عنهما وكأنه ﷺ جعل مدة بقاء النداوة

---

(١) انظر صحيح الجامع برقم ٧٩٣.

(٢) العبرة باليد الشريفة التي وضعت الجريدة وأكثر أهل العلم أن هذه خصوصية من خصوصيات المصطفى ﷺ انظر كتاب هذه دعوتنا لإمام أهل السنة الشيخ عبد اللطيف مشتهري.

(٣) صحيح الجامع برقم ٢٤٤٠.

فيهما حدًّا لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما تعاطوه وجه. وما قاله الخطابي صحيح، وهذا هو الذي فهمه أصحاب رسول الله ﷺ إذ لم ينقل عن أحد منهم أنه وضع جريدًا ولا أزهارًا على قبر سوى بريدة الأسلمي، فإنه أوصى أن يجعل في قبره جريدتان، رواه البخاري، ويبعد أن يكون وضع الجريدة مشروعًا ويخفى على جميع الصحابة ما عدا بريدة.

قال الحافظ في الفتح: وكأن بريدة حمل الحديث على عمومه ولم يره خاصًّا بذنب الرجلين.

قال ابن رشيد: ويظهر من تصرف البخاري أن ذلك خاص بهما. فلذلك عقبه بقول ابن عمر حين رأى فسطاطًا على قبر عبد الرحمن: انزعه يا غلام فإنما يظلله عمله، وفي كلام ابن عمر ما يشعر بأنه لا تأثير لما يوضع على القبر بل التأثير للعمل الصالح. وقال إمامنا في كتابه هذه دعوتنا (أما وضع الجريدة على القبر فقد كان خصوصية لرسول الله ﷺ فعلها مرة على قبر الشخصين ولم يفعلها بعد ذلك لأحد ولم يقم أحد من الصحابة بفعلها وذكر العلماء أنها كانت مجرد شفاعة منه لدى الله لتخفيف العذاب عنهما وقبل الله رجاءه فيهما. لمدة محددة نص عليها في الحديث (**ما لم ييبسا**) أي ما دامت الجريدتان خضراوين). انتهى.

٤- مآتم الأربعين بدعة سيئة(١):

قال فضيلة الأستاذ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق في فتاويه: هذه بدعة سيئة لم تكن في عهد النبوة، ولا في عهود الصحابة والتابعين وهي خير العهود وهم أفضل القرون، بل لم تكن معروفة عند جمهور المسلمين في بلادنا وغيرها إلى عهد غير بعيد، وإنما هي بدعة مستحدثة دخيلة لا يشهد لها أصل من أصول الدين، فهي مذمومة منكرة، فيها تكرير العزاء وهو غير مشروع لحديث (التعزية مرة) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار. وفيه إضاعة الأموال في غير وجهها

---

(١) بيناه في كتابنا بدع المقابر والجنائز، القبر عذابه ونعيمه، أهوال القبور، الأنبياء وملك الموت.

المشروع، في حين أن الميت كثيرًا ما تكون في ذمته ديون أو حقوق لله تعالى، لا تتسع موارده للوفاء بها مع تكاليف بدعة المآتم، وقد يكون الورثة في أشد الحاجة إلى هذه الأموال ومع هذا يقيمون هذا المأتم استحياء من الناس، ودفعًا للنقد، وكثيرًا ما يكون في الورثة قصر يلحقهم الضرر بتبديد أموالهم في هذه البدعة التي يقصد بها غالبًا الفخار والسمعة والتباهي بالغنى.

ولهذا أهبنا بالمسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة الذميمة التي لا ينال الميت منها رحمة أو مثوبة بل، لا ينال الحي منها سوى المضرة في المال والدين وأن يعلموا أنه لا أصل لها في الدين. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ٧]. والاتباع هو الخير والابتداع هو الشر، والوقوف عند حدود الله شعار المؤمنين الصادقين.

وقد أوضحنا هذا في فتوانا التي أصدرناها بدار الإفتاء المصرية في ١٣ من شوال سنة ١٣٦٦ هـ (٢٩ من أغسطس ١٩٤٧) ثم بعد ذلك أخبرني صديق ثقة أنه لم يقم في المملكة العربية السعودية مأتم الأربعين للملك (عبد العزيز آل سعود)، طيب الله ثراه اتباعًا للسنة المطهرة، وأن الملك سعودًا حين علم بما اعتزمه المسلمون في سوريا من إقامة مأتم الأربعين في المفوضية السعودية أبى ذلك وأعلن أن ذلك لا يجوز شرعًا بل هو بدعة وأنه لا يرضى أن تقوم للبدعة قائمة باسم والده رحمه الله.

والعجب من أقوال يحبون ما درجوا عليه من البدع على غرار أولئك الذين قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ويميتون ما مضت به السنة المطهرة وقد قال تعالى:

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق والله أعلم. انتهى.

وقال الإمام الأمين في فتاويه:

ولا يخفى على عاقل حرمة ما ابتدعه الكثير من إقامة المآتم والخميس والأربعين والذكريات كل عام وكل موسم إسلامي، يجددون فيها الأحزان ويبذرون

فيها الأموال، والإسلام بريء من كل هذا الصنيع المحرم[1] وعليكم بكتاب الفتاوى للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

(قلت) يجب على كل مسلم عاقل أن يسعه ما وسع النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». وفي رواية لمسلم عن عائشة رضي الله عنها: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**». وروينا أيضًا في ابن ماجة عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا صدقة ولا حجة ولا عمرة، ولا جهادًا، ولا صرفًا ولا عدلا**». يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين[2]، وجاء في الحديث الصحيح: «**وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» وقال الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية: «وليس في الإسلام بدعة حسنة ولا عبرة بقول من قال إن في الإسلام بدعة حسنة».

اعلم يا أخي هدانا وهداك الله أن القرآن لم ينــزل للأموات بل هو شريعة إسلامية والشريعة الإسلامية تنفذ على الأحياء لقوله تعالى﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3][يس: ٦٩- ٧٠]وأوجه هذا النداء إلى جميع المقرئين ما حكم (كان) في الآية (٧٠) من ناحية الأعراب ومذهب سيبويه وغيره؟؟

---

(١) انظر ص ١٤٠ - الفتاوى الأمينية وص ٢١٠، ٢١٩ ج٧ الدين الخالص.

(٢) ابن ماجه الجزء الأول حديث رقم ٤٩. قلت: ولكن إذا تاب توبة نصوحًا فإن الله تعالى غفور رحيم.

(٣) كان فعل ماض أي ينفع الذي كان يحفظه ويعمل به على قيد الحياة. انظر تفسير ابن كثير لسورتي الملك والإخلاص مع العلم أن جميع الأحاديث الواردة في فضل سورة يس ضعيفة جدًا ولا يوجد فيها حديث يساوي سماعه.

٥- التعزية ومنكراتها:

قال الإمام الأمين في الفتاوى الأمينية[١].

التعزية مستحبة وقد ورد في فضلها والحث عليها أحاديث منها حديث عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة**»أخرجه ابن ماجه والبيهقي.

ويجوز خروج المرأة محتشمة متسترة لتعزي جيرانها لحديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم**». أخرجه أحمد وأبو داود، والنسائي، والبيهقي، وقد شرعت التعزية لما فيها من التعاطف والتحاب والحمل على الصبر والرضا بالقدر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال في البحر: والمشروع منها مرة واحدة لقول النبي ﷺ « **التعزية مرة واحدة** » ووقت التعزية من الموت إلى ثلاث أيام بعد الدفن.

وتكره تنـــزيها بعد الثلاثة إلا أن يكون المعزي أو المعزى غائبًا فلا بأس بالتعزية بعد الثلاث.

وما يفعل الآن من الاجتماع في مكان خاص للتعزية محدث وبدعة. قال الشافعي في الأم: أكره المآتم وهي الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المؤونة.

وجوز بعض العلماء الجلوس بشرط خلو المجلس من المنكرات وإلا امتنع اتفاقًا. ومن البدع المستنكرة والعادات المستقبحة، الاحتفال بذكرى الأربعين، ومرور العام لأنه لم يكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة والتابعين ولم يكن معروفًا حينئذ. والخير في اتباع من سلف والشر في ابتداع من خلف[٢].

---

(١) انظر ص ١٦٥ الفتاوى الأمينية.

(٢) راجع مآتم الأربعين من نفس الكتاب وكتاب الفتاوى الأمينية للشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية.

صلاة الفدية:

ما حكم ما يقوله بعض الناس من أن هناك صلاة تسمى صلاة الفدية أو الإعانة أو الهدية تنفع الميت في قبره؟ أرجو الإفادة.

قال الإمام الأمين رحمه الله في فتاويه:

صلاة الفدية أو الإعانة أو الهدية للميت على ما بين في السؤال صلاة غير مشروعة لا أصل لها، فينبغي تركها والبعد عنها إذ لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع[١].

(قلت): هذه الصلاة لم تشرع بل بدعة منكرة وجاء في الحديث: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

٦- الذبح للميت:

قال الإمام أمين خطاب رحمه الله في فتاويه:

الذبح عند خروج الميت من باب الدار أو عند القبر ليس له أصل في الدين بل هو بدعة نهى عنها النبي ﷺ لحديث عبد الرزاق بسنده إلى أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا عقر[٢] في الإسلام**»، قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعني بقرة أو شيئًا.[٣].

وليحذر من هذه البدعة ما يفعله الجهلة من حمل الخبز والخراف وغيرها أمام الجنازة.

وأنه ليقع بسبب ذلك تزاحم وضرب وإيذاء وعدم اعتبار بحال الميت وهذه مخالفة للسنة من وجوه:

١- أن ذلك من فعل الجاهلية.

٢- ما فيه من الرياء والسمعة والمباهاة والفخر ولو تصدق أهل الميت بذلك سرًّا لكان عملا صالحًا إذا سلم من البدعة. وعلى كل فلم يكن شيء من هذا من فعل من مضى والخير كله في الاتباع. ا.هـ[٤].

---

(١) انظر ص ١٣٥ الفتاوى الأمينية، ج٨ ص ٣٤١ الدين الخالص.

(٢) أي لا ذبح عند القبر.

(٣) صحيح الجامع برقم ٧٥٣٥.

(٤) انظر ص ج٣ ٣٥ المدخل لابن الحاج.

وفي مفهومي أن السبب في ذلك هم العلماء لأنهم مقصرون وكل همهم حب الظهور في وسائل الإعلام وتقليد الإفرنج في الملبوس والهيئة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يـــا علمـــاء العـــصر يـــا ملح البلد   كـــيف يـــصلح الملح إذا الملح فسد

وأقول لكبار العلماء: اتقوا الله تعالى وبينوا للناس ولا تخافوا على مناصبكم أو قطع العوايد والأموال السحت عنكم فالكل نهايته الزوال، فكروا ماذا تقولون لله تعالى عند الوقوف أمامه؟ هل تقولون إن الحاكم هو الذي كان يوجهنا بالريموت كنترول فهذا دفاع غير مقبول، ولا بد من التوبة قبل فوات الأوان.

٧- النهي عن الصلاة عند القبور

١- وليعلم أيضًا أن الصلاة عند القبور قد نهي عنها وأنه لا يصح لرجل أن يتحراها ويصلي عندها. والدليل ما رواه الإمام البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك يصلي عند القبر فقال له "القبر. القبر" ويفهم من ذلك أن عمر بن الخطاب والصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم علم مسبق بالتحريم والدليل أنه عندما صاح عمر بن الخطاب قائلا لأنس: "القبر. القبر" لم يصر أنس على ما كان عليه بل تنبه وابتعد ليدل ذلك أيضًا على أن الصحابي أنس بن مالك لم يتعمد الصلاة عنده. ويحمل ذلك على أنه لم ير القبر.

٢- وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تصلوا إلى القبر ولا تجلسوا عليها**».

قال المناوي في فيض القدير: أي مستقبلين إليها لما فيه من التعظيم البالغ لأنه من مرتبة المعبود.

وإلى ذلك ذهب الإمام النووي حيث قال في تعليقه على هذا الحديث «فيه دليل على تحريم الصلاة إلى القبر لظاهر النهي».

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني في (سبل السلام) تعليقًا على هذا الحديث أيضًا «..... وفيه دليل على النهي عن الصلاة إلى القبر كما نهي عن الصلاة على القبر والأصل التحريم ولم يذكر المقدار الذي يكون به النهي عن الصلاة إلى القبر والظاهر أنه ما يعد مستقبلا له عرفا».

ومن ثم فإنه يجوز للمسلم أن يصلي إذا كان القبر عن يمينه أو يساره أو خلفه. ولا يجوز له أن يصلي على القبر إن كان مسوى بالأرض. كما لا يجوز له أيضًا أن يصلي إلى القبر -أي يكون القبر بينه وبين القبلة- وذلك لما في الحديث السابق ذكره.

أما بالنسبة لهذه الأضرحة والتي بنيت داخل حجرات خاصة خارج المساجد فلا يجوز الصلاة فيها على الإطلاق. سواء كان المصلي على يمين أو يسار أو خلف القبر وذلك لأنه ترك ساحة المسجد والتي ما جعلت إلا للصلاة وتعمد الحجرة التي بها الضريح ليصلي عندها، فيكون عدم الجواز هنا من قبيل اتخاذ المقبرة مسجد.

أما إذا تعمد أحد الصلاة في الحجرة التي بها الضريح لأجل التماس البركة. أو لاعتقاده بأن صلاته في الحجرة أفضل لأجل وجود -المقبور- فيها فهذا هو عين الشرك بلا خلاف ولبسط الكلام في هذه المسألة فقد أفردنا لها بابًا خاصًا كما سيأتي بإذن الله.

وخلاصة القول: إن الصلاة في المساجد التي بها قبور كالبدوي والدسوقي والقناوي والسيدة والحسين فهي صلاة باطلة، وعلى أي عالم يخالفني في ذلك أن يضع لسانه في فمه وأن يفكر مليون مرة لأننا في غنى عن ثرثرته وفيهقته وإجرامه في حق الله تعالى.

٨- رفع القبر عن الأرض لا ينفع الميت:

وليعلم أيضًا أن في تعلية القبور عن الأرض مفاسد كثيرة لا تخفى على من شم رائحة العلم، ولذلك كان رسول الله ﷺ يأمر بعدم رفعها عن الأرض حتى لا تكون فتنة وتنقلب إلى أوثان تعبد من دون الله والدليل على ذلك:

١- عن أنس أن النبي ﷺ أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة. رواه ابن ماجه في السنن. ورواه أبو داود من حديث المطلب بن أبي وداعة وفيه: أنه حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال: أتعلم قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهل.

٢- عن جعفر بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ مشى على قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه حصباء. رواه الشافعي.

وهذا يبين أنه لو كان في تعلية القبور فائدة لما حرم النبي ﷺ ابنه وحبيبه

إبراهيم منها، وذلك لعلم الرسول ﷺ والصحابة ﷺ أن العمل الصالح هو الذي ينفع الميت في قبره فلم يهتموا بتعلية القبور وبنائها بطريقة تنافي الشرع كما هو شائع اليوم عند من أصابتهم عدوى التفاخر بعد أن شغلتهم المظاهر وألهتهم عن العمل بأصول الدين الحنيف.

٣- عن أبي رافع قال: سل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ ورش على قبره الماء.

٤- روى أبو بكر النجار عن طريق بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ رفع قبره من الأرض شبرًا وطينه بطين أحمر من العرصة(١).

وهذا الحديث يبين جواز تعلية القبور قدر شبر وهو القدر الذي سمح به الشرع وبه قال الإمام الشافعي والإمام الحسن البصري. إلا أن الإمام يحيى وأبا حنيفة قالا بكراهة التطيين(٢).

---

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٢) لا ينبغي لأحد أن يقول بأن قول الإمام يحيى وأبي حنيفة بكراهة التطيين فيه مخالفة لأنهما كرها ما أجازه الرسول ﷺ كما لا يصح لأي أحد من العامة أن ينصب نفسه حكمًا على العلماء عامة وأصحاب المذاهب خاصة في المسائل التي اختلفوا فيها فيرجح قول أحدهم على الآخر. أو يحكم بأن صاحب المذهب أخطأ في كذا أو أصاب في كذا إلا إذا كان على علم بالأسباب التي توجب الخلاف بينهم، وذلك لأن المسائل التي اختلفوا فيها محصورة بين ستة أمور هي:

أولا: أن أحدهم قد يتكلم بحديث لم يصل إلى الآخر. فيبني الأول حكمه بناء على الحديث ويبني الآخر حكمه بناء على ما عنده من الأدلة الأخرى.

ثانيًا: أن يجتهد أحدهم فيما اجتمع عنده من الأدلة سواء كانت هذه الأدلة مبنية على الأحاديث أو الأقوال المأثورة، فيرجح قولا على قول، ومن هنا يظهر الخلاف.

ثالثًا: أن يختلفوا في تأويل بعض الآيات والأحاديث من حيث الألفاظ الواردة فيها فيبني كل منهم حكمها على ما اهتدى إليه من التأويل فيما يخص هذه المسألة.

رابعًا: أن يكون هناك مسألة ما جمعت بين الجائز والمكروه، فيقال بكراهتها ككل لما تضمنته من مكروه وذلك سدًا للذريعة، وربما تكون المسألة السابقة من هذا النوع. كأن يكون الإمام يحيى وأبو حنيفة قالا بكراهة التطيين بناء على أن القبور في زمان كل منهما كانت أعلى من القدر المشروع وكانت رغم ذلك تطين. فقالا بكراهة التطيين مع تعلية =

عن ابن الهياج الأسدي قال: قال لي علي ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته. أي سويته بالأرض. رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه(١).

=

القبور.

خامسًا: أن يقول أحدهم بما يخالف الحديث في المسائل الفرعية التي لا تمس العقيدة رغم علمهم بصحة الحديث وتأويله لحكمة تقتضيها الظروف التي يعيشها صاحب القول، كأن يكون الناس في زمانهم أقرب إلى الفتنة بشيء ما، فيقال بكراهة كل ما يؤدي إلى الافتتان به سدًّا للذريعة، وهذا من الحكمة وفي نفس الوقت لا يقول غيره بذلك لأنه لا يجد أمامه ما يحمله على أن يخالف ما عنده من الأدلة الثابتة.

سادسًا: أن يكون أحدهم وقف على الناسخ والمنسوخ في مسألة ما ولم يقف الآخر عليها، فيبني الأول حكمه على آخر حديث قيل فيها ويبني الآخر حكمه على ما وقف عليه من الأدلة السابقة.

تنبيه: لو علم أن هناك ما يخالف الكتاب والسنة أو خالف الإجماع ضرب برأيه عرض الحائط وأخذ بما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو بما أجمع عليه جمهور العلماء ولا يغتر باسمه وشهرته بين الناس وذلك لأن الرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال. هذا وليعلم أن العالم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، على أن لا يعمل برأيه إذا ثبتت مخالفته للكتاب والسنة أو لما أجمع عليه جمهور العلماء.

(١) ولما كان القبوريون أهلا للجدال بسبب حميتهم وعصبيتهم العمياء لعادات الجاهلية. فإنهم لم يكتفوا بما ورد من أدلة ثابتة كافية شافية بالنسبة لتعلية القبور فوق الأرض. ولهم شبهة يحتجون بها على من ينكر عليهم بنائهم للأضرحة والمقامات فوق من فتنوا بهم من الأموات إذ يقولون: إن قبر الرسول ﷺ قد بني عليه قبة كبيرة ولو كان بناء هذه القبة حرام ما بنيت ويقال لأصحاب هذا القول:

أولا: إن الأصل في فعل الشيء أن يكون مشروعًا، لا أن يتم فعله ثم يؤخذ به لأنه قد حدث.

ثانيًا: إن هذه القبة المبنية على قبره ﷺ ليس لبنائها دليل شرعي لأنه ﷺ هو نفسه الذي أوصى بعدم رفع القبور عن الأرض وأمر بتسويتها بما في ذلك قبره كما بينا في مواضع كثيرة، وليعلم أنه لم يتم بناء هذه القبة في عهد الصحابة وتابعيهم لأنهم كانوا أعلم بما أثر عن الرسول ﷺ بعدم تعلية القبور عن الأرض، ولكن تم بناء هذه القبة في عهد بعض ملوك مصر، وهو (قلاوون الصالحي) المعروف بالملك المنتصر في سنة ثمان وسبعين

=

روى الإمام مسلم في صحيحه عن هارون أن ثمامة بن شقي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم (برودس) فتوفي، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

روى الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

قال الإمام الشوكاني في ذلك: والظاهر أن رفع القبور على القدر المأذون فيه محرم وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة الشافعي ومالك.

والقول بأنه غير محظور لا يصح. لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك، والسكوت لا يكون دليلا إذا كان في الأمور الظنية وتحريم رفع القبور ظن.

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القباب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن الرسول ﷺ فاعل ذلك.

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وإنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة: إنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع، لا تجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصم، حلف بالله فاجرًا فإذا قيل له بعد ذلك: بشيخك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحلف، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ قوله شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

=

وستمائة وذلك لأهداف سياسية لا دينية.

فيا علماء الدين ويا ملوك الإسلام أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارًا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

وقال ابن حجر في الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه أو نذره.

وقال الإمام ابن حزم: لا يحل أن يبنى القبر ولا يجصص ولا أن يزاد على ترابه شيء ويهدم كل ذلك.

فإذا علم من الأحاديث السابقة وفتوى جمهور العلماء بما فيهم الإمام الشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة أنه ليس من الهدي الصحيح ولا من الشرع الحنيف تعلية القبور على الأرض فكيف بمن رفعوها قدر ذراعين وأكثر؟ ومن أين أتوا بالأدلة التي تجيز رفع القبور بهذه الطريقة والمسماة بمقامات أولياء الله الصالحين؟هل يبعث الميت من جديد داخل هذا القبر فيقوم ليملأ الفراغ الموجود داخل المقام؟ أم كان في عهدهم من مات صلبوه وبنوا حوله القبر فيكون الدفن قد تم على طريقة الوضع واقفًا؟ فإن لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا إذًا الوقوف أمام هذا العمود والتمسح فيه والطواف حوله والصراخ والعويل بجواره؟

٩- إيقاد السرج على المقابر والكتابة عليها

قد نهى الرسول ﷺ أيضًا عن إيقاد السرج ولعن من يفعل ذلك والدليل:

١- ما رواه الإمام أحمد وغيره في السنن عن ابن عباس أنه قال: **«لعن الرسول ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»**.

ونهى أيضًا عن الكتابة عليها والدليل:

ما رواه أبو داود والترمذي عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ: «نهى أن تجصص

القبور وأن يكتب عليها».

ومعلوم أن الكتابة هنا كانت، مجردة من شبهات الشرك. إذ لو كانت مخلة بعقيدة المسلم لكان التحريم أقرب من النهي. والظاهر أن الكتابة هنا عبارة عن اسم الميت ونسبه وما إلى ذلك بطريقة الزخرفة مما لم يأذن فيه الشرع لأن ذلك قد يؤدي إلى التعظيم والتفاخر والفتنة بالأموات وإن كانت هي السبب الرئيسي للنهي والله أعلم.

قال العالم الرباني ابن القيم في هذا الباب ما نصه:

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده: من النهي عما تقدم ما ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

ولا ريب أن في ذلك المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.

فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها. ومنها اتخاذها عيدا - ومنها السفر مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها، والمجاورة عندها. ومنها تعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاوزة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

ومنها: اعتقاد المشركين أن بها يكشف البلاء وينصر الأعداء ويستنـــزل غيث السماء. وتفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم. ويجار الخائف إلى غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة. كما أن المسيح يكره ما يفعله النصارى عند قبره.

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرؤون منهم. كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان: ١٧ -١٨] قال الله للمشركين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان: ١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

ومنها: مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها.

ومنها: محاداة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها.

ومنها: التعب العظيم مع الوزر الكثير والإثم العظيم.

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها: تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله. فإن عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظير، ولا قريب منه.

ومنها: أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ودين الله الذي بعث به رسوله ضد ذلك ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وأخربوا المساجد.

ومنها: أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور: إنما هي تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العاقبة له فيكون الزائر محسنا إلى نفسه وإلى الميت فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه به، وسؤاله حوائجهم

واستنـــزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء. ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له...

١٠- طيران الموتى بالنعش[(١)]

يتحدث كثير من الناس عن طيران بعض الموتى، وهم محمولون على أعناق الرجال، وعن تراجع النعش بحامليه إلى الوراء، ويتحدثون عن ثقله مرة، وخفته أخرى، وتنتشر هذه الأحاديث، وتأخذ بين الناس صبغة الواقع الصحيح، كما يأخذ الموتى في معتقداتهم مكانة الأولياء الذين تبدو كراماتهم الحسية. وكثيرًا ما ينشأ عن ذلك إقامة أضرحة لهؤلاء الموتى باسم الولاية، وتصبح تلك الأضرحة مزارات تلتمس بركاتها، ويدعى من فيها، ويتجه إليه في قضاء الحاجات ودفع الملمات والكروب، كما يصبح للضريح أيضًا خدم وموظفون، يتلقون النذور والصدقات باسم ساكنه.

وقد سألني الكثيرون أن أبين لهم موقف الدين من هذه الأمور.

أخبار يلوح عليها الزيف:

والواقع أن صدق هذه الأخبار لا يكفي فيه مجرد سماعها، ولا مجرد رؤية النعش وهو محمول على الأعناق يتقهقر إلى الوراء أو يقوم إلى الأمام، فضلا عن سماع طيرانه في السماء. لا يكفي سماع شيء من هذا في تصديقه؛ فالناس مولعون بتناقل الأخبار الغريبة، وفيهم من هو قابل لتصديق كل شيء يسمعه فينقله ويتحدث به ويقسم عليه. إن صدق الأخبار يحتاج إلى الوثوق بصدق حاملي النعش، والوثوق بسلامة نفوسهم من الانفعالات الخاصة، التي تورث الضعف في أعصابهم، وتجعلهم يتقهقرون أو يندفعون إلى الأمام بغير انتظام، والوثوق بأنه ليس لهم نوايا خاصة في إشاعة أن الميت له عند الله منـــزلة، يبنى له بها ضريح، وتصنع له مقصورة، وتفتح أبوابه للزيارة والنذور، وتقام له الموالد والليالي، إلى غير ذلك مما يكون في واقعه

(١) جاء لنا ذلك بجريدة اللواء الإسلامي القاهرية راجع الفتاوى للشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى.

مورد رزق جديد لحامليه، وإلى من أوعز إليهم بإيجاد هذا المظهر.

لم يطر ميت محمول في سيارة:

ومن الغريب أنا لم نسمع بذلك إلا في القرى؛ حيث تحمل الموتى على الأعناق، وإلا في عصورنا المتأخرة التي اتخذت فيها هذه المظاهر سبيلا للارتزاق، وسبيلا للتغرير بضعفاء العقول؛ فلم نسمعه عن ميت محمول في سيارة أو قطار أو في طائرة، لم نسمعه عن باخرة قافلة من بيت الله الحرام، وقد فاضت فيها روح حاج تقي نقي له بالله صلة خاصة، لم نسمع أن جثته ثقلت أو امتنعت عن أيدي الذين يقذفونه في البحر، حتى يحفظ من الحيتان والأسماك، ويدفن في القبور العادية.

لم يطر أحد من الصحابة:

لم نسمع شيئًا من ذلك أن أحدًا من الربانيين الذين ماتوا في العصور الأولى للإسلام، خير القرون وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، وحماة الإسلام من الصديقين والشهداء والصالحين. وإذن فنحن في حل من تكذيب كل ما نسمع من هذا القبيل ونرفضه ولا نعنى بالبحث عن أسراره وأسبابه. والإنسان متى فارق الحياة انقطعت صلته بالدنيا، وصار أمره لله وحده.

ومن غريب الأمر أن مثل هذه الأقاصيص المخترعة لا تروج إلا في زمن التقهقر الفكري، وانصراف الناس عن العمل الجاد المثمر، ولا تروج إلا في بيئات خاصة عرفت بالسذاجة وتصديق كل ما يقال.

وبعد:

فنصيحتي للسائلين أن يتجهوا بأسئلتهم نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وليعلموا أن الحياة - حياة السائل، وحياة المجيب، وحياة القارئ والمستمع - أعز من أن تضيع في السؤال والجواب عن طيران الموتى أو تقهقرهم أو تقدمهم، وليس في النعش سوى جثة هامة ذهب روحها إلى خالقها، وهو وحده العليم بحالها ما لها وما عليها: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

١١- موالد المشايخ بدعة وضلالة

ما حكم الدين في إقامة الموالد للمشايخ ووضع الشمع والمناديل على مقاماتهم؟ابتداع الموالد في عهود التأخر:

الموالد: هي هذه الحفلات الصاخبة أو المجتمعات السوقية العامة، التي ابتدعها المسلمون في عهودهم المتأخرة باسم تكريم الأولياء وإعلان قدرهم ومكانتهم، عن طريق تقديم النذور والقرابين وذبح الذبائح، وإقامة حفلات الذكر، وعن طريق الخطب والقصص والمناقب والأناشيد، التي تصور حياة الولي، وتصف تنقله في معارج الولاية، وما يتحدث به الناس عنه ويضاف إليه من كشف وخوارق وكرامات.

تقام تلك الحفلات لأولياء المدن، ولكثير من أولياء القرى، وقد تقام حفلة الميلاد في السنة الواحدة للولي الواحد مرتين فأكثر. ولهذه الموالد على العموم عشاق يضعونها في مصاف الشؤون الدينية التي يتقربون بها إلى الله عن طريق الولي، فيحفظون تواريخها، ويهيئون طول العام لها، حتى إذا ما حل وقتها تراهم يحزمون أمتعتهم ويرتحلون بقضهم وقضيضهم برجالهم ونسائهم، وشيوخهم وشبانهم. ويلقون بأحمالهم -كما يقولون- على شيال الحمول صاحب المولد، تاركين بيوتهم ومصالحهم في قراهم ومزارعهم مدة تتراوح بين أسبوع وأسبوعين.

والمشايخ الأولياء - من جهة تعلق الناس بهم، والعناية بموالدهم - على قيم مختلفة ودرجات متفاوتة، فمنهم من يعظم عند الناس جاهه، ويمتد في نظرهم سلطانه؛ ويتسع صدره لكل لون من ألوان الحياة، ولكل رغبة من رغبات الطوائف، حتى لقد ترى حفلات المقامرين والمقامرات بجانب حفلات المدمنين والمدمنات، وبجانبها حفلات الذاكرين والذاكرات، والخليعين والخليعات، والراقصين والراقصات، ويجوس خلال الجميع المتسولون والمتسولات، والنشالون والنشالات. وكل ذلك يصنع في الموالد، وعليه تقام، وإليها يهرع الناس باسم الولاية وتكريم المشايخ.

مباءة للمفاسد:

ومهما قال عشاق الموالد، والمتكسبون بها ومروجوها من أن فيها ذكر الله

والمواعظ، وفيها الصدقات، وإطعام الفقراء -فإن بعض ما نراه فيها ويراه كل الناس- من ألوان الفسوق وأنواع المخازي، وصور التهتك، والإسراف في المال - يحتم على رجال الشؤون الاجتماعية، وقادة الإصلاح الخلقي والديني المبادرة بالعمل على إنهائها ووضع حد لمخازيها، وتطهير البلاد من وصمتها. ولقد صارت بحق -لسكوت العلماء عنها، ومشاركة رجال الحكم فيها -مباءة عامة تنتهك فيها الحرمات، وتراق في جوانبها دماء الأعراض، وتمسخ فيه وجوه العباد، وتستباح البدع والمنكرات، ولا يقف فيها أرباب الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامة، وإنما ينكرون ويبتدعون ما شاء لهم الهوى من صور الدعارة المقوضة للخلق والفضيلة.

ومن أشد ما يؤلم، أن نرى كثيرًا من تلك المناظر الداعرة تطوق في المدن معاهد العلم والدين ومساجد العبادة والتقوى، على مسمع ومرأى من رجال الحكم ورجال الدين أرباب الدعوة والإرشاد.

مقامات الأولياء:

أما وضع الشمع والمناديل على مقامات الأولياء فينبغي أن يعرف أولاً: أن الدين لا يعرف شيئًا يقال له "مقامات الأولياء" سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات، وإنما يعرف كما يعرف الناس أن لهم قبورًا، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين، يحرم تشييدها وزخرفتها وإقامة المقاصير عليها، وتحرم الصلاة فيها وإليها، والطواف بها، ومناجاة من فيها، والتمسح بجدرانها، وتقبيلها والتعلق بها، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها، وإيقاد شموع أو ثريات حولها. وكل ذلك - مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون في فعله على أنه قربة لله أو تكريم للولي أو قربة وتكريم- خروج عن حدود الدين، وارتكاب لما حرمه الله ورسوله في العقيدة والعمل، وإضاعة للأموال في غير فائدة، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة، واحتيال على سلب الأموال بالباطل.

أما بعد - فهذا هو حكم الدين في الموالد، وهذا فيما يصنع بمقامات الأولياء. فمتى يتنبه المسلمون ويتقربون إلى الله بما يرضاه الله؛ وتقرب به إليه أولياؤه الذين آمنوا وكانوا يتقون.

عادات المآتم:

طلب إلي مسلم كريم أن أبين له وللناس حكم الشريعة فيما اعتاده الناس في المآتم، وأعين على وجه الخصوص:

أولا: حكم قراءة الصلوات ودلائل الخيرات بالأصوات المرتفعة أمام الجنازة.

وثانيا: حكم ذبح الحيوانات عند خروج الجثة من المنـــزل أو عند وصولها إلى المقبرة على مشهد من المشيعين.

وثالثا: حكم إقامة المآتم ليلة فأكثر على الوجه المعروف الآن في القرى والمدن.

ورابعًا: حكم الاجتماع لإعادة التعزية فيما يعرف باسم الخميس الصغير، والخميس الكبير، وباسم الأربعين والمواسم، وباسم الذكرى السنوية من كل عام.

وخامسًا: حكم إعلان الحزن بلبس الملابس السوداء، وحمل شارات الحزن، وما يتبع ذلك من تحريم أهل الميت وأقاربه على أنفسهم بعض الأطعمة.

وسادسًا: حكم ما يفعله بعض الناس باسم إسقاط الصلاة والصوم عن الميت.

وأخيرًا عن المعنى المقصود من قول النبي ﷺ: «**إياكم والنعي فإن النعي عمل الجاهلية**».

١٢ - الإسلام يقر العادات الحسنة وينكر السيئة

وفي الواقع أن الناس اعتادوا أمورًا كثيرة في المآتم وغير المآتم، ولم يعتمدوا في أكثرها إلا على مجرد الاستحسان الشخصي أو الطائفي، وأخذت تنتقل من جيل إلى جيل حتى عمت وصارت تقاليد، يأخذها حاضر الناس عن ماضيهم، وغير ناظرين فيها إلى أكثر من أنها سنة الآباء والأجداد، ولم يجدوا من ينكر المنكر منها عليهم! ولعلها وجدت من يبيحها أو يستحسنها ويقويها! فعلها واعتادها غير المتفقهين، وسايرهم فيها المتفقهون، واحتملوا إثمها وإثم من ابتكرها وفعلها إلى يوم الدين!!.

استقرت هذه العادات في المجتمعات الإسلامية بلونها الديني، حتى ظن غير المسلمين أنها من شؤون الإسلام، والإسلام منها بريء. وبذلك ألصق بالدين ما ليس منه، واستطاع الزائرون الأجانب أن يتخذوا لها رسومًا شمسية، صوروا بها الإسلام العملي في بلادهم، تشويهًا للمجتمع الإسلامي، ومسخًا للإسلام. ومن هنا

عظمت الجريمة وتضاعفت المسؤولية. ولكن على من تقع؟ ومن عليها يحاسب؟ أعتقد أن الذين تقع عليهم المسؤولية، ويحاسبون عليها يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم المسؤولون، المحاسبون!.

جاء الإسلام وللناس عادات، بعضها حسن طيب مفيد؛ فأقرها وقواها. وبعضها سيئ خبيث ضار؛ فأنكرها وحاربها وألغاها. وكان هذا هو شأن الإسلام في كل ما جد في ظله من عادات الحسن يقره ويسميه "سنة حسنة"، والسيئ يدفعه ويسميه "سنة سيئة" وكان شأن القائمين على أحكام الإسلام وبيانها أن يسيروا مع العادات، حسنها وسيئها، على هذا المبدأ العام الذي قرره الإسلام في التقرير والإنكار.

الأحكام الشرعية:

ولمعرفة حكم الشرع في عادات المآتم، وهو موضوع فتوانا، ينبغي أن يعرف المسلمون أن الحكمة في تشييع الجنازة، الذي طلبه الشرع وحث عليه، هي الاتعاظ بالموت، واستحضار جلاله الآخذ بالنفوس، القاضي على غطرستها، المذكر بيوم الحساب والجزاء: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقد جاء في ذلك عن النبي ﷺ ما معناه: «اتباع الجنازة يذكر بالآخرة».

الصمت عند الجنازة:

١- وتحصيلا لهذه الحكمة السامية طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة إلى النفس، ويقوى التذكر في القلب، وفي ذلك ما ورد عن الرسول: «**إن الله يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة**». ومن هنا علم حكم العادة الأولى، وحرم رفع الصوت في تشييع الجنازة، ولو بالذكر وقراءة القرآن، وطلب الاستغفار للميت. وقد روي أن أحد المشيعين لجنازة على عهد رسول الله رفع صوته بالاستغفار للميت، فقال له الأصحاب بمسمع من النبي ﷺ: «لا يغفر الله لك». وإذا كان رفع الصوت بطلب الاستغفار، وهو دعاء من الحاضرين للميت، بهذه المثابة من الإنكار، واستحقاق صاحبه المقت والتشنيع والدعاء عليه بالحرمان من مغفرة الله، فما بالنا برفع الأصوات بغيره،

كالصياح والنياحة والندب وعزف الموسيقى ذات النغمات المحزنة.

وقد نهى النبي ﷺ عن اتباع الجنائز التي معها "رانة" والرانة هي المصوتة، أي ذات الصوت، فشمل بعمومها النائحة والموسيقى والقارئ والذاكر، فكل ذلك أمام الجنازة حرام ومنهي عنه.

وليس من شك في أن هذه المظاهر - فضلا عن أنها تحول دون التذكر والاتعاظ - تثير الأحزان وتضاعف الأسى، وتخلع القلوب، وتأخذ بها عن جميل الصبر، وفضيلة الرضا بقضاء الله.

وقد سمع عمر بن الخطاب مرة ندبًا ونياحة، فدخل مكان الصوت، وأخذ الحاضرين بدرته حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها، وقال لمن معه: «اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي لشجوكم، إنها تريق دموعها على أخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبوركم، وأحياءكم في دورهم إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه».

ولا أدري ماذا كان يفعل عمر لو رأى ما نرى وسمع ما نسمع في الشوارع، والمقابر، والنوادي، ماشيات، حافيات، راكبات، قد صبغن وجوههن وملابسهن، وغيرن خلق الله؟

الذبح عادة جاهلية:

أما الذبح عند خروج الجثة، أو عند وصولها إلى القبر، فهو عادة جاهلية، وقد نهى النبي عنها بقوله: «**لا عقر في الإسلام**». وهو بعد ذلك لون من ألوان المباهاة والفخر في موضع ليس محلا للمباهاة، والفخر، وللصدقة مجالها في المكان والزمان والأشخاص.

إقامة المآتم:

أما إقامة المآتم - ليلة فأكثر على الوجه المعروف من نصب السرادقات، والإنفاق عليها بما يظهر بهجتها - فهي قطعًا إسراف محرم بنص القرآن، وتشتد حرمتها إذا كان وارث الميت قاصرًا، يحمل لكل هذه النفقات، أو كان أهل الميت في حاجة إليها، أو كانوا لا يحصلون عليها إلا عن طريق الربا المحرم، ولم تكن التعزية عند مسمى العصور الأولى إلا عند التشييع، أو عند المقابلة الأولى لمن يحضر التشييع.

الخميس والأربعين:

ومن هنا، لم يكن معروفًا في الإسلام ما يعرف اليوم من خميس صغير أو كبير فضلا عن "الأربعين والمواسم والأعياد" التي يجدد فيها الناس اليوم الأحزان، ويعيدون بها المآتم، ويشغلون بها الناس عن أعمالهم النافعة في الحياة.

لا حداد إلا لامرأة على زوجها:

ومما يضحك الثكلى في عادات المآتم إظهار الحزن بالامتناع عن صنع بعض أنواع الأطعمة أو تناولها، وبالملابس السوداء ولو برباط العنق الأسود، وأن يستمر ذلك مدة قد تبلغ سنة كاملة، وقد نهى النبي ﷺ عن استدامة الحزن وإظهاره فوق ثلاثة أيام إلا لامرأة مات عنها زوجها، فجعل لحزنها مدة عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام.

إسقاط الصلاة والصوم:

وإذا كان الناس يتصرفون في أعمالهم الخاصة بحكم التعود الموروث، والتقليد المتبع، ويستبيحون لأنفسهم ما يفعلون من عادات ليست إلا مهزلة من مهازل التوارث الفاسد، فمن ذا الذي أباح لهم التصرف في حقوق الله التي أوجبها على ميتهم في حياته ليزكي بها نفسه من صلاة أو صوم، ثم استخف بها وتركها، أو تلهى عنها ومات وهو مطالب بها؟ أتدري ماذا يفعلون؟ يحسبون لها فدية ويقدمونها للفقراء باسم "إسقاط الصلاة أو الصوم"، ثم يعبثون باحتيال مكشوف لا يخفى على أحد من الناس، فضلا عمن أحاط بكل شيء علما، يعبثون فيشترطون على الفقير لكثرة الفدية أن يردها إليهم بطريق الهبة في مقابله جزء يسير يأخذه منها! فعلى فرض مشروعية إسقاط الصلاة والصوم - والواقع أنه لم يرد بها مصدر تشريعي صحيح ولا ضعيف- فهل يعقل أن تكون تلك الحيلة عملا مشروعًا يقبله الله ويسقط به عن ميتهم الصلاة والصوم؟! إنه احتيال من نوع احتيال أهل السبت.

النعي مباح ومحظور:

أما النعي، بمعنى الإخبار بالموت فقط، فإنه شأن لا بأس به، بل ربما كان مطلوبًا، نظرًا لما فيه من مبادرة الناس إلى شهود الجنازة، ومن مساعدة أهل الميت في التجهيز والدفن، ومن التعزية في وقتها، وفيه بعد هذا كله الإعلان بانقطاع

معاملته مع الخلق، وانتقاله إلى الخالق، أما النعي بما وراء ذلك -من طواف النساء ليلا أو نهارًا يندبن ويلطمن، وبكلمات الجاهلية، وبعتاب القضاء والقدر، والسخط والتبرم منهما- فهو محرم ومنهي عنه.

أما بعد.

فهذا ما أردت بيانه للناس من أحكام الله في عادات المآتم. وأرجو أن يكون لإيمان المؤمنين عمل حازم يرد الناس إلى ما يرضي الله ويحفظ عليهم كرامتهم، وينقي دينهم مما غشاه من بدع ومنكرات، ونسأل الله التوفيق.

١٣- زيارة المقابر(١)

تحدث معي أخ كريم فيما تجري به عادة بعض المسلمين -كلما وافتهم الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان- من كثرة التردد على المقابر والأضرحة لزيارتها، وقد امتد الحديث إلى هذه المظاهر التي ألفها الناس في المآتم، يظن كثير منهم أنها مما يستحبه الدين، أو يبيحه على الأقل. وكان فيما قال: إنه سمع من علماء الحلال والحرام، فيما يختص بزيارة النساء للمقابر، حكمين متعارضين، سمع أنها مباحة، وأن تمكينهن منها حق لهن على الرجال، وسمع أنها محرمة، وأنهن يرجعن منها مأزورات غير مأجورات. وأنه كذلك سمع حكمين متعارضين في زيارة الأضرحة (مقابر الأولياء) : سمع طائفة من أرباب الإرشاد الديني تقررها، وترى إباحة ما اعتاده الناس في زيارتها، وسمع طائفة أخرى تنكرها أشد الإنكار، وترى أنها من بقايا صور الوثنية التي جاء الإسلام لمحوها والقضاء عليها!!.

ويقول صاحبنا: إن اختلاف العلماء هكذا - في هاتين المسألتين وغيرهما، وفي كثير من المسائل التي ينبغي أن يكون حكمها بينًا واضحًا، وأن يكون موقف المسلمين فيها واحدا غير مختلف - مما يوقع الناس في بلبلة دينية، كثيرًا ما تثير بينهم فتنا نحن في أشد الحاجة إلى البعد عنها، وتطهير المجتمع منها، وتوجيههم إلى ما يحفظ عليهم قيمة الوجود في الحياة، وخاصة مسألة زيارة الأضرحة، التي تفاقم الاختلاف فيها إلى حد التكفير، والرمي بالشرك، والتسوية بينها وبين عبادة الأصنام

---

(١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

في الجاهلية !! وقد طلب إلي بهذه المناسبة أن أتحدث إلى القراء عن حكم الشريعة في هذه الشؤون، داخل إطار النصوص التشريعية الواردة فيها، وعلى ضوء من الحكم المقصودة منها، ونرجو أن تخف بذلك وطأة الاختلاف الذي يلهب نار الفتنة بين المسلمين باسم الدين والدين منها بريء.

وتلبية لهذه الرغبة أجبته بما يلي:

زيارة النساء للمقابر:

ينبغي أن يعلم أولا: أن زيارة المقابر كانت في أول الإسلام محرمة على الرجال والنساء، وأنه حينما استقرت عقيدة الإسلام في القلوب، وعرفت أحكامه وأهدافه أبيحت الزيارة، وجاءت فيها جملة من الأحاديث الصحيحة تضمنت مشروعيتها وكيفيتها وحكمتها. الحديث القائل: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة**». ومنها أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة: «من أين أقبلت يا أم المؤمنين؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن. فقال لها: أليس كان نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها». وكان منها في بيان كيفيتها أن الرسول كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر بأن يقولوا: **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**. ومنها أن النبي مر بامرأة عند قبر تبكي على صبي لها، فقال لها: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، اذهب عني - وكأنها لم تعرفه - فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله ﷺ، فأتت إليه وقالت: لم أعرفك يا رسول الله. فقال لها: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»، وعظها بالصبر ولم ينكر زيارة القبر.

والذي يؤخذ من هذه الأحاديث أنه متى قصد بزيارة القبور الإحسان إلى الميت بالدعاء، وإلى النفس بالعظة والاعتبار، وخلت عن تجديد الأحزان ومظاهر الجزع، وعن التجمعات الساخرة التي نراها في الأعياد والمواسم، وعن صور اللهو والتسلية ونظم الضيافة، وعن المبيت في المقابر، وانتهازها فرصة لما لا ينبغي إذا خلت عن كل ذلك وخلصت للدعاء والعظة، واتخذت فيها الآداب الشرعية، كانت مشروعة للرجال والنساء، أما إذا قصد بها تجديد الأحزان، واتخذ فيها ما ينافي العظة

والاعتبار، فإنها تكون محرمة على الرجال والنساء. وهي حينئذ نوع من المنكر الذي يفسد الأخلاق، ويذهب بالأموال في غير غرض شريف، ويجب على أولياء الأمر محاربتها والقضاء عليها، حفظًا للكرامة وتطهيرًا للمجتمع من وصمات تلتصق به باسم مشروع ديني، هو زيارة القبور، وهذا هو الذي ينبغي أن يصار إليه في فهم الأحاديث الواردة في الموضوع، وهو الذي يجب أن يعلمه الناس، وأن يوجهوا إليه.

زيارة الأضرحة:

وفي هذه الدائرة أباح الرسول ﷺ لأصحابه وعلمهم زيارة القبور، وزارها، وزاروها رجالا ونساء، ودرج عليها المسلمون الأولون، كما تلقوا عن عهده في العلم والعمل، درجوا عليها، وفي القبور الصديقون والشهداء والصالحون، ولم يؤثر عن أحد منهم شيء في زيارة هؤلاء الصالحين وراء ما شرع في زيارة غيرهم: تذكر وتسليم ودعاء. وإذن، فما يفعله كثير منا - في زيارة أصحاب الأضرحة الكاسية المزركشة، ذات المقاصير المفضضة، والقباب المزخرفة - تجاوز للحد المشروع في زيارة القبور، واقتحام لغير المشروع باسم المشروع، فوقفة الاستئذان على باب الضريح، واستقباله مع رفع الأكف بالضراعة والمناجاة، والطواف حوله مع تقبيل جوانبه والتمسح بحديده أو خشبه، وشرح القضايا والمهام، وتقديم العرائض وطلب الفصل فيها، كل ذلك عمل غير مشروع، يأباه الله ويأباه الرسول، ويغضب منه أصحاب الأضرحة أنفسهم.

أولياء الله لا يرضون هذه المنكرات:

وأولياء الله وهم - بنص كتاب الله - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، كانوا في حياتهم لله عبادًا مخلصين، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله، ولم يقفوا بباب أحد سواه ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه، وأنهم كانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه، وهم يحبون من الناس أن يسلكوا سبيلهم، يعبدون الله كما عبدوا، ويتقربون إليه بما تقربوا، فإذا ما سلكنا في زيارتهم ما سلكوا في زيارة أسلافهم طابت نفوسهم واطمأنت أرواحهم، وإذا ما انحرفنا عن طريقهم - فوجهنا وجوهنا في عبادة الله إليهم، واتخذنا قبورهم مطافًا كالبيت الحرام، ومستلمًا كالحجر الأسود، ومصلى كمقام إبراهيم، وخاطبناهم بالدعاء والرجاء - فقد جافينا طريقهم

وجفوناهم، وصرنا إلى ما يحزنهم، لا إلى ما يرضيهم.

هذا ما يجب أن يعلمه الناس حتى يعرفوا المشروع فيفعلوه؛ وغير المشروع فيجتنبوه؛ ولا ينبغي أن نسكت مجاراة أو مجاملة؛ فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

الدعوة بالتي هي أحسن:

وإذا كان الله قد أخذ علينا العهد والميثاق أن نبين للناس فقد أمرنا أن يكون البيان؛ وأن تكون الدعوة بالتي هي أحسن، تجمع ولا تفرق، وتؤلف ولا تنفر... إذن، لا ينبغي لنا أن نقسو باسم الدين وباسم الدعوة إليه، فنتخذ الحكم بالشرك وعبادة الأصنام على الزائرين - بهذه الكيفية سبيلا للدعوة، وطريقًا للبيان. كيف ونحن نعلم أن هؤلاء الزائرين - كما تنطق به أحوالهم - مؤمنون بعقائد الدين كلها، وبفرائضه كلها، ومؤمنون بأن النبي والولي من عباد الله، خلقهما كما خلق العباد وأمدهما بأسباب الحياة كما أمد العباد، وأماتهما كما يميت العباد، وأنه سيبعثها كما يبعث العباد، وتلك عقيدة الإيمان الحق التي لم يكن يؤمن بها عباد الأصنام!! نعم، توارث هؤلاء - من غير علم - صورًا في زيارة الأضرحة، غير ما رسم الشرع في زيارة المقابر والمؤمنون يجدر بهم أن يقفوا في عباداتهم وما يرجع إلى غيب الله عند حدود الوارد عن الله، وخير لنا ولهم - من الحكم عليهم بالشرك، ومن إطلاق كلمة "أصنام" على هذه الأضرحة، وقد يكون فيها "رفات شخصيات" ذات شأن خالد في خدمة الإسلام والمسلمين - خير لنا جميعًا، وحفظًا لكرامة هذه الشخصيات، أن نبذل جهودنا في تعليم من لا يعلم، لا في تكفيره، ولا في الإساءة إلى تلك الأرواح الطاهرة ونسأل الله السلامة والتوفيق.

١٤ - حول الموتى والقرآن الكريم(١)

يقرأ كثير من الناس القرآن ثم يهبه للميت، فهل ينفعه ذلك؟آيات وأحاديث:

تعرف هذه المسألة بمسألة إهداء ثواب العبادة للموتى، وقد اختلفت فيها آراء العلماء، ومنشأ الاختلاف أنه وجد في القرآن الكريم آيات تبين سنة الله في الثواب

(١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

والعقاب، وفي تبديل السيئات بالحسنات، ووجدت أحاديث صحيحة صريحة في أن الوالدين ينتفعان بصدقة ولدهما أو صومه أو حجه عنهما؛ فمن الآيات قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٣-٤١].

فهذه الآيات ونحوها ظاهرة في أن الإنسان لا ينتفع إلا بسعيه وعمله الذي يزكي نفسه بالنية الطيبة والإخلاص لله.

أما الأحاديث التي وردت في الموضوع فكلها تدور حول الجواب عن سؤال واحد. هو: هل ينتفع أبي وأمي إذا صمت أو تصدقت أو حججت عنهما؟ وكان الجواب: نعم ينفعه ذلك.

اختلاف العلماء:

وأمام هذه الآيات وتلك الأحاديث اختلفت آراء العلماء.

فرأى فريق أن الآيات مقدمة في العمل على الأحاديث، والأحاديث ليس لها قوة الحكم على الآيات، وبذلك قرروا أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره أيا كان ذلك العمل، وكيفما كان ذلك الغير.

ورأى فريق آخر أن الأحاديث صريحة في انتفاع الوالدين بصدقة ولدهما أو حجه أو صومه عنهما، ثم قالوا: لا فرق بين الولد وغيره، وبذلك قرروا أن الإنسان ينتفع بعد موته بعمل غيره متى أهدى ثوابه إليه، وإن لم يكن من ولده وقالوا: إن الثواب ملك للعامل، فله أن يتبرع به ويهديه إلى أخيه المسلم، ثم خرج هؤلاء الآيات تخريجا أوهن من موقفهم أمام المانعين. وكذلك كان موقفهم في قياس غير الولد - الذي لم يرد به نص - على الولد الذي ورد به نص مع وجود الفارق

بينهما.

أما الدعاء فهو عبادة مستقلة، ثوابها للداعي فقط، والمدعو له إنما ينتفع بالاستجابة إذا حصلت، والاستجابة إذا حصلت ليست أثرًا لإهداء الداعي ثواب دعائه للميت، وإنما هي شأن خاص بالله للأحياء والأموات. أما القول بملكية الثواب للعامل فواضح أنه ليس ملكا بالمعنى المتعارف في متاع الدنيا لصاحبه نقله وتحويله، فهو توجيه فاسد. وبهذا يتبين أن إطلاق القول بجواز إهداء ثواب العمل - أيا كان من العامل وكيفما كان - لا تنهض له حجة، ولا يستقيم له دليل.

ولد الإنسان من سعيه:

والرأي الذي أراه هو أن الآيات محكمة في معناها، وأنها من شرع الله العام الذي لا يختص بقوم دون قوم، وأن الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها خاصة بعمل الأبناء يهدون ثوابه للآباء، وقد صح في الحديث أن ولد الإنسان من سعيه، وعمله من عمله؛ وبذلك كان انتفاع الوالدين بعمل ولدهما، وإهداء ثوابها إليهما مما تناوله الآيات.

أما ما جرت به العادات من قراءة الأجانب القرآن، وإهداء ثوابها للأموات، والاستئجار على القراءة والحج، وإسقاط الصلاة والصوم، فكل ذلك ليس له مستند شرعي سليم. وهو فوق ذلك يقوم على النيابة في العبادات التي لم تشرع إلا لتهذيب النفوس، وتبديل سيئاتها حسنات. وهذا لا يكون إلا عن طريق العمل الشخصي. كيف وقد صرح الجميع بأن ما اعتاده الناس من ذلك شيء حدث بعد عهد السلف، ولم يؤثر عن أحد منهم أنه عمل وأهدى لغير الوالدين، مع ظهور رغبتهم في عمل الخير، ومحبته لإخوانهم الأحياء والأموات؟ والجدير بالمسلم أن يقف في عبادته وفي شؤون الثواب ومحو السيئات عند الحد الذي ورد، فبحسنات الإنسان تذهب سيئاته، وبتقواه تغفر ذنوبه، ولا شأن للإنسان في الثواب يحوله ولا في السيئات يمحوها.

١٥- بدع حول القرآن(١)

في أكثر من رسالة من الرسائل التي تلقيتها يسأل المواطنون من القراء عن

(١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

حقيقة الأمر في التداوي ببعض آيات القرآن الكريم أو الرقي بها.

كما يسألون أيضًا عن رقية المريض ببعض العبارات الخاصة المعتادة.

وعن حكم الدين في قراءة القرآن في الطرقات العامة بقصد الارتزاق، مما نراه ونشاهده في كثير من المدن والقرى.

وما هو الرأي الصحيح في قراءة القرآن على المقابر؟وما الرأي فيما يذكر خاصًا بفضل سور القرآن أو بعضها؟تلك خلاصة جملة من الرسائل أعرب مرسلوها عن رغبتهم في الإجابة على ما يسألون، وهي كلها تدور حول هذا المعنى.

الغاية من إنزال القرآن:

ليس من شك في أن القرآن أنزل على محمد ﷺ لغرض هو أسمى الأغراض وأنبلها، وهو هداية الناس إلى الحق عن طريقه، وإخراجهم مما هم فيه من الظلمات إلى النور.

أنزله الله ليطهر القلوب من رجس الخضوع لغيره، ويرشد الناس إلى العقائد الصحيحة، وإلى العلوم النافعة؛ وإلى الأخلاق الفاضلة التي تحفظهم وتحفظ المجتمع من مزالق الهوى والشهوة، وأنزله أيضًا ليرشد الناس إلى الأعمال الصالحة التي تسمو بالفرد والمجتمع إلى مكانة العزة والكرامة.

وقد أرشد القرآن نفسه إلى هذه الغاية أو الغايات في كثير من الآيات فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وبذلك كان القرآن شافيًا لأمراض القلب، التي تفسد على الإنسان حياته، وأمراض الصدور: جهل بالحق، وشبهة تضعف الإيمان، وشهوة تغري بالفساد. وقد تضمن القرآن الكريم بنصوصه وإرشاداته ما يعالج البشرية من جهلها وشبهها وشهواتها.

ولم يختلف المسلمون الأولون في هذه الحقيقة، بل آمنوا بها وحددوا الغاية

التي لأجلها نزل القرآن، فأقبلوا على حفظه ودرسه، يستخرجون نفائسه، ويتعرفون أحكامه، ثم أخذوا يعالجون به القلوب من رجس العقائد الباطلة، والأخلاق الفاسدة، ويدفعون به المجتمع إلى سبل الخير والفلاح.

ومن هذا نعلم ما كان للقرآن الكريم من أثر وتوجيه في حياة المسلمين الأولين، بيد أن المسلمين بعد ذلك ما لبثوا أن انحرفوا بالقرآن عما أنزل لأجله، واستخدم لأغراض لا تمت بأوهى الأسباب إليه، ولا هي مما ينبغي أن تستخدم أو تتخذ طريقًا إليه.

انحراف بالقرآن عن وجهته:

انحرف المسلمون المتأخرون بالقرآن الكريم إلى جهة أخرى لم يتجه بها أحد من المسلمين الأولين، والسبب في هذا الانحراف هو ما مني به العلماء من التعصب المذهبي، إذ حملهم هذا على الاكتفاء بما وصل إلى أيديهم من تراث السابقين، وقالوا: إن السابقين كفونا مؤونة البحث في آي الذكر الحكيم استنباطًا لحكم شرعي أو تفسيرًا لآية، وجعلوا بينهم وبين النظر في الكتاب حجابًا كثيفًا من التقليد والتعصب للمجتهدين السابقين، اعتزازًا بفضلهم، وتابعهم المسلمون في فهمهم واتجهوا بالقرآن الكريم وجهة أخرى حتى إننا نرى المسلمين اليوم إلا من عصمه الله - وقليل ما هم - هجروا القرآن الكريم ككتاب هداية وإرشاد، وشاعت بينهم فكرة تقديسه من جهات أخرى هي:

جهة التداوي به من أمراض الأبدان.

وجهة استمطار الرحمة بقراءته على أرواح الموتى.

وجهة تسول الفقراء به واستغلال عاطفة الإيمان عن طريقه.

هذه البدع الثلاث، أو المنكرات الثلاثة كانت أثرًا لهجر المسلمين كتاب الله من الجهة التي أنزل لأجلها، وكانت في الوقت نفسه عنوانًا سيئًا على إيمان المسلمين من حيث لا يشعرون بمكانة تلك المعجزة الخالدة، التي جعلها الله سبيلا لإنقاذ البشرية من الأوهام والخرافات.

وكانت مع هذا وذاك عنوانًا على الجهل بنظام الأساليب والمسببات، الذي نظم الله عليه العالم، وهدى الناس إلى السير في سبيله ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ

هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

يجعل الله القرآن سبيلا لإنقاذ البشرية من الأوهام والخرافات، ويعكس نفر من المسلمين القضية فيجعلونه سبيلا من سبل الأوهام، وعنوانًا على الجهل بأسرار الله ونظام الله.

الدين والعقل لا يقران هذا الانحراف:

وإن تعجب فعجب أن تكتب الآية القرآنية الحكيمة في إناء ثم تمحى بالماء. ثم يؤمر المريض بشربه، أو تكتب قطع صغيرة من الورق، ثم تلف كالبرشام، ويؤمر المريض بابتلاعها، أو تحرق تلك القطع ويبخر المريض بها على مرات، أو توضع في خرقة وتعلق حجابا "في مكان معين من جسم المريض"!!.

وبهذا ونحوه اتخذ الدجالون القرآن الكريم وسيلة لكسب العيش عن طريق يأباه الإيمان ويصدقه كثير من المسلمين.

وذلك فضلا عن أنه انحراف بالقرآن عما أنزل لأجله فإن فيه إفسادًا للعقول الضعيفة، وصرفا لأربابها عن طريق العلاج الصحيح، وتغييرًا لسنة الله في الأسباب والمسببات، واحتيالا على أكل أموال الناس بالباطل، وهذا تصرف لا يقره دين ولا يرضى به عقل سليم.

فإذا تركنا هؤلاء الدجالين يعبثون في القرى والمدن بالقرآن وبالعقول الضعيفة على هذا النحو، وسرت في شوارع القاهرة أو غيرها من المدن فإنك ترى المتسولين - وقد جلس أحدهم رجلا أو امرأة - في ملتقى الطرقات، أو مواقف المواصلات، أو على أبواب المساجد والأضرحة، يقرأ القرآن، باسطا كفه للغادين والرائحين بقصد التسول.

ترى هذا المنظر المفجع بين الأحياء، فإذا ما ذهبت إلى المقابر رأيت ما هو أدهى وأمر، رأيت الفقراء من حملة القرآن يتسابقون إلى المقبرة، وقد اندسوا بين أفواج الزائرين والزائرات، يساومونهم على مقدار ما يقرؤون، ومقدار ما يأخذون ثمنًا لما يقرؤون.

وفي هذه المشاهد كلها لا تسمع قرآنا وإنما تسمع هذرمة في القراءة، وإخلالا بواجبها، وإخراجًا للقرآن ذي الروعة والجمال إلى ذلك المنظر المزري الذي يقزز

النفوس ويجرح الصدور، ويبعده في نظر السامعين عن أن يكون طريقة الهداية والإرشاد من رب العالمين.

القرآن ودواء الأمراض البدنية:

إن الأمراض البدنية قد خلق الله لها عقاقير طبية فيها خاصة الشفاء، وأرشد إلى البحث عنها والتداوي بها.

وقد صح أن النبي ﷺ دخل على مريض يعوده، فلما رآه طلب من أهله أن يرسلوا إلى طبيب، فقال قائل: وأنت تقول ذلك يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: **«نعم إي الله عز وجل لم ينـــزل داء إلا أنزل له دواء»**.

فعل النبي ﷺ ذلك إرشادًا لأمته إلى أن التداوي من الأمراض البدنية إنما يكون من طريق الطب البشري الذي يعرف الدواء.

أما القرآن فلم ينزله الله دواء لأمراض الأبدان، وإنما أنزله كما قال دواء لأمراض القلوب وشفاء لما في الصدور.

وإذا كانت أمراض الأبدان أمراضًا مادية وشفاؤها بأدوية مادية، فأمراض القلوب أمراض معنوية، وشفاؤها بأدوية معنوية. والقرآن قد عالج مرض الجهل بالعلم. ومرض الشبهة بالبرهان. ومرض الشهوة بالحكمة.

وما التداوي في الأمراض البدنية بالقرآن إلا كقراءة البخاري والختمات للنصر على الأعداء في ميدان القتال. وإلا كقراءة ما يسميه العامة "عدية يس" تحصيلا للرغبات. كلاهما وضع للعلاج المعنوي مكان العلاج المادي. وكلاهما قلب لنظام الله في خلقه. وعروج بالقرآن عما أنزل لأجله.

القراءة على الموتى:

أما استمطار الرحمة على الموتى فإنه لا يكون إلا بعمل مشروع كالدعاء والصدقة. بشرط أن يكون خالصًا لوجه الله الكريم.

أما ما لم يشرعه الله ولم يأذن به. أو شرعه ولكن فعله الإنسان بأجر يأخذه من أخيه الإنسان، فثوابه هو ذلك الأجر ولا ثواب له عند الله. وإذا لم يكن للقراءة ثواب عند الله لا للقارئ؛ لأنه أخذ أجره ممن استأجره. ولا للمستأجر؛ لأنه لم يقرأ شيئًا. فأي شيء يصل من هذه القراءة إلى الموتى؟ إن رحمة الله للموتى شأن من

شؤونه الغيبية استأثر بها. ومنه وحده تعرف سبلها وقد بين تلك السبل في كتابه الكريم. وكل ما يفعله المرء من تلقاء نفسه في هذا الشأن هجوم منه على الغيب وتقول على الله بغير علم. وتحكم فيما لا يحكم فيه إلا الله.

التسول بالقرآن:

وإذا كان التسول بالوضع الذي نراه اليوم يمقته في ذاته الشرع والدين، وتأباه الكرامة والخلق. ولا ترضاه لنفسها أمة تريد المجد. فما بالنا به إذا اتخذ القرآن الكريم وسيلة له، واعترض به المارة في الطرقات، والمصلين في المساجد، والراكبين في السيارات والقطارات.

علينا أن نبذل قصارى جهدنا في صيانة كتاب الله عن الابتذال، وأن نوجه الناس إلى جهة الانتفاع بالقرآن الكريم، وإلى ما يحفظ كرامتنا بين الأمم عن عريق الأسباب التي وضعها سبيلا للمجد والكرامة.

فضل بعض السور:

أما ما جاء عن فضل سور القرآن وتلاوتها - من درجات الثواب التي يحصل عليها قارئ هذه السورة أو تلك، مما رددته بعض كتب التفاسير - فالواقع أني في قراءتي لهذه التفاسير انتهيت إلى أن ما جاء في ذلك من أحاديث إنما قصد به التناسب بينها وبين ما احتوت عليه هذه السورة أو السور، واعتراني شك من جهة أن سور القرآن البالغ عددها ١١٤ سورة كان الرسول ﷺ يتحدث عن كل سورة منها بما يناسبها.

والذي نعلمه أن الرسول ما كان يرتب الثواب على مجرد القراءة، وإنما كان يرتبه على الإيمان والعمل الصالح.

والمسألة ليست مسألة مجرد قراءة فحسب، ولعلك تدري الحكمة القائلة: " كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه".

وقد دفعني ما وقعت فيه من شك أن أبحث عن أصل هذه الأحاديث، فوجدت أنها ترجع إلى أصل واحد؛ وأن الذي تحدث عنها وتكلم بها رجل يسمى "نوح ابن مريم".

وقد سئل في هذا فقال: إني وجدت الناس قد شغلوا بتاريخ ابن إسحاق وفقه

أبي حنيفة عن القرآن فأحببت أن ألفتهم إلى القرآن، فوضعت هذه الأحاديث حسبة لله.

الرقية دعاء لا دواء:

أما الرقي بالأدعية فإنها تفسر على نوع من الدعاء، ولكنها لا تقبل على أنها دواء للمريض من الداء، فللأدواء علاجها مما خلق الله من العقاقير.

بعد هذا البيان لا يسعني إلا أن أدعو المسلمين إلى أن ينظروا للقرآن النظرة اللائقة بمكانته، وأن يضعوه في المرتبة السامية التي وضعه فيها المسلمون الأولون، وأن يمحوا من أذهانهم أن آياته نزلت لدواء الأبدان، أو لشفاء العلل، وإنما هو هدى ورحمة وتشريع، وتنوير للبصائر وسمو بالإنسانية، وتقويض للشرك وهدم للباطل ونصرة للحق، والله يهدينا سواء السبيل.

راجع الفتاوى للشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى.

الذكر والرقص عند القبور

وهذا سؤال يطلب فيه صاحبه بيان المعنى المقصود من ذكر الله الذي طلبه القرآن وحببه وامتدح أهله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١]. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وهل منه هذا اللون الذي نراه ونسمعه من بعض المنتسبين إلى طوائف الصوفية في الموالد والمجتمعات التي تعرف عندهم باسم الحضرات وهل يصح الذكر بكلمة (أه) أو بكلمة: (لا إله إلا الله)؟والجواب: أن الأصل في ذكر الله هو استحضار عظمته وامتلاء القلب بجلاله وجماله، وطريقة النظر والتفكير في بديع الصنع المحكم، وآثار القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والسلطان النافذ، وهو بهذا المعنى أثر الإيمان الحق، وأساس المراقبة الصادقة، والباعث على كل خير، ويقابله الغفلة عن تلك العظمة؛ والغفلة عن تلك العظمة أثر لضعف الإيمان، وسبيل للرين على القلوب.

وكثيرًا ما يطلق الذكر على التعبير اللساني عن تلك العظمة باسم من أسماء الله الحسنى التي سمى الله بها نفسه في كتابه، أو سماه بها رسوله. وهذا هو ما يعرفه الناس

اليوم من كلمة: "ذكر الله" ولكن هذا الذكر اللساني لا يحصل صاحبه على حظ الذاكرين عند الله إلا إذا كان ترجمة معبرة عن الذكر القلبي، وفي غير ذلك يكون حجة على صاحبه، وذنبًا يحاسب عليه، وأشد منه في المؤاخذة به هذا اللون الذي نراه في الموالد والمجتمعات المعروفة باسم (الحضرات)، وأن من يسمعه ويرى القائمين به لا يتردد في أنه نوع من الهزل والتمثيل الصاخب، والصياح المنكر الذي لا يمكن أن يكون معبرًا عن خاصة ذكر الله في قلوب المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

أما الذكر بكلمة: "أه" - بفتح الهمزة وسكون الهاء - فهي لفظ مهمل ليس له معنى في اللغة، وليس قطعًا من أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب، أو صح ورودها عن الرسول عليه السلام. وذكر الله عبادة، ولا يصح لنا أن نعبده إلا بما أذن لنا أن نعبده به، وإذن فالذكر بها كالذكر بالأسماء المحرفة، والمد المغير للحروف والكلمات؛ فكلاهما ذكر فاسد وذكر حرام. وأخشى أن يكون المتمسكون بألوان هذا الذكر من الذين أمرنا الله بتركهم والإعراض عنهم: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ألا وإن تسمية الله بغير ما لم يسم به نفسه، والتحريف فيما سمى به نفسه، لمن أظهر صور الإلحاد في أسمائه.

هذا. وأرجو أن يهتم العلماء من رجال الصوفية بهذا الجانب، وأن يعملوا على منع الذكر بالأسماء المخترعة أو المحرفة، وأن يطهروا مجتمعات الذكر من صور المهازل الكثيرة التي نراها في الموالد والحضرات؛ حتى تكون صورة صحيحة لجمال الإسلام وروعة العبادة، وسبيلا لقبول الذكر، ورضا الله والإقبال عليه.

وبعد: فكم في الموالد والحضرات من عادات سيئة، وبدع منكرة لا يرضى بها الله، ولا يطمئن إليها المؤمنون! والخير كل الخير أن يتحرى المؤمن في عبادته كلها ما رسم الله لعباده وبينه رسوله، ودرج عليه المسلمون الأولون.

الـفـصـل الـثـالـث /

أول كتـاب سر الـروح

للإمام الحافظ أبي الحسن إبراهيم

ابن عمر بن حسن البقاعي رحمه الله تعالى

ترجمة المؤلف

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرياط، الخرباوي البقاعي، الشافعي ، نزيل القاهرة، ثم دمشق ولد بقرية من عمل البقاع، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق، ثم دخل بيت المقدس، ثم القاهرة، ومات بدمشق.

معنى لفظ البقاع.

جاء في معجم البلدان ١/٤٧٠ للحموي ط دار صادر:

البقاع: جمع بقعة: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق وهو أرض واسعة من بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة، وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل، يقال لهذه العين: عين الجر(١) ، وبالبقاع هذه قبر إلياس النبي، -عليه السلام-، وفي [ديوان الأدب] للغوري: بقاع أرض بوزن قطام.

ونقل هذا القول صاحب [مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع] (١/٢١١).

وقال البكري في معجم ما استعجم ١/٢٦٣(٢).

البقاع: على لفظ جمع بقعة، والبقاع بالشام، وهي بقاعان: بقاع بعلبك، وبقاع لبنان؛ قال الطائي:

فلـــم يـــبق في أرض الـــبقاعين بقعـــة وجـــاد قـــرى الجولان بالمسبل الوبل

وتنسب إليه الخمر الجيدة، قال الطائي أيضًا:

بقاعـــية تجـــري علينـــا كؤوســـها فتبدي الذي تخفي وتخفي الذي تبدي

وضبطه السخاوي في الضوء اللامع (١١/١٩١) فقال:

البقاعي: بضم الموحدة ثم قاف نسبة إلى قرية من البقاع العزيزي من عمل الشام - إبراهيم بن عمر بن حسن. اهـــ.

مؤلفاته:

هي في حدود ٤٩ مؤلفًا وإن كتابه هذا [سر الروح] هو رقم ٤٩ وفي الحقيقة

---

(١) قال البستاني في دائرة معارفه (٥/ ٥٢٢) ط دار المعرفة، بيروت عين الجر وهي معروفة اليوم بـــ(عنجر).

(٢) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٤هـــ ١٩٤٥م.

أنه لخص فيه كتاب الروح للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، الحمد لله جاعل الروح من أمره....، أبدعها أحسن إبداع، وأودعها خفي سره، فدلت بجلالتها على عظيم سلطانه وقدره، وخلت بدقتها أن يدركها عقل في سره أو جهره.

وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي في كبره، الشامل القدرة فكل شيء في قبضته وقهره، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده الدائم على ذكره، ورسوله القائم بنصره بعلي همته وجميل صبره، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأحبابه وسلم وعظم وشرف وكرم ما افتخر حي بصدره وضاق صدر بسره ....وبعد:

فإني كاتب إن شاء الله في هذه الأوراق المقصود بالحقيقة من [كتاب الروح] للإمام العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي سقى الله ثراه ورحم منقلبه ومثواه، وذلك هو الصحيح من الأقوال في كل مسألة بأقوى أدلتها وربما زدت شيئًا فميزته غالبًا بقُلتُ والله أعلم. ورتبته أحسن من ترتيبه وبالغت جهدي في تهذيبي وكنت ظننت أنه يكون بعد الزيادة والتحرير في نحو ثلثه -والثلث كثير-، فجاء في نصفه فائقًا في رصفه ووصفه، ولم أخل بشيء من مختاره ولا حذفت صحيحًا من أحاديثه وأخباره وسميته:

سر الروح

والله تعالى المسؤول أن يبلغنا في الدارين غاية السول ونهاية القبول إنه المرجو المأمول، وهو إحدى وعشرون مسألة منها ما هو فرع من غيره، فرددتها إلى عشر مسائل:

الأولى:

في حقيقة الروح والنفس وفي أنهما واحد أم شيئان متغايران وفي أن النفس واحدة أم ثلاث؟الثانية:

أهي قديمة أم محدثة وبعد إثبات حدوثها أفتقدم خلقها على خلق الجسد أو تأخر عنه؟

الثالثة: ما حالها أتموت أم الموت للبدن وحده؟

الرابعة: في أنها هل تعاد إلى الميت ومتى تعاد؟

الخامسة: في مستقر الأرواح ما بين الموت والقيامة ومتى تزار القبور؟

السادسة: في أنها هل لها إدراك بعد الموت أم لا وفيه ثلاثة أمور:

الأول: هل تدرك الأموات زيارة الأحياء لهم وسلامهم عليهم أو لا؟

الثاني: هل تلاقي أرواحهم أرواح الأحياء أو لا؟

الثالثة: هل تتلاقى أرواح الأموات وتتزاور أو لا؟

السابعة: بأي شيء تتمايز الأرواح بعد مفارقة الأِشباح حتى تتعارف وهل تتشكل بأشكال أبدانها أو لا؟

الثامنة: في فتنة القبر بالسؤال وفيه ثلاثة أمور:

الأول: أيخص ذلك هذه الأمة أم يعم جميع الأمم؟الثاني: هل يعم مكلفي هذه الأمة وغير مكلفيهم أو لا؟الثالث: أيعم المسلمين والكفار أم يخص المؤمنين والمنافقين؟

التاسعة: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أو لا؟

العاشرة: في عذاب القبر ونعيمه، وما محله؟ أهو النفس؟ أم البدن؟ أم هما؟ وهل ذكر في القرآن؟ وفي أنه دائم؟ أم منقطع؟ وما يوقع فيه وما ينجي منه أعاذنا الله منه آمين.

[المسألة الأولى]

في حقيقة الروح والنفس: وفي أنهما واحد أم شيئان، وفي أن النفس واحدة أم ثلاث، وبعد إثبات كونها واحدة بالذات أفهي جزء من أجزاء البدن؟ أم عرض من أعراضه؟ أم جوهر؟ ومجرد لا متصل؟ ولا منفصل عنه؟ أم جسم ساكن به مودع فيه؟ أما حقيقتها فهي عند جمهور المسلمين جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار

الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء أفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادية وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب ينافي الروح كاستيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق البدن وانفصل إلى عالم الأرواح. قلت: -وعبارة إمام الحرمين في (الإرشاد)- كما نقله عنه الشيخ سعد الدين التفتازاني في (شرح المقاصد) له في أبحاث المعاد- الأظهر عندنا أن الأرواح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجساد ما استمرت مشابكتها فإذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة ثم الروح يعرج به ويرفع في حواصل طيور خضر في الجنة أو يهبط به إلى سجين من الكفرة كما وردت فيه الآثار والحياة عرض يحيا به الجوهر والروح يحيا بالحياة أيضًا إن قامت به الحياة والله أعلم....

وعلى هذا القول دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ففي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

ثلاثة أدلة: الإخبار بوفاتها وإمساكها وإرسالها...

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤].

أربعة أدلة : بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالإخراج والخروج والإخبار عن عذابها ومجيئها....

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠، ٦١].

ثلاثة أدلة: وفاتها وبعثها بالنهار وتوفي الملائكة لها عند الموت.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

ثلاثة أدلة: وصفها بالرجوع والدخول والرضا .... وقد وصفت في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣].

بالانتقال الذي هو من صفات الأجسام.

قلت: قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام السلمي في أول ما ألحقه آخر قواعده: ويدل على أن الأرواح في الأجساد(١) قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣، ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٧].

وأجمع المفسرون على أن المراد بالبالغة الحلقوم التي ترجع إلى الجسد روح الإنسان وكذلك قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩،ص:٧٢] وقوله ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢].

تقريره فنفخنا في جيبها من روحنا، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الروح إذا خرجت تبعها البصر**»(٢) وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في (الرسالة):

---

(١) في النسخة المطبوعة نحو هذا الكلام ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام في فصل في معرفة تفضيل بعض الموجودات الحادثات على بعض الجواهر والأجسام، قال في صفحة ٢٣٢: [واعلم أن الأجساد مساكن الأرواح أحوال:

إحداها: أن يكون الساكن أشرف من المسكن.

الثاني: أن يكون المسكن أشرف من الساكن.

الثالث: يتساويان في الشرف فلا يفضل أحدهما على الآخر، وإذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن، وإذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن والأجساد مساكن الأرواح].

قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٢٣٢) ط دار الجيل ببيروت.

(٢) حديث: إن الروح إذا خرج تبعه البصر، أما رأيتم إلى شخوص عينيه.

=

"والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة والله أعلم".

ما جاء في السنة عن الروح

فقد ثبت في النصوص الصريحة من السنة الصحيحة أنها [تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء وإن ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة منه وتكفن وتحنط من الجنة أو النار ويشم لها كأطيب ريح أو أنتن جيفة وتشيع من سماء إلى سماء وأنها إذا خرجت تبعها البصر بحيث يراها] وأنها طائر أو في جوف طائر. وأنها تأكل وتشرب وتسرح وتأوي، وتتفرق في البدن وتجذب وتقول قدموني قدموني أو يا ويلها أين تذهبون بها [وأنها جنود مجندة تعرف وتنكر].

وفي سنن النسائي حدثنا أبو داود عن عفان عن حماد عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة أن أباه قال: رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال: «إن الروح لتلقى الروح فأقنع رسول الله ﷺ»[1] هكذا قال عفان برأسه إلى خلفه فوضع جبهته على جبهة النبي ﷺ إلى غير ذلك مما ستقف عليه مبثوثًا في الأحاديث المنثورة في هذا الكتاب. وهذه صفات ذوات قائمة بأنفسها ومحال ذلك في وصف أعراض أو جواهر تكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا بعض لها ولا كل. **وفي الحديث إن الأجساد تنبت في القبور فإذا نفح في الصور رجعت كل روح إلى جسدها فدخلت فيه، فانشقت الأرض عنه وقام من قبره. وفي حديث الصور [أن إسرافيل يدعو الأرواح فتأتيه جميعًا أرواح المسلمين نور والأخرى مظلمة فيجمعها جميعًا فيعلقها في الصور ثم ينفخ فيه**

=

[أخرجه ابن سعد والحكيم عن أبي قلابة مرسلا]
[كنز العمال (١٥/٥٦٢)].
[رقم (٤٢١٧٩)].
إشارة إلى قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».
رواه مسلم في صحيحه.

(١) وعزاه السيوطي في كنز العمال (١٥/٥١٧) رقم (٤٢٠١٧) إلى أبي بكر بن أبي شيبة وأبي نعيم.

فيقول الرب جل جلاله: وعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتخرج الأرواح من الصور مثل النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فتأتي كل روح إلى جسده فيدخل ويأمر الله الأرض فتنشق عنهم فيخرجون سراعًا إلى ربهم ينسلون مهطعين إلى الداعي يسمعون المنادي من مكان قريب فإذا هم قيام ينظرون] وقال علي بن عبد العزيز حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال: [ما تزال الخصومة بين الناس، حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح: يا رب إنما كنت روحًا منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي، ويقول الجسد يا رب كنت جسدًا خلقتني وقد أخلت في هذا الروح مثل النار، فبه كنت أقوم وبه كنت أقعد، وبه أذهب، وبه أجيء، لا ذنب لي قال: فيقال: أنا أقضي بينكما. أخبراني عن أعمى ومقعد دخلا حائطًا، فقال المقعد للأعمى إني أرى تمرا فلو كانت لي رجلان لتناولت فقال الأعمى أنا أحملك على رقبتي فحمله فتناولا من التمر فأكلا جميعًا فعلى من الذنب؟ قالا عليهما جميعًا قال قضيتما على أنفسكما] وعلقه البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١][1].

عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه وفي الأحاديث المفرقة في هذا الكتاب ما لا يحصى ومن الأدلة مثل سؤال أرواح الشهداء الرد إلى أجسادها ورؤية النبي ﷺ للنسم -وهي الأرواح - ليلة الإسراء عن يمين آدم ويساره في السماء الدنيا ورؤية الأرواح الأنبياء كذلك والأجساد في الأرض قطعًا وقال ﷺ: «يا بلال ما دخلت

---

(١) قال البغوي في تفسيره [٣/٨٧] ط دار المعرفة. روي عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي أيد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فنجني وعذبه. ويقول الجسد يا رب خلقتني كالخشب لم تبطش يدي ولم تمش رجلي ولم تبصر عيني، فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق لساني وأبصرت عيني وبطشت يدي ومشت رجلي، قال: فيضرب الله لهما مثلا فقال: إنما مثلكما مثل أعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد يرى ولا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب.

الجنة إلا سمعت خشخشتك بين يدي فبم ذلك؟ قال ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين»[١]، وقد اتفق كثيرًا أن شكا بعض الموتى إلى أقاربهم في المنام أمورًا تؤذيهم فيفتحون عليهم فيجدونها كذلك.

كون الروح

قلت: فهذا وأمثاله يدل على كون الروح جسما وأما نفي كونه عرضا وغيره من الوجوه الفاسدة فبأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض ولو كان هو عرضا والعلم قائم به لقام العرض بالعرض وهو خلاف المعقول. وأيضًا فالعرض الواحد لا يفيد إلا واحدًا فيما قام به والروح يفيد حكمين متغايرين فإنه حين يعرف خالقه يعرف نفسه فدل على أنه ليس بعرض إذ العرض لا يتصف بهذه الصفات قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في "المضنون به على غير أهله" والله أعلم...

ولو كانت الروح مجردة ليست بداخل البدن ولا بخارجه وإنما تعلقها به بالتدبير فقط كتدبير الملك لبعض مدنه لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع أن ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق بغيره ويتعلق بتدبيره غيرها كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت أو مدينة عنهما أو يدبرهما غيره فنصير شاكين في أن هذه النفس التي تدبر بدن زيد أهي نفسه أم غيرها، وفي أن زيدًا هو ذلك الرجل الذي عرفناه بالأمس أم غيره ولو كانت مجردة عن الحجمية والتحيز لامتنع توقف فعلها على مماسة محل للفعل لأن ما لا يكون متحيزًا يمتنع أن يصير مماسًا للمتحيز، ولو كان الأمر كذلك لكان فعلها على سبيل الاختراع من غير حاجة إلى حصول مماسة وملاقاة بين الفاعل ومحل

---

(١) كنز العمال (٦٥٦/١١) رقم (٣٣١٧٤) وعزاه السيوطي للإمام أحمد في المسند وقال صحيح غريب والترمذي وقال حسن غريب كتاب المناقب باب في مناقب عمر ﷺ رقم (٣٦٨٩) وابن خزيمة وابن حبان الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٠٨/٩) رقم (٧٠٤٤، ٧٠٤٥) ط دار الفكر والحاكم جميعا عن عبد الله بن بريدة عن ابنه وانظر كنز العمال (١١/ ٦٥٢) رقم (٣٣١٥٨) وعزاه للإمام أحمد وابن حبان (١/ ٣١٣) (٢٨٥/٣) والحاكم قال بهذا على شرطهما قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاها جميعًا عن بريدة (٥/ ٣٥٤، ٣٦٠).

الفعل فكان الإنسان يقدر على تحريك الأجسام من غير أن يماسها أو يماس شيئًا يماسها فإن النفس لما كانت بزعمكم قادرة على تحريك البدن حقيقة من غير أن يكون بينه وبينها مماسة كذلك لا يمتنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة ولا لما يماسه وذلك باطل بالضرورة فعلم أن النفس لا تقوى على التحريك إلا بشرط أن تماس محل الحركة أو تماس ما يماسه، وكل ما كان مماسًا للجسم أو لما يماسه فهو جسم - فإن قيل - يجوز أن يكون تأثير النفس في تحريك بدنها غير مشروط بالمماسة وتأثيرها في تحريك غيره موقوفًا على حصول المماسة بين بدنها وبين ذلك الجسم - قيل - لما كان قبول البدن لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول المماسة بين النفس والبدن وجب أن يكون الحال كذلك في غيره من الأجسام لأن الأجسام متساوية في قبول الحركة، ونسبة النفس إلى جميعها سواء لأنها إذا كانت مجردة عن الحجمية وعلائقها كانت نسبة ذاتها إلى الكل على السواء ومتى كانت ذات الفاعل نسبتها إلى الكل بالسوية والقوابل نسبتها إلى ذلك الفاعل بالسوية كان التأثير بالنسبة إلى الكل على حد سواء فإذا استغنى الفاعل عن مماسة محل الفعل في حق البعض، وجب أن يستغني في حق الجميع، وإن افتقر إلى المماسة في البعض وجب افتقاره إليها من الجميع، والأدلة على جسميتها كثيرة جدًا وهذا كان لمن وفق.

[النفس والروح هل هما شيئان واحدا أم متغايران]:

وأما أن الروح والنفس شيء واحد أم شيئان متغايران فنقول: كل من لفظ الروح والنفس مشترك بين معان كثيرة، فإن أريد بهما التي تتوفى وتقبض فهما اسمان مترادفان على مسمى واحد لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]، ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠]، ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

ويقال فاضت نفسه، أي: مات وخرجت نفسه، وإن أريد غير ذلك فهما غيران فالنفس تطلق على الجسد والعين، يقال أصابته نفس أي: عين، وتطلق على الذات ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ ، «ولا تقتلوا أنفسكم» وعلى الدم، ففي الحديث ما

لا نفس له سائلة...

قلت: ويطلق على الأخلاق المذمومة وعلى الوجود قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في الرسالة: نفس الشيء في اللغة وجوده، وعند القوم ليس المراد من إطلاق النفس الوجود ولا القالب الموضوع بل ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله ومعلول أوصافه على ضربين:

أحدهما: يكون كسبًا له كمعاصيه ومخالفاته.

والثاني: أخلاقه الدَّنية، فهي في نفسها مذمومة تنتفي عن العبد بالمعالجة، والمنازلة **فالقسم الأول** ما نهى عنه نهي تحريم أو تنــزيه، **والثاني** سفاسف الأخلاق، كالكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال. انتهى ملخصًا والله اعلم..

والروح:

لا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق على القرآن ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، وعلى الوحي إلى الأنبياء ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر: ١٥]، والروح التي أيد بها عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠] روح أخرى وعيسى نفسه يسمى روحًا. وكذا جبريل ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وتطلق أيضًا على القوة، والثبات والنصرة ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وكذلك القوى التي في البدن تسمى أرواحًا.

قلت: فيقال الروح الحيواني جسم لطيف بخاري متكون من لطافة الأخلاط ينبعث من التجويف الأيسر من القلب ويسري إلى البدن في عروق نابتة من القلب تسمى بالشرايين، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد وعبارة الغزالي في "المضنون" : بخار لطيف في تجويف القلب تتصاعد منه إلى الدماغ ثم يسري منه أثر إلى الأعصاب الخارجة من الدماغ ومن الأعصاب إلى الأوتار والرباطات المتعلقة بالعضل فتنجذب به الأوتار فتتحرك به الأصابع ويتحرك بالأصابع القلم، وبالقلم المداد فتحدث منه صورة ما يريد كتبه على وجه القرطاس على الوجه المصور في خزانة التخيل والله أعلم...

أنواع الأرواح:

ويقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشام وهذه أعراض تعدم بموت البدن وهي غير الروح التي لا تعدم بموت ولا تبلى ببلاء، وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو: المعرفة بالله تعالى. والإنابة إليه ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن فإذا فقدتها الروح كانت بمنــزلة البدن إذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيد بها الله أولياءه في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فللعلم روح وللأجسام روح وللإخلاص روح، وللمحبة والإثابة روح، وللتوكل والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الأرواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه الأرواح فيصير روحانيًا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًا بهيميا. والله المستعان. وقال بعض أهل الحديث والفقه والتصوف: إن الروح التي تقبض غير النفس.

قلت ففي "زاد المسير"[(١)] لابن الجوزي في تفسير سورة الزمر عن ابن عباس [ابن آدم نفس وروح فالنفس العقل والتمييز والروح النفس والتحريك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه. وقال ابن جريج: في الإنسان روح ونفس بينهما حاجز فهو تعالى يقبض النفس عند النوم[(٢)] ثم يردها إلى الجسد عند الانتباه فإذا أراد إماتة العبد في نومه لم يردد النفس وقبض الروح] والله أعلم.

وقال مقاتل[(٣)]: للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فبهما يتقلب ويتنفس فإذا حرك

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١٨٦/٧) ط المكتب الإسلامي.

(٢) وهــذا الكــلام غير منطقي بدليل أنه لو نظر إلى أخ له حالة النوم وجد أن النفس يعمل ويــبطل بــذلك زعمــه المحقــق أما إذا قصد النفس أي (الذات) فهو يقصد بها الحيوية والنشاط.

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، ويقال له ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم. من السابعة مات سنة خمس ومائة – تقريب التهذيب (٢٧٢/٢).

رجعت إليه أسرع من طرفة عين فإذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت. وقال أيضًا إذا نام خرجت نفسه فصعدت فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت.

قلت: وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري «ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المعلولة كما أن الروح عين لطيفة في هذا القالب هي محل الأخلاق المحمودة، وتكون الجملة مسخرًا بعضها لبعض». فالجميع إنسان واحد، وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة، وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية، والأذن محل السمع والأنف محل الشم، والفم محل الذوق، والسميع والبصير والشام والذائق إنما هي الجملة، فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب أو الروح، ومحل الأوصاف المذمومة النفس. والنفس جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع إلى الجملة، والأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول: إنها الحياة فقط، ومنهم من قال إنها أعيان مودعة ففي هذه القوالب لطيفة أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب مادامت الأرواح في الأبدان، فالإنسان حي بالحياة ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترق في حال النوم ومفارقة للبدن، ثم رجوع إليه وإن الإنسان هو الروح والجسد لأن الله تعالى تقدس سخر هذه الجملة بعضها لبعض، والحشر يكون للجملة، والثواب والعقاب للجملة، والله الهادي....

وقال ابن منده [اختلفوا في الروح والجسد فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية وقال بعضهم الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وإن الخلق بها ابتلي...].

وقال أهل الأثر: [الروح غير النفس وبالعكس وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء يعجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنفس لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا أربابها والروح تدعوها فتؤثرها وجهة للنفس والشيطان مع النفس والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه].

قلت: وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام [في كل جسد روحان: إحداهما:

روح اليقظة - وهي الروح التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات(١)].

الروح الثانية: روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيا فإذا فارقته مات فإذا رجعت إليه حيى، وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف أين مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة، وقد تكون في باطن الإنسان روح ثالثة، وهي روح الشيطان ومقرها الصدر بدليل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥].

وجاء في الحديث «**إن المتثائب إذا قال هاه ضحك الشيطان في جوفه**». وجاء في الحديث: «**إن للملك لمة وإن للشيطان لمة**» وقال بعض المتكلمين: [الذي يظهر أن الروح بقرب القلب] ولا يبعد عندي أن يكون الروح في القلب. ويجوز أن يحضر الملك في باطن الإنسان حيث تحل الروحان ويحضر الشيطان ويجوز في كل واحدة من هذه الأرواح أن تكون جوهرًا فردًا يقوم به ما يليق به من الصفات الخسيسة والنفيسة، ويجوز أن تكون كل واحدة منهن جسما لطيفا حيًا سميعًا بصيرًا عليمًا قادرًا مريدًا متكلمًا فيكون حيوانًا كاملا في داخل حيوان ناقص حيا في بطن حي سميعًا في بطن سميع بصيرًا في بطن بصير عالمًا في بطن عالم قادرًا مريدًا في بطن مريد متكلمًا في بطن متلكم. وقد أجرى الله العادة بأن الجسد إذا أبصر شيئًا أبصره روحه وإذا سمع شيئًا سمعه روحه وإذا أدرك شيئًا أدركه روحه ويجوز أن تكون الأرواح كلها نورانية لطيفة شفافة ويجوز أن يختص ذلك بأرواح المؤمنين والملائكة دون أرواح الكفار والشياطين]. ويدل على روح الحياة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

---

(١) وبقيت العبارة: "فإن رأتها في السموات صحت الرؤيا فلا سبيل للشيطان إلى السموات وإن رأتها دون السماء كان من إلقاء الشياطين وتحريفهم، فإذا رجعت هذه الروح إلى الإنسان يستيقظ كما كان".

ويدل على وجود روحي الحياة واليقظة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

تقديره يتوفى الأنفس التي لم تمت أجسادها في نومها فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت عنده ولا يرسلها إلى أجسادها ويرسل الأنفس الأخرى وهي أنفس اليقظة إلى أجسادها إلى انقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت فحينئذ تقبض أرواح الحياة بل ترفع إلى السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا يفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السموات لأرواح المؤمنين إلى أن تعرض على رب العالمين فيالها من عرضة ما أشرفها والله الموفق[(١)].انتهى.

أحوال النفس

وأما أن النفس واحدة لها ثلاث حالات فقد وقع في كلام كثيرين أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] ولوامة ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] وأمارة ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] تغلب كل واحدة على من أراد الله به ذلك، والتحقيق أنها واحدة ولكن لها صفات تسمى بها فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنيتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه فالطمأنينة إلى الله تعالى حقيقة ترد منه سبحانه على عبده تجمعه عليه وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر فتسري تلك الطمأنينة في نفسه ومفاصله فتنجذب روحه إلى الله تعالى ويلين جلده وقلبه ومفاصله في خدمته ولا طمأنينة حقيقة إلا بالله وبذكره قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه وهذا لا يتأتى بغير الله تعالى والطمأنينة إلى ما عداه غرور والثقة به عجز وقد قضى الله قضاءً لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام لسلطان العلماء/ أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي توفى سنة ٦٦٠ هـ ـ ط دار الجيل بيروت.

من جهته كائنًا من كان حتى لو اطمأن إلى شيء من صفاته من علم ودين ربما سلبه أو سلب حلاوته فنفوس المطمئنين إلى سواه أغراض لسهام البلاء ليعلم أولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع والمطمئن إلى حاله عن مصالحه مصدود وممنوع، وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن يطمئن في باب معرفة أسماء الله تعالى وصفاته إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فيتلقاه بالقبول والتسليم، فإذا خالط الإيمان بذلك بشاشة قلبه نزل عليه نزول الماء الزلال على الكبد العطشى فيطمئن إليه ويصير كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنـــزلة الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه فيه من بين المشرق والمغرب لم يتأثر. وقال: إذا استوحش من الغربة قد كان الصديق الأكبر مطمئنًا بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض تخالفه وما نقص ذلك من طمأنينته شيئًا فهذا أول درجات الطمأنينة ثم لا تزال تقوى إلى ما لا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي عليها قام بناؤه وبها استقر عماده. والطمأنينة إلى ذلك نوعان:

١- طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها.

٢- طمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية مثاله الطمأنينة إلى القدر وإثباته مقتضى الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على ذلك فيسلم لها ويرضى ولا يتسخط ولا يشكو ولا يأسى على ما فاته منها ولا يفرح بما آتاه(١) وإن ذلك في كتاب مبين فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وآثارها وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها وهي طمأنينة الإيمان. وأما طمأنينة الإحسان فهي الطمأنينة إلى أمره امتثالا وإخلاصًا فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى بل إذا مر به الهوى ونحوه أنزله منـــزلة الوساوس التي لئن يخر من السماء أحب إليه من أن يجدها فكما قال ﷺ صريح الإيمان وعلامة هذه الطمأنينة «أن يطمئن من قلق المعصية إلى حلاوة التوبة ولا يغتر بحلاوة المعصية» فلو فتش العاصي قلبه لوجد حشوه المخاوف والانزعاج وإنما يواري عنه شهود ذلك سكر الغفلة....

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

وهنا سر لطيف يجب التنبيه عليه وهو أن الله سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالا إن لم يحصل له كان في قلق وانزعاج فكمال العين البصر والأذن السمع واللسان النطق وجعل كمال القلب ونعيمه ولذته وسروره في معرفة الله تعالى ومحبته والإقبال عليه فإذا عدم القلب ذلك كله كان أشد عذابًا من العين التي فقدت النور الباصر ولا سبيل إلى الطمأنينة بوجه من الوجوه إلا بأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ومستعانه. فحقيقة الأمر أنه لا طمأنينة بدون التحقق بإياك نعبد وإياك نستعين وكلام السلف في النفس المطمئنة يدور على أصلين طمأنينة الإرادة والعمل فإذا اطمأنت من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الذكر ومن الجناية إلى التوبة ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكذب إلى الصدق ومن العجز إلى الكيس ومن صولة العجب إلى ذلة الإخبات[(١)] ومن التيه إلى التواضع ومن الفتور إلى العمل فقد باشرت روح الطمأنينة. ومنشأ ذلك كله اليقظة فهي أول مفاتيح الخير فإن الغافل كالنائم يحجبه عن حقيقة الإدراك لما يتقاضاه من أوامر الرب سبحانه وتعالى ونواهيه ويقعد عن فرصة الاستدراك سنة القلب وهي غفلته التي رقد فيها فطال رقوده وركد مخلدًا إلى نوازع الشهوات فاشتد إخلاده فعلته العادات ومخالطة أهل البطالات فهو في رقاده من النائمين وفي سكرته مع المخمورين فمتى انهزمت عن قلبه هذه الغفلة بزجره من زواجر الحق أوهمه عليه آثارها معمول الفكر في المحل القابل فضرب بمعول فكره وكبر تكبيرة أضاءت له منها قصور الجنة العالية وقطوفها الدانية فقال:

ألا يـــا نفـــس ويحـــك ســـاعديني بـــسعى مـــنك في ظلـــم اللـــيالي
لعلـــك في القـــيامة أن تفـــوزي بطـــيب العـــيش في تلـــك العـــلالي

فأنارت له تلك الفكرة نورًا رأى في ضوئه ما خلق له وما بين يديه من أهوال أولها عقبة الموت الكئود وآخرها أجر اليوم الموعود ورأى سرعة انقضاء الدنيا وعدم وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وذويها وإنزالها بهم أنواع المكروهات وأوصاف البليات فنهض في ذلك الضوء على ساق العزم قائلا: ﴿ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا

(١) الإخبات: الخضوع.

فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ١٦]. فاستقبل بقية عمره التي لا قيمة لها مستدركًا فيها ما فات محييا بها ما أمات مستقبلا ما تقدم له من العثرات منتهزًا فرصة الإمكان انتهاز الكماة الشجعان ثم يلحظ وفود نعم ربه من حين استقراره في الرحم إلى وقته ظاهرة وباطنة لا يمكن أن تحصى ولا أن يكون لها حد فتستقصي أدناها نعمة النفس ولله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نعمة فما ظنك ثم يرى عجزه عن أداء حقها وأن أعماله لو زادت على أعمال الثقلين لكانت حقيرة بالنسبة إلى عظمة المعبود، هذا لو كانت أعماله منه فكيف وهي مجرد فضل من باريه ويشاهد أن الله تعالى لا يقبل عملا يراه صاحبه من نفسه حتى يراه عين توفيق الله فحينئذ لا يرى لنفسه عملا بل يراه أنه أهل لكل شر ومولاه أهل لكل خير هذا أساس جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذي يرفعها ويجعلها في ديوان أصحاب اليمين ثم تبرق له في نور تلك اليقظة بارقة أخرى يرى في ضوئها عيوب نفسه وما تقدم له من الجنايات والإساءات وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق الواجبات، فإذا انضم ذلك إلى شهود نعم الله عليه وأياديه الجمة لديه رأى أن حق المنعم عليه في نعمه وأوامره لم يبق له حسنة واحدة يرفع بها رأسه فتطمأن قلبه وانكسرت نفسه وخشعت جوارحه فسار إلى الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعم ربه ومطالعة عيوب نفسه وآفات عمله قائلا أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

فلا يرى لنفسه حسنة ولا يراها أهلا لخير فيوجب له أمرين عظيمين أحدهما استكثار ما من الله إليه والثاني استقلال مامنه من الطاعة ثم تلوح له بارقة أخرى يرى في ضوئها عزة وقته وخطره وشرفه وكبره وأنه رأس مال سعادته فيبخل به أن يضيعه فيما لا يقربه إلى ربه فإن في إضاعته الحسرة والندامة وفي حفظه الربح والسلامة فيشح بأنفاسه أن ينفقها فيما لا ينفعه يوم معاده ثم يلحظ في ضوء تلك البارقة ما تقتضيه يقظته من سنة غفلته من التوبة والمحاسبة والمراقبة والغيرة لربه أن يؤثر عليه غيره وأن يبيع حظه منه بثمن بخس في دار سريعة الزوال، وعلى نفسه أن يملك رقها لمعشوق لو فكر في منتهى حسنه ورأى آخره بعين بصيرته لأنف لها من محبته فهذا كله من آثار اليقظة وموجباتها، وهي أول منازل النفس المطمئنة التي نشأ منها

سفرها إلى الله والدار الآخرة.

النفس اللوامة:

وأما النفس اللوامة فاختلفوا فيها فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حالة واحدة واللفظة مأخوذة من اللوم وهو التردد وهي من أعظم آيات الله تعالى فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر ألوانًا ملونة فتذكر وتغفل وتلطف وتكثف وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطيع وتعصي إلى أضعاف من ذلك مضاعفة لا يحصيها إلا الذي فطرها ....

وقالت طائفة: مأخوذة من اللوم ثم اختلفوا...

فقالت فرقة: هي نفس المؤمن وهي من صفاتها المحمودة. وقال الحسن: المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا يقول ما أردت بهذا لم فعلت هذا فإن غيره أولى...

وقال غيره : «توقعه في الذنب ثم تلومه عليه» فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها على تفويته...

وقالت طائفة: «هي لوامة للنوعين فإن كل واحد يلوم نفسه برا كان أو فاجرًا فالسعيد يلومها على ارتكاب المعصية وترك الطاعة والشقي يلومها على ضد ذلك من هواها...».

وقالت فرقة: هذا اللوم يوم القيامة كل أحد يلوم نفسه إن كان محسنًا فعلى تقصيره وإن كان مسيئًا فعلى إساءته. وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها فإن النفس موصوفة بهذا كله باعتباره سميت لوامة لكن هي في ذلك نوعان لوامة ملومة وهي النفس الظالمة الجاهلة يلومها الله تعالى وملائكته ولوامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذل جهده. وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته...

النفس الأمارة:

وأما الأمارة فهي المذمومة العاجزة الملومة فإنها تأمر بكل سوء طبيعة منها ولا يخلص أحد من سوء نفسه إلا بتوفيق من الله له.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١].

وكان النبي ﷺ يعلمهم خطبة الحاجة **«إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له»**[(١)] فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فأن خلى الله بين العبد ونفسه استولت عليه فهلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال وإن وفقه وأعانه خلص من أسرها وفاز وقد امتحن الله الإنسان بهاتين النفسين الأمارة واللوامة كما أكرمه بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون أمارة ثم لوامة ثم مطمئنة ثم وهي غاية كمالها وصلاحها. وأيد المطمئنة بجنود عديدة فجعل قرينها الملك الذي يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويريها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويريها قبح صورته وأمدها بما علمها من القرآن والأذكار وأعمال البر وجعل وقود الخير وإمداد التوفيق تصل إليه من كل ناحية وكلما تلقتها بالقبول والشكر ازداد مددها فتقوى على محاربة الأمارة.

فمن جندها وهو سلطان عساكرها الإيمان واليقين والجيوش الإسلامية كلها تحت لوائه ناظرة إليه ومعولها جميعها عليه فإن ثبت ثبتت وإن انهزم ولت على أدبارها ثم أمراء هذا الجيش شعب الإيمان المتعلقة بالجوارح كالصلاة والحج والزكاة ونحوها، وشعبه الباطنة المتعلقة بالقلب كالإخلاص والتوكل والإنابة ونحوها وملاك ذلك الإخلاص والصدق فلا يتعنى الصادق المخلص فقد أقيم على صراط مستقيم يسار به فيه وهو راقد لا يتعني المحروم منهما فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين في الأرض حيران فإن شاء فليعمل وإن شاء فليترك فإن عمله لا يزيده من الله إلا بعدًا فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة.

---

(١) عزاه السيوطي إلى الإمام أحمد في المسند وأبو داود في كتاب النكاح باب في خطبة النكاح رقم (٢١١٨) والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم وهو متفق عليه عن ابن مسعود كنز العمال (٩٤١/١٥) رقم (٤٣٦١٨) وبدون التشهد ذكره السيوطي في كنز العمال (٩٤١/١٥) رقم (٤٣٦١٩) وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند. والإمام مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (٨٠٨) وأخرجه ابن ماجه والطبراني عن ابن عباس.

النفس الأمارة قرينة للشيطان:

وأما الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها فهو يعدها ويمينها ويسامرها بالسوء ويزينه لها ويستعين عليها بهواها وإرادتها فمنه يدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشيء هو أبلغ من أهوائها وقد علم ذلك إخوانه من شياطين الإنس فلا يستعينون على الصورة الممنوعة بشيء أبلغ من الهوى فإذا فتحت لهم النفس بابه دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وأفسدوا وفعلوا فعل الأعادي فبسطوا الأيادي فهدموا معالم الإيمان وقصدوا إلى الملك فأسروه وعلى اقتحام كل هلكة قهروه فنقلوه من عبادة الرحمن إلى عبادة البغايا والأوثان، ومن عز الطاعة إلى ذل المعصية والمقصود أن الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين النفس الأمارة وقد روي أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة هو الهمداني عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لمة**[1] **من ابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد الشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ:** ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ

---

(١) اللمة: المثل في السن، وهي مما حذف عينه، كسه ومذ، فعلة من الملاءمة وهي الموافقة، الفائق (٣/٣٣٠).

وفي وصف شعر المصطفى ﷺ قال العراقي: «وقد ورد في شعره ﷺ ثلاثة أوصاف جمة، ووفرة، ولمة».

فالوفرة: ما بلغ شحمة الأذن.

واللمة: ما نزل عن شحمة الأذن.

والجمة: ما نزل عن ذلك إلى المنكبين.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «زهر الخمائل على الشمائل» ص٥٢ ط مكتبة القرآن عقب الأوصاف الثلاثة السابقة لشعر النبي ﷺ:

هذا قول جمهور وأهل اللغة، وهو الذي ذكر صاحب المحكم، والنهاية، والمشارق، وغيرهم.

قلت: وليست اللمة بتشديد اللام وضمها كاللمة بتشديد اللام وفتحها - المحقق.

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]»[1].

قلت: أخرجه الإمامان أبو يعلى الموصلي والحاكم قالا حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص ورجال هناد رجال الصحيح والله أعلم...

وقد رواه عمرو عن عطاء بن السائب وزاد قال: سمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال [إذا أحس أحدكم من لمة الملك شيئًا فليحمد الله وليسأله من فضله وإذا أحس من لمة الشيطان شيئًا فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان].

فالملك وجنده يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد وما ينشأ عنه من أفعال البر، والشيطان وجنده يقتضيان من النفس الأمارة ضد ذلك، وقد سلط الله تعالى الشيطان على كل من لم يرد به وجه الله، وجعل ذلك إقطاعه يستنيب النفس الأمارة على هذا الإقطاع، ويتقاضاها بأن يأخذ الأعمال من النفس المطمئنة، فيجعلها قوة لها فهي أحرص شيء على تخليص الأعمال كلها لها؛ فأصعب شيء على المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان، ومن الأمارة لله فلو وصل منها عمل واحد، كما ينبغي إلى الله لنجا به العبد...

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة، لم يكن غائب أحب إلي من الموت، إنما يتقبل الله من المتقين...

مقابلة النفس الأمارة أمام النفس المطمئنة:

وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة، فكلما جاءت به هذه من خير ضاهتها تلك بما يقابله من الشر حتى تفسده عليها، فإذا جاءت هذه الإيمان والتوحيد جاءت تلك بما يقدح في الإيمان من الشك، وفي التوحيد من الشرك

---

(١) كنز العمال (١/٢٤٦) رقم (١٢٤٠) ولم يذكر ثم قرأ الآية.

وعزاه السيوطي للترمذي ٤٨ كتاب التفسير رقم الحديث (٢٩٨٨).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه إلا من حديث أبي الأحوص والنسائي وابن حبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/١٧١) رقم (٩٩٣) عن ابن مسعود.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٣٤٨) ط دار المعرفة، الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود.

الواضح باعتقاد أن غير الله يملك معه شيئًا، والخفي بمحبة غيره وخوفه ورجائه حتى يقدم محبة غيره وخوفه ورجائه على محبته، وخوفه ورجائه، فيكون ما لله هو المؤخر عندها وما للخلق هو المقدم، وإذا جاءت هذه بتجريد المتابعة للرسول ﷺ جاءت تلك بتحكيم آراء الرجال، وأقوالهم فأتت من الشبه المضلة بما يمنع من كمال المتابعة، وتقسم بالله ما مرادها إلا الإحسان والتوفيق، والله يعلم أنها كاذبة، وما مرادها إلا التفلت من سجن المتابعة إلى فضاء إرادتها وحظوظها فتقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله....

من عجائب النفس أنها تسحر العقل والقلب:

ومن أعجب الأشياء أنها تسحر العقل والقلب فتأتي إلى أشرف الأشياء وأجلها فتخرجه في صورة مذمومة وأكثر الخلق صبيان العقول أطفال الأحلام لم يصلوا إلى حد الفطام عن العوائد والمألوفات فضلا عن البلوغ الذي يميز به العاقل بين خير الخيرين فيؤثره وشر الشرين فيجتنبه.

مقام النفس أنها تري الإنسان صورة تجريد التوحيد:

فتريه صورة تجريد التوحيد التي هي أبهى من صورة الشمس والقمر في صورة هضم العظماء منازلهم وحطهم عن معاليهم إلى مرتبة العبودية المحضة والمسكنة والذل والفقر التي لا ملك لهم معها ولا تميز عن الفقراء والمساكين فتنفر نفوسهم أشد النفار مما وقع في خيالهم أنه ذلك وصغار ولم يعلموا أنه غاية العظمة وعلو المقدار...

وتريه تجريد المتابعة للنبي ﷺ وتقديم قوله على الآراء في صورة تنقص العلماء وإساءة الأدب عليهم المفضي إلى إساءة الظن بهم وأنهم قد فاتهم الصواب. وكيف لنا قوة أن نرد عليهم أو نحظى بالصواب دونهم وتقاسمه بالله إن أرادت إلا إحسانًا وتوفيقًا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ ...

من جدوى النفس أنها تري المرء الإخلاص في صورة الخروج عن حكم العقل المعيشي.

وتريه الإخلاص في صورة الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة التي بها

يندرج حاله بين الناس ومتى أخلص أعماله ولم يعمل لأحد شيئًا تجنبهم وتجنبوه وأبغضهم وأبغضوه وسار على جادة وهم على جادة فغايته إن تابعها أن يخلص في اليسير من أعماله وهو الذي لا يتعلق بهم وسائر أعماله لغير الله أعاذنا الله من ذلك...

من مقام النفس أن تري صاحبها صورة الصدق مع الله في قالب الانتصاب لعداوة الخلق.

وتريه صورة الصدق مع الله في قالب الانتصاب لعداوة الخلق وأذاهم وأنه يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق فإنه يصير عرضا لسهام الطاعنين وأمثال ذلك من الشبه التي تقيمها النفس الأمارة المكارة السحارة...

وتريه حقيقة الجهاد في صورة قتل نفسه ويتم أولاده ونكاح زوجه وقسمة ماله ومفارقة وطنه ومرافقة من لا يريده...

[من عجائب النفس]

وتريه الزكاة والصدقة في صورة مفارقة المال واحتياجه إلى الناس ومساواته للفقراء في رثاثة أحوالهم ومهنتهم وابتذالهم.

وتريه إثبات صفات الكمال في صورة التشبيه والتمثيل.

وتريه التعطيل في صورة التنـــزيه.

[مدارة النفس]

وأعجب من ذلك أنها تضاهي ما يحبه الله ورسوله من الصفات والأخلاق والأفعال بما يبغضه منها وتلبس على العبد أحد الأمرين بالآخر ولا يخلص هذا من هذا إلا أرباب البصائر فإن الأفعال تصدر عن الإرادات وتظهر على الأركان من النفسين الأمارة والمطمئنة، وربما رأيت صورة واحدة في الظاهر وهي منقسمة إلى محمود ومذموم فيتباين الفعلان في الباطن ويشتبهان في الظاهر ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة وشرف النفس والتيه والغضب والغيرة والحسد والغبطة ونحوها. فالأول من المطمئنة والثاني من الأمارة والفرق بين الأولين أن المداراة التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل والمداهنة التلطف به لتقره على باطله وتتركه على هواه فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق.

قلت: أو يقال المداراة موافقة الناس على أغراض مأذون فيها من الشارع والمداهنة موافقتهم على ما لم يأذن به الله ولو بالسكوت والله أعلم. مثال ذلك رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتعرف حالها ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت بطها برفق وسهولة فأخرج ما فيها ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع الفساد ويقطع المادة ثم تابع عليها المراهم المنبتة للحم ثم در عليها ما ينشف الرطوبة ثم شد عليها الرباط ولم يزل حتى صلحت فهذا المداري وأما المداهن فقال لصاحبها لا بأس عليك وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقه ثم اله عنها وهذا لما رأى من جزعه من بطها فلم تزل مادتها تقوى وتستحكم حتى زادت موادها وعظم فسادها فهذا مثالهما وهو أيضًا مثال النفسين المطمئنة والأمارة ويقارن الأمارة الشيطان فالقلب لا يزال بين هذين العدوين لا ينفك شرهما يطرقه وينتابه، وأول ما يدب فيه السقم من النفس الأمارة من الشهوة وما يتعبها من الحرص والغضب والحسد فيعلم الطبيب الغاش الخائن مرضه فيعود ويصف له أنواع السموم والمؤذيات ويخيل إليه بسحره أن شفاءه فيها ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة الأمارة والشيطان وتتابع إمددهما وأنه نقد حاضر ولذة عاجلة والداعي إليه يدعو من كل ناحية والهوى ينفد والشبهة تهون والناس بالأكثر فكيف يستجيب مع هذه القواطع وأضعافها لداعي الإيمان ومنادي الجنان المحفوفات بالمكاره إلا من أمده ربه بإمداد التوفيق...

[الفرق بين الرفق والتواني]

والفرق بين الرفق والتواني: أن التواني تثاقل عن المصلحة بعد الإمكان والرفق تلطف في تحصيلها بحسب القدرة مع المطاولة.

[الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق]

والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والمهابة فينكسر لله كسرة ممتلئة من الخجل والوجل وشهود النعم من الله والجرائم من نفسه فيخشع فتتبعه خشوع الجوارح. وخشوع النفاق يبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حُشي به وخمدت الجوارح

وامتلأ القلب بالسكينة فصار مخبتا لله والمخبت المطمئن فإن الخبت من الأرض ما تطامن فاستنقع فيه الماء فنفع الله به من شاء وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالا له وذلا، سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقاه. والقلب المتكبر قد اهتز بتكبره وربي فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء هذا.....

ما هو خشوع النفاق؟ وأما خشوع النفاق فهو: تماوت العبد بتكلف إسكان جوارحه رياء وسمعة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة...

[الفرق بين شرف النفس والتيه]

والفرق بين شرف النفس والتيه: أن شرف النفس صيانتها عن الدنايا والمطامع التي تقطع أعناق الرجال، وهو متولد بين خلقين كريمين إعزاز النفس وتعظيم مالكها أن يكون عنده دنيا. والتيه خلق متولد بين أمرين ذميمين إعجابه بنفسه وإزرائه بغيره...

[الفرق بين الحمية والجفاء]

والفرق بين الحمية والجفاء: أن الحمية فطام النفس عن رضاع اللؤم من ثدي الخبائث والرذائل. والجفا غلظة في النفس وقساوة في القلب.

[الفرق بين التواضع والمهانة]

والفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع هو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل من الرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا عند أحد حقا وهو يتولد بين العَلم بالله وبأسمائه وصفاته وبين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوبها. والمهانة هي الدناءة والخسة وابتذال النفس في نيل حظوظها وشهواتها فهو ضعة لا تواضع...

[الفرق بين القوة في أمر الله والعلو في الأرض]

والفرق بين القوة في أمر الله والعلو في الأرض: أن الأول: تعظيم الله وتعظيم أوامره وحقوقه وبذل نفسه فيها حتى يقيمها لله وإن أفضى ذلك إلى ذله. والثاني: تعظيم الإنسان لنفسه وطلب تفردها بالرياسة ونفاذ الكلمة سواء عز أمر الله أم هان....

[الفرق بين الحمية لله والحمية للنفس]

والفرق بين الحمية لله والحمية للنفس: وهما حرارتان يظهران على الأركان

أن الأولى حرارة من قبل النفس المطمئنة يثيرها تعظيم الأمر والآمر فيحمي قلبه له وهي حال عبد قد أشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ نورا فإذا غضب فإنما يغضب من أجل نور ذلك السلطان وكان رسول الله ﷺإذا غضب احمرت وجنتاه وبدا من بين عينيه عرق يدره عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله. وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى بن عمران عليه السلام كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا. والحمية للنفس حرارة من قبل النفس الأمارة تهيج لفوات الحظ أو طلبه فإن الفتنة في النفس والفتنة هي الحريق فالنفس ملتظية بنار الشهوة والغضب...

[الفرق بين الجود والسرف]

والفرق بين الجود والسرف: فإن صورتهما في الظاهر واحدة وهي إنفاق المال لكن يختلف باختلاف المحل فتارة يكون في الحق فيكون جودا وتارة في الباطل فيكون سرفا، فالجود توخي إنفاق المال في الوجوه المندوب إليها والسرف إنفاقه في الشهوات وإن صادف موضعه فالجواد حكيم يضع العطاء في مواضعه وحقوقه وهي نوعان: حقوق موظفة وحقوق عارضة. فالموظفة كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته. والثاني كحق الضيف ومكافأة المهدي وما وقي به عرضه. فالجواد يتوخى بما له أداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة به نفسه مؤملة للخلف في الأولى والثواب في الأخرى كمن بذر حبة في أرض تنبت وتوخى مواضع المغل والإنبات. والمسرف مبذر يبسط يده في ماله بحكم هواه جزافا لا على تقدير مصلحة وإن وافق المصلحة كمن بذر في سباخ من الأرض وغراز وإن اتفق بذره في محل الإنبات بذره بذرا متراكمًا بعضه على بعض يحتاج أن يقلع بعضه ليصح الباقي ولئلا تضعف الأرض عن تربيته والله تعالى هو الغني الجواد على الإطلاق. وكل ما في العالم السفلي والعلوي لا نسبة له إلى خزائنه وكل جود متلاش في جنب جوده لا يناقض حكمته ويضع عطاه مواضعه وإن خفي على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله أعلم حيث يضع فضله وأي المحال أولى به فإنه تارة يجعله نعمة وتارة نقمة....

[الفرق بين المهابة والكبر]

والفرق بين المهابة والكبر: أن المهابة من آثار امتلاء القلب بعظمة الله

ومحبته وإجلاله فإذا امتلأ بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فهو إن سكت علاه الوقار وأن تكلم أخذ بالقلوب والإسماع. والكبر آثار من آثار العجب والبغي من قلب امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية وتنــزل عليه المقت فنظره إلى الناس شزر ومشيه فيهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ذاهب بنفسه تيها لا يبدأ بالسلام من لقيه وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإحسان إليه. لا ينطلق بهم وجهه ولا يسعهم خلقه لا يرى لأحد عليه حقا بل حقه عليهم لا يزداد من الله إلا بعدًا ومن الناس إلا صغارًا وبغضًا...

[الفرق بين الصيانة والتكبر]

والفرق بين الصيانة والتكبر: أن الصائن لنفسه بمنــزلة رجل قد لبس ثوبًا جديدًا نقي البياض ذا ثمن ليدخل به على الملك فهو يصونه على الوسخ فتراه صاحب هروب من المواضع التي يخشى عليه منها التلوث وإذا أصابه شيء من ذلك بغتة بادر إلى إزالته وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها التي هي أعظم من طبوع الثياب ولكن على القلوب غشاوة أن يدرك تلك الطبوع إلا من نورت بصيرته بخلاف صاحب العلو فإنه وإن شابه هذا في عزه وتجنبه فهو يقصد أن يعلو رقابهم...

[الفرق بين الشجاعة والجراءة]

والفرق بين الشجاعة والجراءة: أن الشجاعة من القلب؛ وهي حرارته، وغضبه، وقيامه، وانتصابه، فيثبت عند المخاوف فإذا رأته الأعضاء كذلك أعانته لأنها خدمته وجنوده كما أنه إذا ولى ولت وهي تتولد من الصبر وحسن الظن فإنه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت كما أن الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر وهو ينشأ من الرئة إذا أساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب حتى أزعجته عن مستقره فأصابه الزلزال والاضطراب لانزعاجها له. روى أحمد وغيره عن عمرو بن العاص مرفوعًا [شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع][1]

---

(١) ولفظه كما في كنز العمال (٣/ ٤٤٧) رقم (٧٣٨١)، «شر ما في الرجل شح هالع وجبن =

سماه خالعا لخلعه القلب عن مكانه بانتقال الرئة وهي السحر بفتح السين كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر: انتفخ سحرك. فإذا زال عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الأمور على غير مواضعها. والجراءة إقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة فإما عليها وإما لها.....

[الفرق بين الحزم والجبن]

والفرق بين الحزم والجبن: أن الحازم من جمع عقله وإرادته ووزن الأمور، وأعد لكل واحدة منها ما يناسبه، ولفظه الحزم تدل على القوة والاجتماع، ومنه حزمة الحطب فحازم الرأي هو الذي اجتمعت له شؤون رأيه فعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فأحجم في موضع الإحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفًا، وأقدم في موضع الإقدام شجاعة وعزما لا جراءة وجهلا، بخلاف الجبن....

[الفرق بين الاقتصاد والشح]

والفرق بين الاقتصاد والشح: أن الاقتصاد يتولد من خلقين شريفين، عدل وحكمة، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

والشح يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هالعا والهلع شدة الحرص فيتولد منه منع البذل والجزع للفقد ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعراج: ١٩-٢١].

[الفرق بين الاحتراز وسوء الظن]

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن: أنّ، المحترز؛ بمنـــزلة رجل قد خرج بماله، ومركبه مسافرا؛ فهمته تهيئة أسباب النجاة فهو يحترز بجهده من قاطع الطريق، ومن

خالع». وعزاه السيوطي إلى البخاري في التاريخ الكبير وأبو داود كلاهما عن أبي هريرة.

أماكن السوء، مع التأهب، والاستعداد، وأما سوء الظن: فهو امتلاء القلب بالظنون السيئة، بالناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهو معه أبدا في همز، ولمز، وطعن، وعتب، يبغضهم ويبغضونه، ويلعنهم ويلعنونه، فالأول: يخالطهم، ويحترز منهم، والثاني يجتنبهم ويلحقه أذاهم..

[الفرق بين الفراسة والظن]

والفرق بين الفراسة والظن: أنّ الظن يخطئ ويصيب ويكون من ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته، ولهذا أمر الله تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم وأما الفراسة فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

قال ابن عباس وغيره: أي المتفرسين وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

[سمات الفراسة الصادقة وأثرها]

فالفراسة الصادقة: بقلب قد تطهر من الأدران، وتصفى من الغش وتنـــزه من الأدناس، وقرب من الله؛ فهو ينظر بما قذف فيه من النور، وفي الترمذي[1] عن أبي سعيد مرفوعا "**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**" ومشاهدة الفراسة القرب من علام الغيوب فإنه سبب لانقطاع معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه عن القلب ويكون تلقيه من مشكاة قربه من الله تعالى بحسب قربه منه فيضيء له من النور على مقدار ذلك فيرى به ما لم يره البعيد المحجوب كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل قال: [**ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي**

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير ومن سورة الحجر رقم (٣١٢٧) وقال: غريب وأخرجه البخاري في التاريخ وكلاهما عن أبي سعيد، وأخرجه الحكيم وسمويه، والطبراني وابن عدي عن أبي أمامة وابن جرير عن ابن عمر. كنز العمال (١١/ ٨٨) رقم الحديث (٣٠٧٣٠).

يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي](١) يعني والله أعلم أن قلبه يصير كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا يكاد يخطئ له فراسة فإنه إذا أبصر بالله أو سمع به أبصر الأمر وسمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب منه مستنير بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس المانعة من وصول صور الحقائق إليه وإذا علا النور على القلب فاض على الأركان، وقد كان رسول الله ﷺ يرى أصحابه في الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه ورأى بيت المقدس عيانًا وهو بمكة ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ورأى أمراءه بمؤتة من أرض الشام إذ أصيبوا والنجاشي بالحبشة لما مات وهو ﷺ بالمدينة فخرج إلى المصلى فصلى عليه إلى غير ذلك مما أخبر به وكان كما قال. ورأى عمر سارية بن زنيم أميرا له على قتال المجوس بنهاوند من أرض فارس في عساكر المسلمين يقاتلون عدوهم في براح من الأرض إن استمروا به أحيط بهم وإن لجئوا إلى جبل بقربهم نجوا فناداه وهو على منبر المدينة [يا سارية الجبل فسمعه سارية](٢) ولجأ إلى الجبل فانتصر.

ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الأشتر النخعي فصعد فيه البصر وصوبه وقال أيهم هذا: قالوا مالك بن الحارث: فقال ماله قاتله الله إني لأرى المسلمين منه يومًا عصبيًا، ودخل على عثمان بن عفان ﷺ رجل من الصحابة وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها فقال عثمان: [يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه، فقال: أوحى بعد رسول الله ﷺ فقال: لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة]

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن السني في الطب عن سمويه كنز العمال (١/٢٣٠) رقم (١١٥٨) ولفظه. قال الله تعالى: ﴿ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء فرائضي وإنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته﴾.

(٢) وهو جزء من حديث طويل ذكره السيوطي كما في كنز العمال [١٢/٣٥٧٨٩، ٣٥٧٩٠، ٣٥٧٩٢]، وعزاه في الأول للسلمي في الأربعين وابن مردويه. وفي الثاني لأبي نعيم في الدلائل، وفي الثالث للالكائي، وفي الرابع للخطيب في رواية مالك وابن عساكر في تاريخ دمشق.

ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال [هذا سيد الفتيان إن لم يحدث] وقيل: إن الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد فدخل رجل فقال محمد: أتفرس إنه نجار فقال الشافعي: أتفرس إنه حداد فسألاه فقال: كنت حدادًا وأنا اليوم أنجر».

ودخل أبو الحسن البوشيحي والحسن الحداد على أبي القاسم المنادي يعودانه فاشتريا في طريقهما بنصف درهم تفاحا يشمه فلما دخلا عليه قال: [ما هذه الظلمة] فخرجا فقالا ما علمنا لعل هذا من قبل التفاح فأعطيا الثمن ثم عادا إليه فقال: يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبراني عن شأنكما فأخبراه بالقضية فقال نعم :كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في إعطاء الثمن والرجل يستحي منكما في التقاضي. وكان بين أبي زكريا النخشبي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس أبي عثمان الحري فتكفر في شأنها فرفع أبو عثمان إليه رأسه وقال ألا تستحي.

وكان شاه الكرماني جيد الفراسة لا تخطئ فراسته. وكان يقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال له :[أيش هذا الذي ذكر لي عنك فقال أعتقد شيئا: فقال الجنيد اعتقدت: فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا: فقال الجنيد لا فقال اعتقد ثانيا: قال اعتقدت: فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا: فقال اعتقد ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا قال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبي! فقال الجنيد: صدقت في الأولى والثانية والثالثة لكني أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك.

وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيئًا فقلت في نفسي: مثل هذا كل على الناس فنظر إلي وقال ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ فاستغفرت في سري فناداني وقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ . وقال إبراهيم الخواص كنت ببغداد في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابنا يقع لي أنه يهودي فكلهم كذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم فقال أيش قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا

قال: إنك يهودي فجاءني فأكب على يدي فأسلم فقيل له ما السبب؟ فقال: نجد في كتابنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت: إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ علي وتفرسني علمت أنه صديق. وصار الشاب من كبار الصوفية...

[الفرق بين النصيحة والغيبة]

والفرق بين النصيحة والغيبة(١): أن النصيحة يكون القصد بها تحذير المسلم من مبتدع أو مفسد فيذكر ما فيه وإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة فهي قربة وإذا وقعت على وجه الذم فهي نار الحسنات...

[الفرق بين الهدية والرشوة]

والفرق بين الهدية والرشوة: أن الراشي قصده بالرشوة التوصل إلى إبطال حق أو تحقيق باطل وأما المهدي فقصده استجلاب المودة والمعرفة والإحسان فإذا قصد المكافأة فهو معارض وإن قصد الربح فهو مستكثر....

[الفرق بين الصبر والقسوة]

والفرق بين الصبر والقسوة: أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد -وهو حبس النفس عن الجزع والهلع- فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية، وأما القسوة فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنع من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظته وقسوته لا لصبره واحتماله، وتحقيق ذلك أن القلوب ثلاثة: قلب قاس غليظ كاليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جدًا. فالأول بمنزلة الحجر والثاني بمنزلة الماء وكلاهما ناقص، وأصح القلوب القلب الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويؤثر فيه برقته ويحارب عدوه بصلابته وفي أثر القلوب إنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها وهذا القلب الزجاجي فإن الزجاجة جمعت

---

(١) لقد ذكرت في صدر كتاب الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا تعريف الغيبة في المعجم وعند علماء الأخلاق والنميمة كذلك وبينت الأسباب الباعثة على الغيبة والمواطن التي تباح فيها فليراجع كتاب الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار ط مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

الأوصاف الثلاثة وأبغض القلوب إلى الله القلب القاسي قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٣].

فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل ما يلقي الشيطان فتنة لأصحاب هذين القلبين ورحمة لأصحاب القلب الثالث وهو الصافي. ميز بين إلقاء الشيطان وإلقاء الملك بصفائه وقبل الحق بإخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته فقال تعالى عقب ذلك: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]..

[الفرق بين العفو والذل]

والفرق بين العفو والذل: أن العفو إسقاط حقك جودًا وكرما مع قدرتك على الانتقام بخلاف الذل فإنه ترك الانتقام خوفًا وعجزًا ولعل المنتقم بحق أحسن حالا منه قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩]. فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم حتى إذا قدروا ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو بقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

فذكر المقامات الثلاث العدل- وأباحه- والفضل- وندب إليه -والظلم - وحرمه.

فإن قيل كيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان قيل المراد هنا بالانتصار القدرة والقوة على استيفاء الحق لا الاستيفاء والانتقام ثم ندبهم إلى العفو بعد القدرة قال السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يذلوا فإذا قدروا عفوا فمدحهم على عفو عن قدرة لا عفو عن ذل وعجز وهذا هو الكمال الذي مدح به سبحانه نفسه في مثل قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩]. ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]. أي إن غفرت لهم غفرت: عن عزة، وهي كمال القدرة. وعن حكمة، وهي كمال العلم، فغفرت بعد أن علمت ما عملوا وأحاطت بهم قدرتك والعفو من المخلوق ظاهره ذل وضيم وباطنه مهابة وعز والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل ولهذا ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، وتأمل قوله تعالى ينتصرون كيف يفهم أن فيهم من القوة ما يكونون بها هم المنتصرين لا أن غيرهم هو الذي ينصرهم لما كان الانتقام لا تقف فيه النفوس على حد العدل غالبًا بل لا بد من المجاوزة شرع سبحانه فيه المماثلة وحرم الزيادة وندب إلى العفو.

ونكتة المسألة أن الانتقام غير الانتصار فالانتقام من النفس الأمارة وهو الانتصار لحظها أو ظفرها بالباغي تشفيًا به وإذلالا له والانتصار من المطمئنة وهو أن ينتصر لحق الله ومن أجله ولا يقوى على ذلك إلا من تخلص من ذلك حظه ورق هواه فإنه حينئذ ينال من العز الذي قسم الله للمؤمنين فإذا بغي عليه انتصر من الباغي من أجل عز الله الذي أعزه به غيرة على ذلك العز أن يستضام وحمية للعبد المنسوب إلى العزيز الحميد أن يستذل فهو كأنه يقول للباغي عليه أنا مملوك من لا يذل مملوكه ولا يجب أن يذله أحد وقد ضرب لذلك مثل بعبدين من عبيد الملك حراثين فضرب أحدهما الآخر فعفا المضروب عن الضارب نصحًا منه للسيد وشفقة على الضارب من العقوبة فلم يجشم السيد كلفة العقوبة فشكره على عفوه ووقع منه بموقع، وعبد آخر أقامه بين يديه وجمله بالثياب التي تصلح للقيام بحضرته فعمد بعض سواس الدواب فلطخ تلك الثياب بالعذرة فلو عفا عنه لم يوافق عفوه رأى سيده كأنه يقول إنما فعل هذا بك جراءة علي واستخفافًا بسلطاني فإذا مكنه من عقوبته فأذله وقهره ولم يبق إلا أن يبطش به فذل قلبه وانكسرت نفسه أحب سيده حينئذ عفوه عنه عن حقه وعقوبته له لحق السيد فيكون انتصاره حينئذ لمحض حق سيده لا لنفسه كما روى عن علي رضي الله عنه أنه مر برجل فاستغاث به وقال هذا منعني حقي :فقال أعطه حقه: فلما جاوزهما لج الظالم وضرب صاحب الحق فاستغاث بعلي فرجع وقال أتاك الغوث: فقال استوف لطمته: فقال قد عفوت يا أمير

المؤمنين فضربه علي تسع درر وقال قد عفا عنك من لطمتك: وهذا حق السلطان فعاقبه علي لجراءته على سلطان الله.

وهكذا قصة الذي جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال احملني فوالله لنا أفرس منك ومن أبيك وعنده المغيرة بن شعبة فحسر عن ذراعه وصك أنف الرجل فأدماه فجاء قومه إلى أبي بكر فقالوا أقدنا من المغيرة فقال أنا أقديكم من وزعه لله لا أقيدكم منه فرأى أبو بكر أن ذلك انتصار من المغيرة وحمية لله وللعز الذي أعز به خليفة رسول الله ﷺ ليتمكن بذلك العز من حسن خلافته وإقامة دينه فهنا لون والضرب حمية للنفس الأمارة لون....

[الفرق بين سلامة القلب والتغفل]

والفرق بين سلامة القلب والتغفل: أن سلامة القلب تكون من إرادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به بخلاف البله والغفلة فإنهما جهل وقلة معرفة، وهذا نقص والكمال أن يكون عارفًا بتفاصيل الشر سالمًا من إرادته كما قال عمر رضي الله عنه: لست بخب ولا يخدعني الخب وكان عمر أعقل من أن يخدع وأورع من أن يخدع وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

[الفرق بين الثقة والغرة]

والفرق بين الثقة والغرة: أن الثقة سكون يستند إلى أدلة وأمارات فكلما قويت تلك الأمارات قويت الثقة واستحكمت، ولا سيما على كثرة التجارب وصدق الفراسة واليقظة كأنها والله أعلم من الوثائق فالقلب قد ارتبط بمن وثق به توكلا عليه وحسن ظنه به فصار في وثاقه بروحه وبدنه فصار عدته في شدته وذخيرته في نوائبه وملجؤه في نوازله. والغرة حال الذي خدعته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الكاذب بربه حتى اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. فالغرور ثقتك بما لا يوثق به ورجاؤك النفع من المحل الذي لا يأتي بخير وأخذك بسبب منقطع قال تعالى في وصف المغترين: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فهؤلاء إذا انكشف الغطاء وتبينت حقائق الأمور علموا أنهم لم يكونوا على شيء.

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

وفي أثر معروف: إذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وأنت مقيم على معصيته فاحذره فإنما هو استدراج وشاهده ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فهذا من أعظم الغرة؛ فالشيطان موكل بالغرور، وطبع النفس الأمارة الاغترار، فإذا اجتمع الزاني والبغي والمرابي والمحاج والشيطان الغرور والنفس المغترة لم يكن هناك خلاف فالشياطين أغروا المغترين بالله تعالى وأطمعوهم مع إقامتهم على ما يسخطه في عفوه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الأجل فأخذوا على أسوأ أحوالهم قال تعالى: ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٤].

[الفرق بين الرجاء والتمني]

والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فطوى بساط الرجاء إلا عن هؤلاء، وقال المغترون إن الذين ضيعوا أوامر الله وارتكبوا نواهيه أولئك الشيطان يرجون وليس هذا ببدع من تزيين الذي شأنه الغرور والنفس التي شأنها الاغترار. وعلامة الرجاء الصحيح ترك ما يمكن أن يحول بينه وبين المحبوب. ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

فالرجاء هو امتداد القلب إلى المرجو بكمال التأهب والأخذ بالحذر خوفًا من الفوت وأصله من التنحي، رجا البيت ناحيته وأرجاء السماء نواحيها فامتداد القلب مع الانقطاع عن العوائق هو التنحي عن النفس الأمارة وأسبابها فإن القلب إذا أنفسحت بصيرته فرأى عظمة الله وكرمه أحبه وخاف الانقطاع عنه فخف مرتحلا إليه. وكان قبل ذلك مطمئنًا إلى النفس والنفس إلى الشهوات، فلما انكشف عنه غطاء النفس خف وارتحل عن جوارها طالبًا جوار العزيز الحكيم....

ومن هنا كان كل خائف راجيا وكل راج خائفًا هذا الراجي وقع له علم لا يصل إليه إلا بترك النفس والشيطان فجانبهما خوفًا من الانقطاع وسار إليه وهذا الخائف سمع الوعيد لمن ركن إليهما فحذرهما رجاء النجاة من الهلكات فالحالان متلازمان فكل راج خائف من فوات ما يرجوه وكل خائف راج الأمن مما يخافه...

[ما هي الأماني]؟وأما الأماني: فإنها رؤوس أموال المفاليس أخرجوها في قالب الرجاء وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فأظلم من دخانها فاستعملته في شهواتها ومنته حسن العاقبة والنجاة وأحالته على العفو والفضل وسمي ذلك رجاء وإنما هو وساوس تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستروح إليها قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

فإذا قالت لك النفس: أنا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه أمنية فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

وقد قال النبي ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**[1].

[الفرق بين التحدث بنعمة الله والفخر بها]

والفرق بين التحدث بنعمة الله والفخر بها: أن المتحدث بالنعمة يخبر عن

---

(١) عزاه السيوطي في (٣/٣٧٩) رقم (٧٠٣٦) كنز العمال إلى الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٢٤) والترمذي (٤/٦٣٨) رقم (٢٤٥٩) وقال: هذا حديث حسن وابن ماجه رقم (٤٢٦٠) والحاكم (١/٥٧) ، (٤/٢٥١) جميعًا عن شداد بن أوس.

صفات مولاها ومحض جوده وإحسانه قاصدًا الثناء عليه وبعث الهمم إليه بالطلب منه دون غيره فهو داع إلى الله بها. والفخر أن يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر ليستعبد رقابهم ويستميل قلوبهم إليه بالتعظيم والخدمة....

[الفرق بين فرح القلب وفرح النفس]

والفرق بين فرح القلب وفرح النفس: أن فرح القلب يكون بالله وما كان مقربًا إليه قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

وهذا الفرح من الإيمان يثاب عليه فإن فرحه به يدل على محبته إذ الفرح إنما يكون بالظفر بالمحبوب. واعلم أن ابتهاجك في الآخرة بالثواب على قدر ابتهاجك في الدنيا بسببه ومن أنواع هذا الفرح سرور القلب بما من الله عليه من معاملته والإخلاص له والتوكل عليه والتوبة إليه ولكن دون درجة الفرح بذلك ترحات وغصص ومحن وأهوال لا تثبت لها الجبال فإن صبر لها فاز بهذه اللذة وإلا فلا مع فوات ما آثره من فرحه فيفوته الأمران ويحصل على ضد اللذة من الألم المركب من وجود المؤذي وفوت المحبوب ومنها وهو أعظمها الفرقة عند مفارقة الدنيا ببشارة الملائكة ثم بما يرى من الفوز بالمطلوب:

وليست هذه الفرحات إلا ... لذي الترحات في دار الرزايا
فشمر ما استطعت الساق واجهد ... لعلك أن تفوز بذي العطايا
وصم عن لذة حشيت بلاء ... للذات خلصن من البلايا
ودع أمنية إن لم تنلها ... تعذب أو تنل كانت منايا

وأما فرح النفس فهو بما يكون من الشهوات وعاجل اللذات أعاذنا الله من ذلك...

[الفرق بين رقة القلب والجزع]

والفرق بين رقة القلب والجزع: أن الجزع ضعف في القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الإيمان بالقدر وإلا فمتى علم أن القدر كائن ولا بد كان الجزع عناء محضًا ومصيبة ثانية قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى

أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فمتى علم العبد أن النقمة أو النعمة مقدرة لم يجزع ولم يفرح ولا ينافي هذا رقة القلب فإنها ناشئة عن صفة الرحمة التي هي كمال وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وقد كان رسول الله ﷺ أرق الناس قلبًا وأبعدهم من الجزع.

فرقة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف فهو حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه قتار النفس الأمارة فأخذ بنفسه فأخذ بأنفاسه فضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوى، وهو لعمري ضيق الأرجاء مظلم المسالك مهلك العواقب جم المهالك وإن رأى بخلاف ذلك فالقلب لأجل انحصاره فيه يجزع من أدنى مصيبة ولو أشرق فيه نور الإيمان والإيقان بالوعد والوعيد لقاده زمام الأوامر إلى فضاء المحبة ورياض الأنس واستمسك بأسباب الوثوق فرق حتى امتلأ رأفة ورحمة على كل ذي قربى ومسلم، وفي الحديث الثابت «**لا تنـــزع الرحمة إلا من شقي**» وإنما فضل الصديق الأكبر بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية وقد ظهر أثرها في جميع مقاماته حتى في أسارى بدر وقدر الله تعالى ما أشار به والرب سبحانه هو الرؤوف الرحيم وأقرب الخلق إليه أعظمهم رأفة ورحمة. وقد كان رسول الله ﷺ أرحم الناس كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لا يلجه إلا أفراد من العالم....

[الفرق بين الموجدة والحقد]

والفرق بين الموجدة والحقد: أن الوجد الإحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس في دفعه. والحقد إضمار السوء وتوقعه بكل وقت لمن وجدت عليه فلا يزايل القلب أثره. وفرق آخر وهو أن الموجدة لما ينالك منه والحقد لما يناله منك فالموجدة وجود ما نالك من أذاه والحقد توقع وجود ما يناله من المقابلة فالموجدة سريعة الزوال وتكون مع قوة القلب وصلابته وقوة نوره وإحساسه والحقد بطيء الزوال ويكون مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس عليه....

[الفرق بين المنافسة والحسد]

والفرق بين المنافسة والحسد: أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده

من غيرك فتنافسه فيه حتى يلحقه فتكون نفيسًا مثله أو تجاوزه فتكون أنفس منه، فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال الله تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وربما سر الإنسان بمشاركة غيره فيه كما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بل كان يحض بعضهم بعضا على أنواع الكمال وهي نوع من المسابقة قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨،و المائدة٤٨].

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الحديد: ٢١].

[تعريف الحسد]

والحسد خلق نفس ذميمة: ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكتسب الخير وتتمنى أن لو فاته كسبه حتى يساويها في العدم كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالمنافس يحب لحاق من ينافسه أو مجاوزته في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه أو ينــزل عنه في النقص وأكثر النفوس الفاضلة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصًا من أهل الفضل ونافسه انتفع به كثيرًا وكان على ذلك كثير من العلماء وكان عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر رضي الله عنهما كثيرًا فلم يظفر يومًا بسبقه فلما علم أنه استوى على الغاية قال والله لا أسابقك إلى شيء أبدًا..

وفي الصحيح: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يعمل به ورجل آتاه مالا فسلطه على هلكته في الحق**». فأطلق على الغبطة حسدًا.(١).

---

(١) عزاه السيوطي في كنز العمال (٢٣٣٩/١) إلى الإمام أحمد (٣٨٥/١، ٤٣٢، ٣٦/٢، ٨٨، ١٥٢، ٤٥٩) والبيهقي والترمذي (٤/ ٣٣٠) رقم (١٩٣٦) ٢٨ كتاب البر والصلة ٢٤ باب ما جاء في الحسد، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٢/ ١٤٠٧) - ٢٢ باب الحسد رقمي (٤٢٠٨، ٤٢٠٩) جميعا عن ابن عمر وأخرجه الدارمي (٣٥٣، ٤٢٣) وانظر كنز العمال (٢٣٤٠/١) وأخرجه ابن عدي (٢٩٦/١).

[الفرق بين حب الرياسة وحب الإمامة]

والفرق بين حب الرياسة وحب الإمامة: للدعوة إلى الله تعالى هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها، فالمحب للإمامة عبد ناصح لله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة إليه فهو يحب الإمامة في الدين بل يسأل ربه أن يجعله إمامًا يقتدي به المتقون فإذا أحب العبد أن يكون في أعين الناس جليلا وفي قلوبهم مهيبًا وإليهم حبيبًا وفيهم مطاعا ليأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأن دعوته إنما هي الله محبة في أن يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونًا على ذلك.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٤، ٧٥].

فهم إنما سألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين فسؤالهم أن يجعلهم أئمة هو سؤالهم أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة التي لا تتم الإمامة إلا بها، ولهذا جزاهم الغرف العالية في الجنة على طلب الرتب العالية في الدين وأما طلاب الرياسة فإن سعيهم لها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم ومساعدتها على جميع أغراضهم مع كونهم عالين قاهرين فترتب على ذلك من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والحمية للنفس واحتقار من أكرمه الله إذ لا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك والرؤساء في عمي عن هذا فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما إذا حشروا في صورة الذر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم إهانة لهم وتحقيرًا وتصغيرًا كما صغروا أمر الله وحقروا عباده....

[الفرق بين الحب في الله والحب مع الله]

والفرق بين الحب في الله والحب مع الله: وهذا من أهم الفروق، وكل أحد محتاج إليه؛ بل مضطر فإن الحب في الله من كمال الإيمان، والحب معه عين الشرك،

هو أن الحب في الله تابع لمحبة الله فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله فإذا أحب ما أحبه الله كان ذلك الحب له وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وأولياءه لكونه يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه يبغضهم وعلامته أنه لا ينقلب حبه لحبيب الله بغضًا إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه خطأ أو عمدًا مطيعًا لله فيه أو متأولا مجتهدًا أو باغيًا نازعًا تائبًا ولا بغضه لبغيض الله حبًا لإحسانه إليه والدين كله يدور على أربع قواعد حب وبغض ويترتب عليهما فعل وترك فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الإيمان وما نقص عن إضافة هذه الأربعة إلى الله نقص من إيمانه ودينه بحسبه...

[أنواع الحب مع الله]

وأما الحب مع الله: **فنوعان الأول**: يقدح في أصل التوحيد كمحبة المشركين لأوثانهم فهي محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء فهي محض الشرك الذي لا يغفره الله وبمعاداة هؤلاء لآلهتهم ومحاربتهم أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه.

النوع الثاني: محبة ما زين للنفوس من النساء والذهب والفضة ونحوها من متاع الدنيا محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للشراب، وهذا يقدح في كمال الإخلاص وهي نوعان: **الأول**: أن يكون لموافقة الطبع ولم يؤثرها على ما يرضاه الله فهي حينئذ من المباحات ولكنها تنقص من كمال محبته لله تعالى وفيه **الثاني**: أن يستولي على القلب حتى تكون هي المقصود فيقدمها حينئذ على رضى الله فيكون ظالمًا لنفسه متبعًا لهواه وههنا نوع يتراءي أنه من هذه المحبة وليس منها وهو أن يكون للطبع فيها مدخل ولكن الحامل عليها بالحقيقة إنما هو موافقة المحبوب في معالي الأخلاق فيكون جل القصد بها التوصل إلى الله والاستعانة على مرضاته وطاعاته بحيث تضمحل المحبة الطبيعية المحضة عند ذلك فهذه حينئذ إنما هي من المحبة لله وفيه فيلتذ بالتمتع بها ويثاب عليها وهذه محبة أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب، ولهذا كانت التي زاد ميل قلبه إليها من النساء الموجودات معها أفضلهن في الواقع علمًا ودينًا وعقلا انظر إلى قوله ﷺ: «**إنه لم يأتني الوحي في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة**». أو كما قال ﷺ وكذا من الرجال لم يحب أحد إلا وهو من أهل الكمال ومن اشتد حبه له كان أكمل بحيث كانوا في الواقع

كذلك فماتوا على كمالهم فتبين أنه ﷺ لا يحب لمجرد الطبع وهذه محبة السابقين والتي قبلها محبة الظالمين والأولى محبة المقتصدين فتأمل هذا الموضع فإنه معترك النفس الأمارة والمطمئنة والله الموفق.

[الفرق بين التوكل والعجز]

والفرق بين التوكل والعجز: أن التوكل أن يحصل للقلب في عبوديته اعتمادًا على الله والتجاء إليه وتفويضا ورضى بما يقتضيه لعلمه بكفايته سبحانه مع القيام بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها وقد كان النبي ﷺ أعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم أحد بين درعين واختفى في الغار ثلاثًا متوكلا في المسبب لا على السبب، انظر حاله إذا اشتد الخطب وزلزل الصديق كيف يقول له ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ فقلبه مع الله وبدنه مع السبب. والعجز تعطيل الأمرين أو أحدهما فأما أن يعطل السبب عجزًا عنه زاعمًا أن ذلك توكل وإنما هو لعمر الله عجز وتفريط وأما أن يقوم بالسبب ناظرًا إليه معتمدًا عليه غافلا عن المسبب معرضًا عنه وإن خطر بباله لم يعلق قلبه به تعليقًا تامًا فهذا توكله عجز وعجزه توكل.

وهذا موضع انقسم الناس فيه إلى طرفين ووسط فأحد الطرفين عطل الأسباب محافظة على التوكل والثاني عطل التوكل محافظة على الأسباب وأما الوسط فعلمه أن حقيقة التوكل لا تتم إلا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في نفس السبب ومن عطل السبب وزعم أنه متوكل فهو مخدوع كمن عطل النكاح والتسري وتوكل في حصول الولد وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول الزرع وعطل الأكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والري فالتوكل نظير الرجاء والعجز نظير التمني فحقيقة التوكل أن يتخذ العبد ربه وكيلا له قد فوض إليه كما يفوض الموكل إلى وكيله العالم بكفايته ونصحه وأمانته والرب تعالى قد أمر عبده بالاحتيال وتوكل له أن يستخرج من حيلته ما يصلحه فأمره أن يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمن ذلك كما قدره الله ودبره واقتضته حكمته وأمره أن لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاه له وخوفه منه وتوكله عليه وأخبره أنه المليء بالوكالة الوفي بالكفالة، فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره وقعد كسلانا طالبا للراحة مؤثرا للدعة يقول الرزق يطلب صاحبه كما يطلب أجله وسيأتيني ما قدر لي ولن أنال ما لم يقدر لي فيقال له هذا

كله حق وقد علمت أن الرزق مقدر فما يدريك كيف قدر لك بسعيك أم بسعي غيرك وإن كان بسعيك فبأي سبب ومن أي جهة وإذا خفي عليك هذا فمن أين علمت أنه مقدر لك إتيانه عفوا بلا سعى ولا كد فكم من شيء سعيت فيه فقدر لغيرك رزقا وكم من شيء سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا وإذا رأيت هذا عيانًا فكيف علمت أن رزقك كله بسعي غيرك وأيضًا.

فهذا الذي أوردته عليك النفس يوجب عليك طرده في جميع الأسباب حتى في أسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل يقطعها اعتمادا على التوكل بلى أو يقوم بها مع التوكل لن تخلو الأرض من متوكل صبر نفسه لله وملأ قلبه بالسبب من الثقة به فضاق قلبه عن مباشرة بعض الأسباب فسكن قلبه إلى الله واطمأن إليه فكان هذا من أقوى أسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب بل رغب عن سبب إلى سبب أقوى منه فكان توكله أوثق الأسباب عنده فكان سكون قلبه إليه وتضرعه إليه أحب إليه من اشتغاله بسبب يمنعه من ذلك أو من كماله فلم يتسع قلبه للأمرين فأعرض عن أحدهما إلى الآخر ولا ريب أن هذا أكمل حالا ممن امتلأ قلبه واشتغل به عن ربه وأكمل منهما من جمع الأمرين، وهي حال الرسل وقد كان الصحابة هدانا الله إلى منهاجهم ويسرنا لسلوك سبلهم وفجاجهم أقوم الناس بهما ألا ترى أنهم بذلوا الجهد في محاربة أعداء الدين بأيديهم وألسنتهم وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا أموالهم وأصلحوها وأعدوا لأهاليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين ﷺ **(قلت)**: وانظر إلى قوله ﷺ **«اتقوا الله وأجملوا في الطلب»**[(١)]، ولم يقل ولا تطلبوا، وقال ﷺ: **«لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»**[(٢)]. فقال تغدو ولم يقل تجثم في أوكارها وقال ﷺ: **«وجعل رزقي تحت ظل رمحي»** ولم يقل في جوف بيتي إلى غير ذلك

(١) ورد حديث «أجملوا في طلب الدنيا، فإن كلا ميسر لما كتب له منها». عزاه الشيخ يوسف النبهاني في دليل التجار ص ٦٦ رقم (١٤٨).

عزاه النبهاني إلى ابن ماجه ورقمه (٢١٤٢) والحاكم (٣٢) والطبراني والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٦٤) وانظر أيضًا هذا العزو في الجامع الكبير للسيوطي (١/٢١).

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر – كنز العمال (٣/١٠٣) رقم (٥٦٨٤).

والله أعلم...

[الفرق بين الاحتياط والوسوسة]

والفرق بين الاحتياط والوسوسة: أن الاحتياط الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنة من غير غلو ومجاوزة ولا تقصير وتفريط. والوسوسة ابتداع ما لم تأت به السنة ولم يفعله النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه زاعمًا أنه يصل بذلك إلى تحصيل المشروع كمن يصرح بنية الصلاة مرارًا أو مرة ويغسل ثيابه ممالا يتيقن نجاسته إلى أضعاف ذلك مما اتخذه الموسوسون دينًا وزعموا أنه احتياط وقد كان الاحتياط لهم في اتباع هدي رسول الله ﷺ أولى بهم فإنه الاحتياط الذي من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط...

[الفرق بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان]

والفرق بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه: منها أن ما كان لله موافقًا لمرضاته؛ وما جاء به رسول الله ﷺ فهو من الملك، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من الشيطان، وهذا واضح جدًا؛ ومنها أن ما أثمر ذكرًا لله وإقبالا عليه وهمة صاعدة إليه فهو من الملك وما أثمر ضد ذلك فهو من الشيطان، ومنها أن ما أورث أنسا في الخاطر ونورا في القلب وانشراحًا في الصدر فهو من الملك وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان ومنها أن ما أورث سكينة فهو من الملك وما أورث قلقا وانزعاجا وتململا واضطراباً فهو من الشيطان والإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلبًا يناسبه وتكون لمة الملك بهذا القلب أكثر من لمة الشيطان وأما القلب المظلم بدخان الشهوات وقتار الشبهات فإلقاء الشيطان إليه أكثر من لمة الملك والله الموفق...

[الفرق بين الاقتصاد والتقصير]

والفرق بين الاقتصاد والتقصير: أن الاقتصاد التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وله طرفان ضدان تقصير ومجاوزة ووسط عدل قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]. ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١].

والدين كله بين هذين الطرفين، وما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فإما إلى غلو وإما إلى تفريط وهما آفتان لا مخلص منهما إلا لمن اقتفى أثر رسول الله ﷺ وترك أقوال الناس وآراءهم لقوله وقد يجتمعان في الشخص الواحد يكون متهاونا في بعض دينه غاليًا في بعضه والله المستعان...

[الفرق بين النصيحة والتأنيب]

والفرق بين النصيحة والتأنيب: أن النصيحة إحسان إلى من تنصحه؛ بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له، وعليه فهي إحسان محض، يصدر عن رحمة، ورقة، ومراد الناصح وجه الله، والإحسان إلى خلقه؛ فيتلطف في بذلها ويحتمل أذى المنصوح ولائمته فيعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المضني، فهو يحتمل سوء خلقه ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن وهذا شأن الناصح. وأما المؤنب فقصده التعبير والإهانة والذم والشتم في صورة النصح، وعلامة هذا أنه لو رأى من يحبه على مثل هذا أو شر منه لم يلمه عليه بل يطلب له وجوه المعاذير فإن غلب قال أينا المعصوم ونحو هذا....

ومن الفروق أن الناصح، إذا رددته لم يعادك بل يدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك لأحد، ويطلب أجره في ذلك على الله، والمؤنب بضد ذلك.

[الفرق بين المبادرة والعجلة]

والفرق بين المبادرة والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الأمور في أدبارها ولا قبل وقتها فهو بمنـــزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها خوفا من فسادها بسقوط أو غيره، والعجلة طلب الشيء قبل وقته فهو بمنـــزلة من يأخذ الثمرة قبل إدراكها فالمبادرة وسط بين خلقين ذميمين الإضاعة والاستعجال ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش تمنع الوقار والحلم وتوجب وضع الأشياء في غير مواضعها وهي قرين الندامة كما أن الكسل قرين الفوات...

[الفرق بين الإخبار بالحال والشكوى]

والفرق بين الإخبار بالحال والشكوى: أن الإخبار بالحال يقصد به المخبر الاعتذار لأخيه أو تحذيره من الوقوع في مثل ما وقع فيه فيكون ناصحًا له أو يريد حمله على التصبر بالتأسي به كما يذكر عن الأحنف أنه شكا إليه رجل شكوى فقال يا ابن أخي: لقد ذهب ضوء عيني من كذا وكذا سنة فما أعلمت أحدًا ولعل هذا من قول النبي ﷺ «**بل أنا وارأساه**» لما قالت عائشة رضي الله عنها وارأساه أي الوجع القوي بي دونك فتأسي بي ولا تشتكي ويلوح فيه معنى آخر وهو أنها كانت أحب النساء إليه فأخبرها بما حصل منه في الوجع من الموافقة لها حتى في العضو بعينه وهذا غاية الاتحاد بين المتحابين. وقد قيل إن أولى البر أن تواسي عند السرور الذي واساك في الحزن. والشكوى الإخبار العادي عن القصد الصحيح بل مصدره السخط ولا يكون شكوى إلا إذا كانت لغير الله وأما الشكوى إليه فليست لعمري شكوى بل تضرع واستعطاف وتملق واسترحام كقول أيوب عليه السلام: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقول يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٤].

اللهم لك الحمد وإليك المشتكى.

وقول سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام: «**إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين**» فالشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر بوجه فإنه تعالى قال عن أيوب: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: ٤٤].

ولا التفات إلى غير هذا من ترهات القوم كقول بعضهم لما قال ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗا ﴾ [ص: ٤٤].

ولم يقل صبورًا وبعضهم إنما شكا حين ضعف لسانه عن الذكر فشكايته لضعف ضره عن الذكر لا لضر الألم وقال بعضهم: بل استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء.

وكأن هؤلاء رأوا أن الشكوى إلى الله تنافي الصبر وهذا من أقبح الغلط فإن المنافي للصبر شكواه لا الشكوى إليه فأحب ما إلى الله تعالى انكسار قلب عبده بين يديه وتذلُّله له وسماع تضرعه ودعائه وإظهار ضعفه وقلة صبره ولا يحب التجلد عليه انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

الآيات فاحذر كل الحذر من مثل أحوالهم وعليك بالتضرع والتمسكن وإظهار العجز والفاقة والذل والانكسار بين يديه فرحمته أقرب إلى هذا القلب من اليد للفم...

[الفرق بين إثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل]

والفرق بين إثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل: ما قاله الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدى أن التشبيه والتمثيل أن يقول يد كيدي وسمع كسمعي وبصر كبصري ونحو ذلك، وأما إذا قلت سمع وبصر ويد ووجه واستواء لا يماثل شيئًا من صفات المخلوقين بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف فأي تمثيل ههنا وأي تشبيه فمدار الحق الذي اتفقت عليه الرسل على أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، إثبات الصفات ونفي مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن أثبت له حقائق الأسماء والصفات ونفى مشابهة المخلوقات فقد هدي إلى صراط مستقيم....

[الفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب]

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب: أن تجريد التوحيد أن لا تعطي المخلوق شيئًا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يسجد له ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يوله له ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب إلى الله زلفى ولا يساوي برب العالمين في قول القائل ما شاء الله وشئت

وهذا منك ومن الله وأنا بالله وبك وأنا متوكل على الله وعليك والله لي في السماء وأنت لي في الأرض وهذا من صدقات الله وصدقاتك وأنا تائب إلى الله وإليك وأنا في حب الله وحبك ولا يستغيث به في حوائجه ومهماته ولا يرضيه بسخط الله ولا يحبه ويخافه ويرجوه كما يحب الله ويخافه ويرجوه فإذا نفى عن المخلوق خصائص الربوبية وأنزله منـــزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا لم يكن هذا نقصًا لذلك المخلوق كائنًا من كان ولا حطا له عن مرتبته ولو رغم المشركون، وقد صح عن سيد الخلق ﷺ من حديث ابن عباس عن عمر أنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله**» وقال: «**أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منـــزلتي ولا تتخذوا قبري عيدًا**»(١)، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»(٢)، وقال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد**»(٣)، وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال:« **أجعلتني لله ندًا**» وقال له رجل قد أذنب: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ «**عرف الحق لأهله**»....

من لم يقر بذلك كله كان له نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

[الفرق بين تجريد متابعة القوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها]

والفرق بين تجريد متابعة القوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها: أن تجريد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ كنز العمال (٧٩٦٩/٣)

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن زيد بن أسلم مرسلا ولفظه: اللهم لا تجعل قبري وثنًا يصلى إليه، فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - كنز العمال (٣٨٠٢/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧٢/٥) والدارمي (٢٩٥/٢) والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦٣). وابن حبان ١٩٩٨وإتحاف السادة المتقين (٥٧٤/٧) موضح أوهام الجمع والتفريق (٣٠٣/١) مشكل الآثار (٩٠/١).

المتابعة أن لا يقدم عَلى ما جاء به الرسول ﷺ قول أحد ولا رأيه كائنًا من كان، وما كان، بل ينظر في صحة الحديث أولاً فإذا صح نظر في معناه ثانيًا فإذا تبين له لم يعدل عنه ولو خالفه من بين المشرق والمغرب ومعاذ الله أن تتفق الأمة على ترك ما جاء به نبيها ﷺ بل لا بد أن يكون في الأمة من قال به ولو خفي عليك فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله في تركه بل اذهب إلى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل إليك علمه هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم ﷺ دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها لشبهة أنه أعلم بها منك فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك أيضًا فهلا وافقته إن كنت صادقًا فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقا ما امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا بها ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم...

[الفرق بين تقليد العالم في جميع ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه]

ومن هنا تبين الفرق بين تقليد العالم في جميع ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه: **فالأول:** يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة. والمستعين بإفهامهم يجعلهم بمنـــزلة الدليل إلى الدليل الأول فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة لم يبق لاستدلاله به معنى إذا شاهدها قال الشافعي رحمه الله: «أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد...».

ومن هنا أيضًا يتبين الفرق بين الحكم المنـــزل الواجب الاتباع والحكم المؤول الذي غايته أن يكون جائز الاتباع بأن الأول هو الذي أنـــزله الله على رسوله متلوًا أو غير متلو إذا صح وسلم من المعارضة وهو حكمه الذي ارتضاه لعباده ولا حكم له سواه.

وأن الثاني :أقوال العلماء المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فإن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله وحاشاهم من قول ذلك..

وقد صح عن رسول الله ﷺ النهي عنه في قوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنـــزلهم على حكم الله فلا تنـــزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا**» أخرجه الإمام أحمد في مسنده ومسلم[1] في صحيحه من حديث بريدة في حديث بل قالوا اجتهدنا رأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزم أحد منهم بقوله الأمة بل قال هذا رأي فمن جاء بخير منه قبلته. ولو كان هو عين حكم الله لما ساغ لأبي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه وكذا مالك لما استشاره الرشيد في أن يحمل الناس على ما في الموطأ فمنعه من ذلك وقال قد تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في البلاد وصار عند كل قوم غير ما عند الآخرين. وهذا الشافعي ينهى أصحابه عن تقليده ويوصيهم بترك قوله إذا جاء الحديث بخلافه وهذا الإمام أحمد ينكر على من كتب فتاويه ودونها ويقول لا تقلدني ولا تقلد فلانًا ولا فلانًا وخذ من حيث أخذوا...

[الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان]

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أن أولياء الله هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحل والعقد ويخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة ولا يتحيزون إلى فئة غير حزب الله ورسوله ولا يتخذون دينهم لهوًا ولعبًا ولا يستحبون سماع مؤذن الشيطان على سماع داعي القرآن ولا يؤثرون صحبة الإنسان على مرضاة الرحمن ولا المعازف على

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٣٥٧) ٣٢- كتاب الجهاد والسير. ٢- باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها. رقم الحديث في بابه (٣).

المعارف ولا المثالث والمثاني على السبع المثاني فلا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان إلا على فاقد البصيرة والإيمان وحاشا لله أن يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله المخالفون له إلى غيره أولياءه وما كانوا أولياءه ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤]، فإن اشتبه عليك أحد من الصنفين فاكشفه في ثلاثة مواطن في صلاته ومحبته للسنة وأهلها ودعوته إلى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة بتحكيم السنة. زنه بذلك ولا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء. وبهذا يعلم الفرق بين الحال الإيماني والحال الشيطاني...

فالأول: تميزه المتابعة للرسول ﷺ والإخلاص في العمل وتجريد التوحيد ونتيجته منفعة المسلمين في دينهم ودنياهم وهو إنما يتضح بالاستقامة على السنة والوقوف مع الأمر والنهي. **والحال الشيطاني:** شيئان إما شرك أو فجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهذا الحال يكون لعباد الأصنام والصلبان والنيران والشيطان فإن صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حللا يصطاد بها ضعفاء العقول والإيمان. لا إله إلا الله كم هلك بهؤلاء من الخلق ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

وكثير ممن ينسب إلى الإسلام ظاهرًا له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته للشيطان وقد يكون الرجل صادقًا ولكن يلتبس عليه الأمر لجهله فيكون حاله شيطانيًا مع زهده وعبادته وإخلاصه وقد حاكى هؤلاء وهؤلاء من ليس منهم بل متشبه بهم صاحب أحوال ومخاريق ووقع الناس في البلاء بسب عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة فوقعوا في جمع المتفرق والفرقان عزيز في هذا العالم وفي هذه الأعصار وهو نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الأمور وخيرها وشرها صالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع -ولا بد- في إشراك الشيطان، وهذا الباب من الفرقان مطول واللبيب يكتفي ببعض ذلك والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد ﷺ فرق بين الناس وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وسمي يوم بدر يوم الفرقان لأنه فرق، بين أولياء الله وأعدائه والهدي كله فرقان

والضلال أصله الجمع، جمع المشركون بين عبادة الأوثان وعبادة الرحمن وقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقها فما الذي أحل هذه وحرم هذه....

[كلام محي الدين بن عربي في فصوص الحكم]

وقال صاحب فصوصهم[(١)]:

ما الأمر إلا نسق واحد ما فيه من مدح ولا ذم

فهؤلاء جمعوا بين الذر والحصباء وسووا بين الصحيحة والجرباء وأصحاب البصائر أصحاب الفرقان وأعظم الناس فرقانا بين المشتبهات أعظمهم بصيرة والله الهادي.

[المسألة الثانية]

(في أن الروح محدثة أم قديمة وهل تقدم خلقها على خلق الجسد أولا)

أما كونها محدثة فأمر معلوم من الدين بالضرورة وقد أجمعت عليه الرسل وانطوى عليه عصر الصحابة والقرون الفاضلة من غير اختلاف. وممن حكى الإجماع محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف وكذا أبو محمد بن قتيبة قال في كتاب اللقط لما تكلم على الروح، النسم الأرواح وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة واشتد نكير الأئمة الكبار على من يدعي في روح عيسى -عليه السلام- أنها غير مخلوقة فكيف بروح غيره.....

---

(١) هو محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكية يذهب معظم الصوفية إلى رفعه إلى درجة المقربين ولست أميل إلى ذلك لأن الحكم عليه من خلال فصوصه هذه كفيل بالحكم عليه وتفصيلا فله في الاتحاد ما له من الأقوال. وقد حشد في الفتوحات المكية ما يؤكد عقيدته الباطلة. ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى القول بأن يكلوا الحكم عليه إلى الله وبما يرد عليهم قيل: «أظهروا لنا محاسن أخلاقكم والله أعلم بسرائركم» فقد أفسدوا اللسان العربي والكلام العربي بالذهاب إلى تأويل نصوصهم المحشوة بالكفر والإلحاد ولا يسيغ العقل والدين ذلك.

والدليل قوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

وهذا الخطاب لروحه وبدنه وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[(١)]. والمجندة لا تكون إلا مخلوقة وهذا الحديث رواه عن النبي ﷺ مع أبي هريرة عائشة أم المؤمنين وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وعمرو بن عبسة.

قلت: وعلق البخاري حديث عائشة في صحيحه بصيغة الجزم ووصله في [كتابه الأدب المفرد][(٢)] والإسماعيلي في [المستخرج] وأبو الشيخ في [كتاب الأمثال]

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٣١)
٤٥- كتاب البر والصلة والآداب.
٤٩- باب الأرواح جنود مجندة. رقم الحديث (١٥٩ - ٢٦٣٨).
وجاء في هامشه: الأرواح جنود مجندة. قال العلماء: معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة. وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه.
وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها.
وقيل: إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافقه في شيمه ألفه ومن باعده نافره وخالفه.

(٢) الأدب المفرد للبخاري ط عالم الكتب ص ٣٠٠ رقم ٩٠٣. ورواه أيضًا البخاري عن أبي هريرة رقم (٩٠٤).

ولفظ حديث ابن عمر عنده [فما كان في الله ائتلف وما كان في غير الله اختلف] ولفظ "ابن مسعود فإذا التقت تشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وفي بعض ألفاظ أبي هريرة يطوف بالليل فما تعارف .... الحديث...

وأما حديث علي فرواه الطبراني في "الأوسط" في ترجمة محمد بن الفضل السقطي وأبو عبد الله بن منده في "كتاب الروح" عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب يا أبا الحسن: ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم قال علي وما هن؟ قال الرجل يحب الرجل ولم يرمنه خيرًا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرًا فقال علي ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» قال عمر واحدة، والرجل يحدث الحديث إذ نسيه إذ ذكره فقال علي ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء**»[١]. وفي رواية « **إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فذكر** » فقال عمر اثنتان وقال: الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد ولا أمة ينام فيستثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالتي لا تستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والتي تستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب**»[٢] فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت وكذا أخرج الطبراني حديث سلمان كحديث أبي هريرة والله أعلم...

[افتقار الروح إلى الهداية]

والروح **فقيرة إلى الهداية**: وغيرها والافتقار من صفة المخلوق المربوب المملوك وثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين ﷺ أن أهل اليمن

---

(١) كنز العمال (١/١٢٠٩، ١٢٢٧) (ح١٣/٣٦٥١٢). وعزاه السيوطي في كنز العمال (١/٢٤١) رقم (١٢٠٩) إلى الطيالسي عن علي أخرجه الطيالسي وقال: تفرد به عبد الرحمن بن مغراء وأبو نعيم في حلية الأولياء والديلمي في مسند الفردوس.

(٢) كنز العمال (١٣/٣٦٥١٢).

قالوا: يا رسول الله جئناك للتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر فقال: **«كان الله ولم يكن شيء غيره»** إلى أمثال هذا من النصوص وكذا النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم أرواح مستغنية عن أجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل خلق الإنسان وروحه فإذا كان الملك الذي ينفخ في الآدمي الروح مخلوقًا كان خلق الروح التي هي بنفخه أولى والروح توصف بالقبض والإمساك والإرسال والوفاة وغير ذلك من شؤون المخلوق المربوب....

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلنا يا رسول الله لو عرست بنا فقال: **إني أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة** فقال بلال أنا يا رسول الله: فعرس القوم فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: **يا بلال أين ما قلت لنا؟** فقال والذي بعثك بالحق ما ألقيت عليَّ نومة مثلها فقال رسول الله ﷺ **إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء**»(١).

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم وسنن النسائي الكبرى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: **«اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وأن أمتها فاغفر لها؛** فقال له رجل سمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر رسول الله ﷺ»(٢).

---

(١) ذكره البخاري (١/٢١٤)

١٣- كتاب مواقيت الصلاة (ط دار ابن كثير واليمامة).

٣٤- باب الأذان بعد ذهاب الوقت رقم (٥٧٠) وكرره برقم (٧٠٣٣).

وعرست من التعريس وهو النـــزول في السفر آخر الليل للاستراحة والنوم. وبقيته كما في البخاري يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة فتوضأ. فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى.

ومعنى ابيضت صفت واشتد بياضها وهو كناية عن تأخيرهم عن طلوعها كثيرا.

(٢) كنز العمال (١٥/٣٣٧) رقم (٤١٢٩٢). وعزاه السيوطي. للإمام مسلم كتاب الذكر رقم (٢٧٢). عن ابن عمر

[النفوس محل القبض والبسط والغم والسرور]

والنفوس محل القبض والبسط والغم والسرور: وهذه الأشياء حوادث والقديم لا يكون محلا للحوادث وشواهد الفقر والحاجة والضرورة أعدل شهود على أنها مخلوقة وأنه ليس لها من ذاتها إلا العدم فهي لا تملك لنفسها ولا غيرها ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا لا تستطيع أن تأخذ من الخير إلا ما أعطاها ولا تتقي من الشر إلا ما وقاها ولا تعلم إلا ما علمها الذي خلقها فسواها فألهمها فجورها وتقواها....

فإن قيل: الروح من أمر الله فكيف يكون أمرًا محدثًا وقد قال تعالى في آدم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩].

وفي عيسى ﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

فأضافها إليه كما أضاف إليه علمه وقدرته....

قيل: ليست الإضافة فيها كإضافة العلم بل كما أضاف إلى نفسه سائر خلقه قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

أي من أمره أي إنشائه وإيجاده بقوله: كن.

وقال تعالى: عباد الله. ويا عبادي وملائكته وكتبه ورسله ونحو ذلك بأن عيسى من روحه أي من أمره أي بقوله كن فكان الروح فيه وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:١٧].

فأضاف الروح وهو هنا جبريل إلى نفسه وهو مخلوق مربوب رسول من عند الله وأما كون الروح من أمر الله فمعلوم قطعًا أنه ليس المراد بالأمر هنا الطلب الذي هو أحد أنواع الكلام فيكون المراد أن الروح كلامه وإنما المراد بالأمر هنا المأمور أي أنها مخلوقة بأمره بقوله كن كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] وكذا ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠].

ونحو ذلك كل ذلك بالتعبير بالمصدر عن المفعول...

وسر هذا المحل أنَّ المضاف إليه سبحانه نوعان **أحدهما:** صفات لا تقوم

بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام فهذه إضافة الصفة إلى الموصوف **والثاني**: أعيان تقوم بأنفسها كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه وسبب الإضافة التشريف كبيت الله، وإن سائر البيوت ملكه وكذا ما في معناه.....

فإن قيل ما معنى ونفخت فيه من روحي هل النفخ بمباشرته وحينئذ فما معناه؟قيل يحتمل أن يكون بأمره للملك كما قال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١].

أضاف النفخ إليه وإنما النافخ الملك بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٧-٢٢].

قلت: وقد رأيت أن ألخص لك كلام حجة الإسلام في [المضنون به على غير أهله] في التسوية والنفخ لتعلم أنه لا يرد هنا إشكال قال التسوية فعل المحل القابل للروح وهو الطين في حق آدم -عليه السلام- والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج فإنه كما لا تقبل النار يابسًا محضًا كالتراب والحجر ولا رطبًا محضًا كالماء والبخار وإنما تتعلق بمركب خاص لا كل فإن الطين مركب ولا تشتعل فيه إلا بعد تركيب خاص وذلك بأن يتردد الطين الكثيف في أطوار الخليقة حتى يصير نباتًا لطيفًا فتتشبث به النار، وكذلك الطين بعد أن ينشئه الله خلقًا بعد خلق في أطوار متعاقبة يصير نباتًا فيأكله الآدمي فيصير دمًا فتنـــزع منه القوة المركبة في كل حيوان من الدم صفوه الأقرب إلى الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها مني المرأة فيزداد اعتدالا ثم ينضجها الرحم بحرارته فتزداد تناسبًا حتى تنتهي في الصفاء والاعتدال نسبة الأجزاء إلى الغاية فتستعد لقبول الروح كالفتيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول النار فإذا استعدت النطفة لذلك نفخ فيها الروح والنفخ عبارة عما تشتعل من الروح في فتيلة النطفة وللنفخ صورة نتيجة فصورته إخراج الهواء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ..

والنتيجة اشتعال المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ الذي هو سبب محال في حق الله تعالى والمسبب غير محال وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذي يحصل المسبب مجازًا وإن لم يكن الفعل المستعار على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

والغضب عبارة عن نوع تغير في الغضبان يتأذى به ونتيجته إهلاك المغضوب عليه وإيلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام فكذا عبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وإن لم يكن على صورة النفخ والسبب الذي اشتعل به نور الروح في فتيلة النطفة هو صفة في الفاعل وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذي هو ينبوع الوجود على ما له قبول الوجود ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها قبض نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو المتلونات دون الهوى الذي لا لون له وأما صفة القابل فالاعتدال الحاصل بالتسوية ومثال صفة القابل صقال الحديد فإن المرآة التي ستر الصدأ وجهها لا تقبل الصورة وإن حاذتها خلو حاذتها الصورة واشتغل الصقال بصقلها فكلما حصل الصقال حدثت لها الصورة من ذي الصورة المحاذية فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة حصل فيها الروح من ذي الروح من غير تغير الخالق بل إنما حدثت الروح الآن لا قبله بتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله كما أن الصورة فاضت من ذي الصورة على المرآة في حكم الوهم من غير تغير حدث في ذي الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل لا لأن الصورة ليست مهيأة لأن تنطبع في المرآة بل لأن المرآة لم تكن قابلة، ولا ينبغي أن يفهم من الفيض هنا ما يفهم من فيض الماء من الإناء على اليد بل ما يفهم من فيض نور الشمس على الجدار ولقد غلط قوم وظنوا أنه ينفصل من جرم الشمس شعاع ويتصل بالجدار وينبسط عليه وذلك خطأ بل النور سبب لحدوث شيء يناسبه في النورية وإن كان أضعف منه في الجدار فهو كفيضان الصورة على المرآة من ذي الصورة لا بمعنى انفصال جزء من صورة الإنسان اتصل بالمرآة بل على معنى أن الصورة سبب لحدوث صورة تماثلها في المرآة القابلة للمحاذاة وليس فيها انفصال واتصال إلا السببية المجردة فكذا الجود

الإلهي سبب لحدوث أنوار الوجود في كل ماهية قابلة للوجود فيعبر عنه بالفيض، وتكون الإضافة حينئذ في قوله تعالى من روحي كقول الشمس لو نطقت أفضت على الأرض من نوري فيكون صدقا ويكون معنى الإضافة أن النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وإن كان في غاية الضعف بالإضافة إليه....انتهى....

فقد تبين لك أنه ليس له نسبة من ذات الله تعالى إلا ما تقدم من كونه أفاض عليه من جوده هذا النور وأما تحليه بصفات الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام فلا يوهم تشبيها لأنه مع كون صفاته هذه متلاشية النسبة إلى صفات الباري سبحانه مسلوب عنه أخص وصف لله تعالى وهو كونه قيومًا أي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به وهو موجود بذاته لا بغيره وكل ما سواه موجود به لا بذاته ليس للأشياء من ذواتها إلا العدم وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى ذاتي وهذه الصفة وهي القيومية ليست إلا لله تعالى....

وأما تقدم خلقها على الجسد ففيه قولان وممن ذهب إلى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي(١) وأبو محمد بن حزم وحكاه إجماعًا واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ [الأعراف: ١١].

وثم للترتيب والمهلة فتضمنت الآية أن خلقها مقدم على أمر الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم أن أبداننا حادثة بعد ذلك وبقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ

(١) محمد بن نصر، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله المروزي الفقيه ولد سنة اثنتين ومائتين .... قال الحاكم: إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، له كتاب [الصلاة] وكتاب [القسامة] وغير ذلك....

مات في محرم سنة أربع وتسعين ومائتين بسمرقند - طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٨٤) ترجمة رقم (٦٥١).

له ترجمة من المراجع الآتية:

١- تاريخ بغداد (٣/٣١٥).

٢- تذكرة الحفاظ (٢/٦٥٠).

٣- تهذيب الأسماء واللغات (٢/٩٢).

٤- تهذيب التهذيب (٩/٤٨٩).

بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهذا إنما كان للأرواح ولم تكن الأبدان موجودة، وفي الموطأ قال الحاكم إنه على شرط مسلم عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم عن يسار الجهني أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: «**خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون** فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: **إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**»(١) وللحاكم وقال أيضًا على شرط مسلم من طريق هشام بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا :«**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب؟ قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب: من هذا؟ ابنك داود يكون في آخر الأمم قال كم جعلت له من العمر: قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري أربعين سنة فقال الله تعالى إذًا يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته وخطئ**

---

(١) عزا في تفسير هذه الآية في الدر المنثور (١٤٢/٣) السيوطي وأخرج مالك في الموطأ وأحمد وعبد بن حميد (ط دار المعرفة) والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في الأسماء والصفات عن مسلم بن يسار الجهني.

فخطئت ذريته» ورواه الترمذي وقال حسن صحيح والإمام أحمد من حديث ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أول من جحد آدم**»(١) وزاد محمد بن سعد «**ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة** » وفي صحيح الحاكم أيضًا من طريق أبي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الآية قال: **جمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحًا وصورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئًا فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك، فقال: رب لو سويت بين عبادك فقال: إني أحب أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله**: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وهو قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

وهو قوله: هذا نذير من النذر الأولى وقوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

---

(١) قال الحاكم في المستدرك (٢/٥٨٦) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الترمذي رقم (٣٠٧٦) عن أبي هريرة عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/١٤٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه.

وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا فدخل من فيها وهذا إسناد صحيح. قلت: كيف يكون صحيحًا والربيع له أوهام وأبو العالية كثير الإرسال؟ وقد روى هذا بصيغة عن وقال عبد الله بن الإمام أحمد في زيادات المسند: حدثني محمد بن يعقوب الرباني قال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبي بن كعب فذكره بنحوه انتهى...

وقال إسحاق بن راهويه أخبرنا بقية بن الوليد أخبرني الزبيدي محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي قتادة البصري عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله «أتبتدأ الأعمال أم قد مضى القضاء؟ فقال:« **إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار**»[1].

أخبرنا النضر أنبأنا أبو معشر عن سعيد المقبري ونافع مولى الزبير عن أبي هريرة قال: «**لما أراد الله أن يخلق آدم**» الحديث فقال: «**يا آدم أي يدي أحب إليك أن أريك ذريتك فيها فقال يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين، فبسط يمينه وإذا فيه ذريته كلهم وما هو خالق إلى يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والأنبياء على هيئاتهم فقال ألا أعفيتهم كلهم؟ قال إني أحببت أن أشكر**» وذكر الحديث.

قلت: وقال الأستاذ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني في "كتاب المائتين" أخبرنا جدي يعني أبا حامد أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر الصابوني عن جد والدي يعني: أبا أمه الشيخ أبا عبد الله محمد بن عدي بن خمرويه الصابوني أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس**

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن هشام بن حكيم أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال وذكره.

فقال الحمد لله حمدًا لله بإذن الله فقال له ربه -عز وجل- يرحمك ربك يا آدم ثم قال اذهب إلى أولئك الملأ من الملائكة جلوس فقل: السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قال ربه ويداه مقبوضتان يا آدم اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته وإذا كل إنسان عمره مكتوب فإذا لآدم ألف سنة فإذا رجال منهم عليهم النور فيهم رجل أضوأهم أو أضوئهم لم يكتب له إلا أربعون سنة قال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال يا رب زد في عمره قال ذاك الذي كتبت له قال فإني أنقص من عمري ستين سنة قال أنت وذاك ثم أسكن آدم الجنة ما شاء الله ثم أهبطه منها وكان يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال عجلت أليس قد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة قال ما فعلت فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود»(١).

قال الأستاذ: هذه قصة مشهورة حسنة وإسناده صحيح ومتنه غريب انتهى.

هكذا نقلته من خط شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر وأخرجه أبو يعلى الموصلي في الجزء الحادي والثلاثين من مسنده، حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عمرو بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة بنحوه وأتم منه وجعل الذي لداود ستين والذي وهبه له آدم أربعين كما هو....

وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا الليث بن سعد حدثني ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال: «خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال اختر يا آدم فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين فبسطها فإذا فيها ذريته فقال: من هؤلاء؟ قال: من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة» قال

(١) عزا هذا الحديث السيوطي في الدر المنثور (٣/١٤٢) لابن أبي حاتم وابن منده وأبو الشيخ في العظمة وابن عساكر وعزاه السيوطي في كنز العمال (٦/١٢٦) رقم (١٥١٢٣) إلى الترمذي كتاب تفسير القرآن باب رقم (٥٩) رقم (٣٣٦٨) وقال حسن غريب والحاكم (١/٦٤) عن أبي هريرة.

وأخبرنا إسحاق أخبرنا جعفر بن عون حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة**»(١) وقال إسحاق: أخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال: أخذهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس....

وأسند عن ابن عباس أن ذلك كان بنعمان قال: «هذا الذي وراء عرفة».

وعنه قال: «**إن الله ضرب منكبه الأيمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء للجنة ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء للنار ثم أخذ عهده على الإيمان به والمعرفة له ولأمره والتصديق به وبأمره من بني آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم وآمنوا وصدقوا وعرفوا(٢) وأقروا**». وذكر محمد بن نصر من تفسير السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. «لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثلا اللؤلؤ وكيفية الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال

---

(١) عزاه السيوطي في كنز العمال (١٤٢/٢) لابن أبي حاتم وابن منده وأبو الشيخ في العظمة وابن عساكر عن أبي هريرة وانظر الدر المنثور (١٤١/٣).

(٢) في الدر المنثور للسيوطي (١٤١/٣) أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في الآية قال: إن الله ضرب بيمينه على منكب آدم فخرج منه مثل اللؤلؤ في كفه فقال هذه للجنة وضرب بيده الأخرى على منكبه الشمال فخرج منه سواد مثل الحمم فقال هذا ذرء النار قال وهي هذه الآية ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وبقية الخبر كما في تفسير الطبري (٢٣٨/١٣) ط دار المعارف بمصر "وأقروا".

هو والملائكة ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ولا يشرك إلا وهو يقول إنا وجدنا آباءنا على أمة فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وقوله ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣] وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. قال يعني يوم أخذ عليهم الميثاق....»[١].

وأسند من عند إسحاق عن محمد بن كعب قال: «أقر له بالإيمان والمعرفة الأرواح قبل أن يخلق أجسادها» وعن عطاء قال: «أخرجوا من صلب آدم حين أخذ منهم الميثاق ثم ردوا في صلبه».

وقال: أخبرنا أبو عامر العقدي وأبو نعيم الملائي قالا حدثنا هشام بن سعد عن يحيى- وليس بابن سعيد- قال: قلت لابن المسيب ما تقول في العزل؟ قال: إن شئت حدثتك حديثًا هو حق «**إن الله تعالى لما خلق آدم أراه كرامة لم يرها أحد من خلقه أراه كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة فمن حدثك أنه يزيد فيهم شيئًا أو ينقص منهم فقد كذب ولو كان لي سبعون ما باليت...**».

وفي تفسير ابن عيينة عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣][٢]. فاليوم أخذ الميثاق قال إسحاق قد كانوا في ذلك الوقت مقرين وذلك أن الله تعالى أخبر أنه قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والله لا يخاطب إلا من يفهم عنه

---

(١) انظر هذا الحديث في الدر المنثور (١٤١/٣). وعزاه السيوطي إلى ابن عبد البر في التمهيد من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾.

(٢) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في الآية قال: كل آدمي أقر على نفسه بأن الله ربي، وأنا عبده فمن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها، ومن أخلص لله العبودية فهو الذي أسلم طوعا. الدر المنثور (٤٨/٣) ط دار المعرفة بيروت – لبنان.

المخاطبة ولا يجيب إلا من فهم السؤال فإجابتهم إياه بقولهم دليل على أن قد فهموا عن الله وعقلوا عنه استشهاده إياه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأجابوه من بعد عقل منهم للمخاطبة وفهم لها بأن قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ فأقروا له بالربوبية قال: وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد خاطبهم....

وقال ابن منده أخبرنا محمد بن صابر البخاري حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهروي حدثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصي أخبرنا عتبة بن السكن أخبرنا أرطاة بن المنذر أخبرنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حليس عن عمرو ابن عبسة مرفوعًا «**إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» واحتج الآخرون بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] وهذا خطاب للإنسان الذي هو روح وبدن فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين وأصرح منه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وهذا صريح في أن جملة النوع الإنساني مخلوقة بعد أصله ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة عاقلة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم بعد اتصالها بالبدن شاعرة به ولو بوجه ما ومن الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهي بين عامة الأرواح ثم تنتقل إلى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما وإذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها قبل الذي كان في البدن على التفصيل مع أنها اكتسبت بالبدن أمورًا عائقة عن كثير من كمالها فلأن تشعر بحالها الأول وهي غير معوقة هناك بطريق الأولى...

وأيضًا فعدم شعورها بالعهد يفوت فائدة الشهادة لأن أحدًا لا يشهد إلا بما يذكر...

فإن قيل تعلقها بالبدن واشتغالها بتدبيره منعها من شعورها بحالها الأول وأنساها ذلك كما كان أحوال الإنسان الحالية تنسيه أغلب أحواله الماضية قيل أفيمنعها ذلك عن شعور ما ولو على أدنى الوجوه....

وأيضًا كونها تكون عاقلة عالمة ناطقة قبل البدن فلما تعلقت به سلبت ذلك كله فكانت كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

ثم حدث لها العلم والنطق شيئًا فشيئًا من أعجب العجب...

تعقيب على الأحاديث

وأما ما احتجوا به من الآثار فإنما تدل على إثبات القدر السابق وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وأما مخاطبتهم واستنطاقهم وإقرارهم بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية فالحديث المسند الدال عليه ليس بحجة وهو حديث مالك فقد قال أبو عمر بن عبد البر هو حديث منقطع، مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة وهو أيضًا مع الإسناد لا تقوم به حجة ومسلم بن يسار هذا مجهول قيل إنه مدني وليس بمسلم بن يسار البصري قال ابن أبي خيثمة قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن أنيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف ثم ساقه من طريق النسائي أخبرنا محمد بن وهب أخبرنا محمد بن سلمة حدثني أبو عبد الرحيم حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ثم قال: وزيادة من زاد نعيمًا ليست بحجة لأن الذي لم يذكره أحفظ وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعًا غير معروفين بحمل العلم انتهى...

وأما حديث أبي صالح عن أبي هريرة فإنما يدل على استخراج الذرية وتمثيلهم في صورة الذر وكان منهم حينئذ المشرق والمظلم.

قلت: وأما حديث هشام بن حكيم: وأما بقية الآثار عن السلف فمن صرح منهم بأخذ العهد فإنما هو بناء منه على فهم الآية وهي لم تدل على هذا، وحديث أبي بن كعب لو صح كانت غايته أن يكون من قوله ولم يصح عنه وهذا الإسناد تروى به أشياء منكرة جدًا وأبو جعفر الرازي وثق وضعف قال علي بن المديني كان

ثقة وقال أيضًا كان يخلط وقال ابن معين هو ثقة وقال أيضًا يكتب حديثه إلا أنه يخطئ وقال الإمام أحمد ليس بقوي في الحديث وقال الفلاس سيئ الحفظ وقال أبو زرعة يهم كثيرًا وقال ابن حبان تفرد بالمناكير عن المشاهير هذا مع أن الآثار ليست بنص في الدلالة على خلق الأرواح قبل الأجساد....

قال أبو إسحاق: جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر التي أخرجها فهما تعقل به كما قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقد سخر مع داود الجبال يسبحن معه والطير...

وقال ابن الأنباري: مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل حين خوطب وللبعير حين سجد والنخلة حين سمعت وانقادت حين دعيت أي وللجذع حين حن وللحجر حين كان يسلم على النبي ﷺ كما مر به وقال الحسن بن يحيى الجرجاني «ليس بين الآية إذ فيها من بني آدم وبين الخبر إذ فيه مسح ظهر آدم اختلاف فإن مسحه لظهره واستخراجه لذريته منه مسح لظهور ذريته واستخراج لذرياتهم من ظهورهم للعلم بأن جميع ذرية آدم لم يكونوا من صلبه لكن لما كان البطن الأول من صلبه ثم الثاني من صلب الأول ثم الثالث من صلب الثاني جاز أن ينسب ذلك كله إلى ظهر آدم لأنهم فرعه وهو أصلهم على أن كثيرًا من الناس نازع في كون المذكور في الآثار هو المراد بالآية وقال إنما المعنى أنه أخرج ذرياتهم من ظهورهم بالولادة وأنشأهم شيئًا فشيئًا بعد أن كانوا نطفًا في الأصلاب وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم بما أظهر لهم من الآيات الموجبة للعلم فلما دعاهم إلى التصديق بذلك كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته كما قال شاهدين على أنفسهم بالكفر يريد بمنزلة الشاهدين ونحو ذلك من التأويل...».

قال الجرجاني ونحو ما روي عن النبي ﷺ في الآية وما ذهب إليه أهل العلم من السلف الصالح أميل له وله أقبل وبه آنس والله ولي التوفيق....

وأما حديث عمرو بن عبسة في خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فلا يصح إسناده ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطني متروك.

قلت: وقال البيهقي أنه منسوب إلى الوضع والله أعلم. وأرطاة بن المنذر قال ابن عدي بعض أحاديثه غلط.

قلت: وقال شيخنا إنه ثقة وفيه أيضًا عطاء بن عجلان أطلق عليه ابن معين والفلاس وغيرهما الكذب.... والله الموفق.

الفصل الرابع

١- في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده.

٢- في أن الروح هل تعاد للميت ومتى؟

٣- أين مستقر الأرواح؟ ما بين الموت والحياة. ومتى تزار القبور؟

٤- هل الأرواح لها إدراك بعد الموت أم لا؟

٥- هل الأرواح تتعارف وهل تتشكل بأشكال بدنها؟

[المسألة الثالثة]

في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده؟فقالت طائفة تموت وقالت أخرى لا، والصواب أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقة لجسدها فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى وإن أريد أنها تعدم فلا، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب كما دلت عليه أحاديث النعيم والعذاب وبهذا يجاب عن مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وسيأتي له مزيد بيان، وعن قولهم الملائكة تموت مع كونها أرواحًا مجردة فالنفوس البشرية أولى بالموت وحياة الشهداء ثابتة بالنص ورزقهم وفرحهم واستبشارهم...

وأما قوله تعالى عن أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. فبينت معناه آية البقرة.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فأطلق على ما قبل نفخ الروح موتًا وهي الموتة الأولى....

وأما ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فصعق الأحياء بالموت وصعق الأموات بالغشي بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح «**فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله** » فسمى القيام من الصعقة إفاقة.

قلت: قال البيهقي: عن الأنبياء فيما نقله ابن الحسين المراغي في "تاريخ المدينة الشريفة" فهم أحياء عند ربهم يرزقون، كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، فيمن صعق ثم لا يكون ذلك موتًا في جميع معانيه، إلا في ذهاب الاستشعار؛ فإن كان موسى ممن استثنى الله بقوله: «إلا من شاء الله»، فإنه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة، فيحاسبه بصعقة يوم الطور. ويقال إن الشهداء ممن استثنى الله....

عود الروح إلى الجسد.

قال السبكي: وعود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا

عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أو حيا بدونها وهي حيث شاء الله فإن ملازمة ا لحياة للروح أمر عادي لا عقلي.

قلت: وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيا فإذا فارقته مات الجسد فإذا رجعت إليه حيي الجسد، انتهى.

قال ابن الحسين: فهذا يعني أن البدن يصير بها حيًا كحاله في الدنيا مما يجوزه العقل فإن صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًا، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها، كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى قال ابن الحسين انتهى ملخصًا.

فالشهداء أحياء حقيقة عند جمهور العلماء وهل ذلك للروح فقط أو الجسد معها بمعنى عدم البلى له فيه قولان وإذا ثبتت الحياة للشهيد ثبتت للنبي بطريق الأولى وقد قال صاحب التلخيص من أصحابنا أن ماله عليه الصلاة والسلام بعد موته قائم على نفقته وملكه.

قال السبكي: ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطًا بالموت المستمر وإلا فالحياة الثانية حياة أخروية ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد وهي ثابتة الروح بلاإشكال والجسد قد ثبت أن أجساد الأنبياء لا تبلى....

وقد روى عن أبي بكر الصديق ﵁ قال: «لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيًا ولا ميتًا...».

وعن عائشة ﵂ كانت تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي ﷺ فترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله ﷺ قالوا وما عمل علي بن طالب ﵁ مصراعي داره إلا بالمناصع توقيًا لذلك كما نقله ابن زبالة ويحيى والله أعلم، وسيأتي في أواخر المسألة الخامسة عنها رضي الله عنها أنها كانت تستتر

بعد موت عمر رضي الله عنه.

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

قلت: وأنت إذا تأملت معنى موت الجسد اتضح لك ما صوبه المصنف في الروح فإن موته إنما هو نزع الروح منه لا أنه يعدم بعد وجوده لأنه إما أن يبقى كأجساد الأنبياء أو من يكرمه الله من الشهداء وغيرهم أو يصير رفاتًا وإما أنه يصير لا شيء فلا قال القاضي عضد الدين في حشر الأجساد من كتابه المواقف وشارحه السيد الجرجاني أجمع أهل الملل والشرائع عن آخرهم على جوازه ووقوعه أما الجواز فلأن جمع الأجزاء على ما كانت عليه وإعادة التأليف المخصوص فيها أمر ممكن لذاته كما مر، وذلك لأن الأجزاء المتفرقة المختلطة بغيرها قابلة للجمع بلا ريبة....

ثم قال: تذييل، هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف الحق أنه لم يثبت ذلك ولا جزم فيه نفيًا ولا إثباتًا لعدم الدليل على شيء من الطرفين وما يحتج به على الإعدام من قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ضعيف في الدلالة فإن التفريق هلاك كالإعدام فإن هلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف الذي به تصلح الأجزاء لأفعالهم وتتم منافعها والتفريق كذلك، أي زوال التأليف والتفريق خروج الشيء عن صفاته المطلوبة منه فيكون هلاكا ومثله يسمى فناء عرفا فلا يتم الاستدلال بقوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، على الإعدام أيضًا والله أعلم.

[المسألة الرابعة]

في أن الروح هل تعاد إلى الميت ومتى تعاد:

والجواب: أنها تعاد إليه عند جمهور أهل السنة والحديث لما رواه الإمام أحمد قال المنذر بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح وأبو داود الطيالسي والسجستاني والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحه من طريق حماد بن سلمة عن يونس بن حبان عن المنهال بن عمرو عن زادان عن البراء بن عازب.

قلت: والذي رأيته عن أبي داود من غير طريق حماد فقال الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن المنهال وحدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء....

وقال السجستاني: حدثنا عثمان بن أبي شبية حدثنا جرير وحدثنا هناد بن السري أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال، وحدثنا هناد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا الأعمش أخبرنا المنهال عن زادان عن البراء بن عازب وقد أدخلت منهما ألفاظًا في رواية حماد قال البراء قال: كنا في جنازة رجل من الأنصار في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وقع وهو يلحد له وفي يده عود ينكت به في الأرض فجعل يرفع بصره ينظر إلى السماء ويخفض إلى الأرض فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات**»[1]، وفي رواية السجستاني «**فقال أستعيذ بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه على مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء وإن كنتم ترونه غير ذلك فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط فذلك قوله تعالى:** ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]».

ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها ولا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة » وقال الطيالسي« **فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا**

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١/٢٩٣، ٤/٢٩٥، ٦/٢٠٠- ٢٠١) وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٣٧) ذكره مطولا والحاكم (١/٣٧٩) وحلية الأولياء (٩/٥٦) وكنز العمال (٣٩٧٧) وعزاه السيوطي لابن جرير.

فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرد إلى الأرض فتعاد روحه في جسده وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله فيقولان وما علمك به فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت..(١).

وقال الطيالسي فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقته فذلك قول الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ .[إبراهيم :٢٧].

• «فينادي مناد من السماء إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة واكسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة.» وفي رواية الطيالسي «وأروه منـــزله منها فيلبس من الجنة ويفرش منها ويرى منـــزله منها فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مدَّ بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات لهم فيها نعيم مقيم هذا يومك الذي كنت توعد فيقول بشرك الله بالخير من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله عز وجل بطيئًا عن معصيته فجزاك الله خيرًا فيقول يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء

---

(١) عزا هذا الحديث السيوطي في الدر المنثور (٤/٧٨) إلى الطيالسي وابن أبي شيبة في المصنف وأحمد بن حنبل وهناد بن السري في الزهد وعبد بن حميد وأبو داود وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر.

ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه فتتفرق في جسده فينتزعها تقطع معها العروق والعصب كما ينــــزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يدعوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها ولا يمرون بها على ملأ من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (١) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلي ردوه إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيطرح روحه طرحًا ثم قرأ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فلا يهتدي لاسمه فيقال محمد فيقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك فيقال لا دريت فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه في النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بعذاب الله وسخطه وفي رواية أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر وفي رواية فيقول بشرك الله بالشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصيته فجزاك الله شرا فيقول رب لا تقم الساعة...

وعند السجستاني وأحمد ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرذبة من حديد لو

(١) [سورة الأعراف: ٤٠]

ضرب بها جبل لصار ترابًا فيضربه بها ضربة يسمعه ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا ثم تعاد فيه الروح وعند الطيالسي وأحمد فيضرب ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين..

وقدح في هذا الحديث أبو محمد بن حزم بأنه غير صحيح لأنه تفرد به زادان وتفرد بزيادة [رد الأرواح في القبور إلى الأجساد] المنهال بن عمرو قال وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة: ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الإسلام وهذا من مجازفته..

والحديث صحيح لا شك فيه مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها ثم رجوعها إلى القبور. وزادان من الثقات وروى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه وقال يحيى بن معين ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه هو ثقة لا يسأل مثل هؤلاء وقال ابن عدي أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة. **قلت:** وقال الحافظ عبد العظيم المنذري في -مختصر سنن أبي داود- وأخرجه النسائي وابن ماجه مختصرًا في إسناده المنهال بن عمرو وقد أخرج له البخاري في صحيحه حديثًا واحدًا وقال يحيى بن معين ثقة وقال الإمام أحمد تركه شعبة على عمد وغمزه يحيى بن سعيد وحكى عن شبعة أنه تركه وقال ابن عدي والمنهال بن عمرو هو صاحب حديث القبر الحديث الطويل رواه عن زاذان عن البراء ورواه عن منهال جماعة. وقال أبو موسى الأصبهاني إنه حديث حسن مشهور بالمنهال عن زاذان وللمنهال حديث واحد في البخاري حسب ولزاذان في كتاب مسلم حديثان وقال في الترغيب والترهيب نحو هذا وزاد ورواه البيهقي من طريق المنهال بنحو رواية أحمد ثم قال وهذا حديث صحيح الإسناد، انتهى على أنه لم ينفرد به بل رواه عن البراء أيضًا عدي بن ثابت ومجاهد بن جبير ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد جمع الدارقطني طرقه في جزء مفرد.

قلت وأورده البغوي في تفسير[1] قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

(١) تفسير البغوي : (٣٤١٣ —٣٥) ط دار المعرفة.

ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن قال:« **فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان الثانية من ربك وما دينك ومن نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي**» فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

انتهى، وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده في "كتاب الروح والنفس" أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف أخبرنا محمد بن إسحاق الصفار أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما لم يلحد فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر وعلى رؤوسنا الطير فأرم قليلا - والإرمام السكوت - فلما رفع رأسه قال:« **إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى رحمة من الله ورضوان فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من السقاء فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل من في السماء والأرض إلا الثقلين ثم يصعد به إلى السماء فيفتح له السماء ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش مقربو كل سماء فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عليين ويقول الرب عز وجل: ردوا عبدي إلى مضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما وفي رواية ويلحفان الأرض بشفاههما فيجلسانه ثم يقال له: يا هذا من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له صدقت ثم يقال**

له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له صدقت، ثم يفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول جزاك الله خيرًا فوالله ما علمت إن كنت لسريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصية الله فيقول وأنت فجزاك الله خيرًا فمن أنت فقال أنا عملك الصالح ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده ومنـــزله منهاحتى تقوم الساعة وإن الكافر إذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزل عليه من السماء ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من النار فيجلسون منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى غضب الله وسخطه فتتفرق روحه في جسده كراهية أن يخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من الصوف المبلول، فإذا خرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والأرض إلا الثقلين ثم يصعد به إلى السماء فتغلق دونه فيقول ردوا عبدي إلي مضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى فترد روحه إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يبتدران بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما وفي رواية ويلحفان الأرض بشفاههما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان له يا هذا من ربك فيقول لا أدري فينادي من جانب القبر لا دريت ولا تليت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل وفي وراية لم يقلوها يشتعل منها قبره نارًا ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول جزاك الله شرًا فوالله ما علمت أن كنت لبطيئًا عن طاعة الله سريعًا في معصيته فيقول ومن أنت فيقول أنا عملك الخبيث ثم يفتح له بابًا إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة» رواه الإمام أحمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن أبي النضر ثم ساقه ابن منده من طريق محمد بن مسلمة عن خصيف الجزري عن مجاهد عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة رجل من الأنصار ومعنا رسول الله ﷺ فانتهينا إلى القبر ولما لم يلحد ووضعت الجنازة وجلس رسول الله ﷺ فقال: «إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملك في أحسن صورة وأطيب ريحها فجلس عنده لقبض روحه وأتاه ملكان بحنوط من الجن وكفن من الجنة، وكانا منه على بعد فيستخرج ملك الموت

روحه من جسده رشحا فإذا صارت إلى ملك الموت ابتدرها الملكان فأخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا بها إلى الجنة فيفتح له أبواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التي فتحت لها أبواب السماء ويسمى بأحسن الأسماء التي كان يسمى بها في الدنيا فيقال له هذه روح فلان فإذا صعد بها إلى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يدي الله عز وجل عند العرش فيخرج عملها في عليين فيقول الله تعالى للمقربين اشهدوا أني قد غفرت لصاحب هذاالعمل، ويختم كتابه فيرد في عليين ثم يقول عز وجل: ردوا روح عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني أردهم فيها ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]».

فإذا وضع المؤمن في لحده فتح له باب عند رجليه إلى الجنة فيقال له انظر إلى ما أعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند رأسه إلى النار فيقال له انظر ماذا صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شيء أحب إليه من قيام الساعة، وقال رسول الله ﷺ: **«إذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض إن كنت لحبيبا إلي وأنت على ظهري فكيف إذا صرت اليوم في بطني سأريك ما أصنع بك فيفسح له في قبره مد بصره»..**

وقال رسول الله ﷺ: **«إذا وضع الكافر في قبره، أتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان له لا دريت. فيضربانه ضربة فيصير رمادًا. ثم يعاد فيجلس، فيقال له ما قولك في هذا الرجل؟ فيقول أي رجل فيقولان محمد ﷺ فيقول: قال الناس إنه رسول الله. فيضربانه ضربة فيصير رمادًا»**(١).

وأما تضعيف ابن حزم المناهل ودعواه أنه تفرد بقوله فتعاد روحه في جسده فليس كذلك فإن المنهال أحد العدول الثقات..

---

(١) انظر نحوه في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٦/٢٦٤٥) رقم (٤٠٦٤) ط دار العاصمة للطباعة والنشر بالرياض.

قال ابن معين: المنهال ثقة وقال العجلي كوفي ثقة وأعظم ما قيل فيه أنه سمع من بيته صوت غناء وهذا لا يوجب القدح في روايته وإطراح حديثه فلا يلتفت إلى تضعيف ابن حزم له فإنه لم يذكر موجبا لذلك غير تفرده بإعادة الروح وقد تبين لك أنه لم يتفرد بها.

قلت: وقد تقدم أن البخاري احتج به والله أعلم..

وقد أعل أيضًا بعضهم الحديث بأن زادان لم يسمعه من البراء، وهذه علة باطلة، فإن أبا عوانة الاسفرائيني رواه في صحيحه بإسناده، وقال عن أبي عمر زادان الكندي قال سمعت البراء بن عازب قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة، عن البراء، ولو تركنا حديث البراء فسائر الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك. مثل حديث ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو عن عطاء بن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان قال فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان ابن فلان فيقولون مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله وإذا كان الرجل السوء قال لها أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج فينتهي بها إلى السماء فيقال من هذا فيقولون فلان ابن فلان فيقولون لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء إلى الأرض فتصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا متعب ثم يقال فيم كنت فيقول في الإسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد ﷺ جاءنا بالبينات من قبل الله فآمنا وصدقنا**»وذكر تمام الحديث. قال أبو نعيم: هذا حديث متفق على عدالة ناقليه اتفق الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج علي بن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء، وسعيد بن يسار وهم من

شرطهما ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعبد الرحيم بن إبراهيم انتهى..

ورواه عن ابن أبي ذئب غير واحد وقال المصنف في مسألة حقيقة الروح وهو حديث صحيح.

قلت: وأخرج الطبراني في الأوسط في ترجمة عبيد الله بن محمد بن عبد الرحيم البرقي عن أبي هريرة ﷺ قال: «شهدنا جنازة مع النبي ﷺ فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبي الله ﷺ:« **إنه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه فإذا كان يعبد الله قال كنت أعبد الله ونبيي محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فآمنا واتبعنا فذلك قول الله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، **فيقال له على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته وإن كان من أهل الشك قال لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته فيقال له على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم على الدنيا ما أنبتت شيئًا تنهشه وتؤمر الأرض تضمر عليه حتى تختلف أضلاعه».** قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة قال الترمذي وحديثه حسن في المتابعات. وروى الإمام أحمد بإسناد قال المنذري صحيح عن عائشة رضي الله عنها قال: جاءت يهودية استطعمت على بابي فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فلم أزل أحدثها حتى جاء رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية قال:« وما تقول» قلت: تقول أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال قالت عائشة فقام رسو الله ﷺ ورفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ثم قال أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا حذر أمته وسأحدثكم بحديث لم يحدثه نبي أمته إنه أعور وان الله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فما كنت تقول في الإسلام؟ فيقال ما هذا الرجل الذي كان

فيكم فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار ينظر إليها يحطم بعضها بعضًا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله ثم تفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها، ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعًا مشعوفًا فيقال له فما كنت تقول فذكره قال سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته كما قالوا فيفرج له فرجة إلى الجنة فينظر زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها تحطم بعضها بعضًا ويقال هذا مقعدك منها على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يعذب»...

قال المنذري قوله غير مشعوف هو بشين معجمة بعدها عين مهملة وآخره فاء قال أهل اللغة الشعف هو الفزع حتى يذهب بالقلب...

وقد روى مثل الزيادة التي أنكرها ابن حزم على المنهال من إعادة الروح في عدة أحاديث كقوله: فترد إليه روحه وقوله: فيصير إلى قبره فيستوي جالسًا وقوله: فيجلس في قبره أحاديث صحاح لا مغمز فيها لكن هذه الإعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التي تقوم بها الروح بالبدن وتدبيره ويحتاج معها إلى الطعام ونحوه وإنما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان بالسؤال وكما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ فإن النوم أخو الموت ولا ينفي عن النائم إطلاق الحياة فكذلك حياة الميت عند الإعادة غير حياة الحي وهي حياة لا تنفي عنه إطلاق اسم الموت بل أمر متوسط بين الموت والحياة كما أن النوم متوسط بينهما ولا دلالة في الحديث على أنها مستقرة وإنما تدل على تعلق ما لها بالبدن وهي لا تزال متعلقة به وإن بلى وتمزق وتقسم وتفرق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة **الأول:** في بطن الأم **الثاني:** بعد الولادة **الثالث:** في حال النوم. فلها تعلق به، من وجه، ومفارقة من وجه، **الرابع:** في البرزخ فإنها وإن كانت قد فارقته بالموت فإنها لم تفارقه فراقًا كليا بحيث لم يبق لها إليه التفات، **الخامس:** تعلقها يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله إليه إذ لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا.

قلت قال الشريف الجرجاني في المعاد من شرح المواقف قال الإمام الرازي وأما القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معًا فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله ومحبته وأن سعادة الأجسام في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأن الإنسان مع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية وإنما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ولا شبهة في أن هذه الحالة هي الغاية القصوى من مراتب السعادات انتهى...

وهذه حكمة بالغة إلا أن قوله بالمعاد الروحاني والجسماني معا قول بأن النفس جوهر مجرد يعود إلى البدن، قال الشريف: وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الإمامية وكثير من الصوفية زاد الشيخ سعد الدين والكرامية والكعبي قال وبه يقول جمهور النصارى والناسخية وقال قبل ذلك إن مذهب جمهور المسلمين أن المعاد جسماني فقط لأن الروح عندهم جسم سار في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد.... والله أعلم.

وأما رؤية النبي ﷺ الأنبياء ليلة الإسراء فالصحيح أنه رأى الأرواح في مثال الأجساد دون حقيقة الأجساد فإنها في الأرض قطعا إنما تبعث يوم القيامة إذ لو بعثت لذاقت الموت عند النفخة ولكانت في الجنة وقد صح عنه ﷺ إن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو وهو أول من يستفتح باب الجنة رواه مسلم عن أنس وأول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة، ومعلوم أن جسده في الأرض طرى وصح عنه ﷺ أنه قال **«إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغونني عن أمتي السلام»** قلت :

لم أره أيضًا وإنما الذي رأيت في أبي داود والنسائي عن ابن مسعود رفعه أن الله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام رواه الصابوني في كتاب المآثر وقال: ملائكة سياحين في الأرض وقال هذا حديث غريب الإسناد والمتن فالله أعلم وصح

أيضا أنه ﷺ خرج بين أبي بكر وعمر وقال هكذا نبعث.

قلت: أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقال غريب ورويناه في جزء ابن الطلابة وأخرجه الطبراني في الأوسط في ترجمة موسى بن جمهور عن أبي هريرة وزاد يوم القيامة لكن في سنده خالد بن يزيد العمري وقد كذبوه وللترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا واستغربه أيضًا: أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر وقال ابن الحسين في تاريخ المدينة وفي المنتظم لابن الجوزي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**ينـــزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له فيمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر**» انتهى.

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيًا أبلغته**»[1] رواه البيهقي في الشعب والله أعلم...

هنا مع القطع بأن روحه في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء وهو الرفيق الأعلى...

وفي حديث الإسراء أيضًا: أنه مر بموسى عليه السلام قائمًا في قبره يصلي ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل بعضهم ذلك بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث إن الشعاع إنما هو عرض للشمس وأما الروح فهي نفسها تنـــزل.

قلت: وأنت إذا تفكرت في حال النائم وما يضرب له من الأمثال لم يرد عليك فيما نحن فيه إشكال فإنك تنام أنت وآخر بأبدانكما وأشكالكما سائران في قفار وبراري ومهامه وصحاري أو راكبان تتقاتلان أو تقاتلان في كر وفر وضرب وطعن أو طائران في خفض ورفع وفرقة وجمع، وربما طالت غيبتكما حتى يمضي عليكما ليال وأيام وشهور وأعوام جميع ذلك في لحظة وجسداكما مطرحان نومًا بلا

(١) موضوع راجع ضعيف الجامع برقم (٥٦٨٢).

مرية فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إذا حركتما رجعت الروح في أسرع وقت وبين البلدين مسافات تقطع الأعناق، والله أعلم....

وقال ابن منده: محتجا على إعادة الروح أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن حدثنا محمد بن يزيد النيسابوري أخبرنا حماد بن قيراط أخبرنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبد الرحمن الصائغ البلخي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا رسول ﷺ قاعد تلا هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ثم قال: «والذي نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار ثم قال فإذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر إليهم ما يرى غيرهم وإن كنتم ترون أنه ينظر إليكم مع كل ملك منهم أكفان وحنوط فإن كان مؤمنًا بشروه بالجنة وقالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الأول فالأول ويهون عليه وإن كنتم ترونه شديدًا حتى تبلغ ذقنه فهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

فيلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها إليه فهو أشد لزومًا لها من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبًا بالريح الطيبة والروح الطيب.... اللهم صل عليه روحًا وصل على جسد خرجت منه فيصعد بها إلى الله عز وجل خلق الهوى لا يعلم عدتهم إلا هو فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها إلى الملك الجبار فيقول الجبار مرحبًا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه وإذا قال الرب عز

وجل لشيء مرحبًا رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة أدخلوها الجنة أروها مقعدها من الجنة وأعرضوا عليها ما أعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها إلى الأرض فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فوالذي نفسي بيده هي أشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول أين تذهبون بي إلى ذلك الجسد الذي كنت فيه فيقولون إنا مأمورون بهذا فلا بد لك منه فيهبطون بها على قدر فراغهم من غسله وأكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه.

قلت: وأخرج البخاري في الجنائز من صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق»[1] ولأحمد في المسند عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعرف من يحمله ويغسله ومن يدليه في قبره» انتهى.

قال شيخ الإسلام يعني: ابن تيمية الأحاديث الصحيحة متواترة على عودة الروح إلى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول طائفة وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا: السؤال للروح بلا بدن قاله ابن مرة وابن حزم وهو غلط وإلا لم يكن للقبر بذلك اختصاص...

وهذا يزداد وضوحا بذكر الجواب في أن عذاب القبر هل هو على النفس والبدن معًا أو على أحدهما والصحيح أن يكون عليهما معا وعلى النفس وحدها كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المسألة العاشرة.

[المسألة الخامسة]

أين مستقر الأرواح ما بين الموت والحياة ومتى تزار القبور...؟فقيل أرواح

(١) صحيح الجامع برقم (٨٣٠). والبخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب حمل الرجال الجنازة دون النساء. والنسائي جميعا عن أبي سعيد - كنز العمال (٥/٥٩٩)، رقم الحديث (٤٢٣٧٤).

المؤمنين عند الله في الجنة شهداء أو غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة وهو مذهب أبي هريرة وابن عمر وقريب منه قول الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

ذكره بعد خروجها من البدن وقسمها ثلاثة أقسام مقربين في الجنة وأصحاب اليمين سالمين من العذاب، ومكذبين لهم ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ كما قسمها يوم البعث الأكبر يوم القيامة إلى ثلاثة أقسام في أول السورة في قوله: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨-١١].

وإنما قدم هذا تقديم الغاية إذ هي أهم وأولى بالذكر وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا ولا ينافي ذلك قول من قال إنه يقال لها في الآخرة فإنه يقال لها عند الموت وعند البعث...

ولما في الموطأ(١) والنسائي(٢) عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه مرفوعًا «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق(٣) في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم القيامة**» - يعلق بضم اللام وفتحها(٤)، أي يأكل العلقة، وقد

(١) ترجمة للإمام مالك رحمه الله تعالى.

(٢) ترجمة للإمام النسائي رحمه الله تعالى.

(٣) يأكل.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجنائز رقم (٤٥). والنسائي "كتاب" الجنائز "باب" أرواح المؤمنين رقم (٧٥). وأخرجه ابن ماجه وابن حبان عن كعب بن مالك كنز العمال (١٥/ ٦٧٦). رقم الحديث (٤٢٦٩١). وصحيح الجامع رقم (٢٣٧٣).

أعل محمد بن يحيى الذهبي هذا الحديث بأن شعيب بن أبي حمزة ومحمد بن أخي الزهري وصالح بن كيسان رووه عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده كعب فيكون منقطعًا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبد الرحمن أنه بلغه أن كعب بن مالك كان يحدث قال وهذا هو المحفوظ عندنا وقال ابن عبد البر اتفق مالك ويونس بن يزيد والأوزاعي والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث عن الزهري عن عبد الرحمن كعب بن مالك عن أبيه وصححه الترمذي وغيره.

واتفاق مالك ومن معه أولى بالصواب وهم من الحفظ والإتقان بحيث لا يقاس بهم من خالفهم، قال الذهلي سمعت علي بن المديني يقول ولد لكعب خمسة: عبد الله وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن ومحمد قال الذهلي فسمع الزهري من عبيد الله بن كعب وكان قائد أبيه حين عمي وسمع عن عبد الرحمن بن كعب انتهى.

قلت: ولفظ الترمذي عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة**». وقال حديث حسن صحيح انتهى، فالحديث إن كان لعبد الرحمن عن أبيه كما قال مالك ومن معه فظاهره الوصل وإن كان لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته أن يكون مرسلا من هذه الطريقة وموصولا من الأخرى، والذين وصلوا ليسوا بدون الذين أرسلوه قدرًا ولا عددًا فالحديث من صحاح الأحاديث وإنما لم يخرجه صاحب الصحيح لهذه العلة قال أبو عمر وهذا يعارضه ما لا يدفع في صحة نقله حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة وسيأتي أنه لا معارضة وقال أبو عبد الله بن منده....

وروى موسى بن عبيدة عن عبيد الله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا النبي ﷺ فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكى أهل الميت فقال: «**إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل**

من النار وتشرب من النار وتأوي إلى حجر في النار ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا»[١] وقال الطبراني حدثنا أبو زرعة الدمشقي أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: **«في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار قال محبوسة في سجين»** ورواه أبو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح ورواه أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب...

وذكر أبو عبد الله بن منده من طريق غنجار عن الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«أرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة»** ورواه غيره موقوفا...

وذكر يزيد الرقاشي عن أنس وأبي عبد الله الشاي عن تميم الداري عن النبي ﷺ: **«إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء استقبله جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فإذا انتهى به إلى العرش خر ساجدًا فيقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب»**.

رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمر عن يزيد وأبي عبد الله.

وقيل إنما الذي في الجنة الشهداء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وروى ربيع بن مخلد عن هناد بن السري عن إسماعيل بن المختار عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تبارك وتعالى هل تعلمون كرامة أفضل من

---

(١) أخرج الطبراني عن كعب بن مالك. أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله تعالى إلى أجسادهم يوم القيامة كنز العمال (١٥/٦٧٦)، رقم (٤٢٦٨٨).. وأخرج الديلمي في مسند الفردوس: عن أبي هريرة إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة كنز العمال (١٥/٦٧٦)، رقم (٤٢٦٨٩).

روينا في صحيح الجامع برقم (١٥٦٠) «إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق في شجر الجنة»

كرامة أكرمتكموها فيقولون لا غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا إلى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك...

وفي صحيح مسلم واللفظ له وجامع الترمذي وغيرهما عن مسروق قال سألت عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فقال: إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل متعلقة بالعرش تسرح من الجنة في أيها شاءت ثم تأوى على تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيئًا قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»....

ثم ذكر حديث أم حارثة الذي أصابه سهم غرب في بدر وأنه في الفردوس أخرجه البخاري....

وقال تقي بن مخلد حدثنا يحيى عن عبد الحميد أخبرنا ابن عيينة عن يزيد أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة». وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن كعب ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال:« **إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة**»، لفظ الترمذي وقال حسن صحيح....

ولأحمد وأبي داود والحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم - يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش**» الحديث.

وفي بعض الآثار من صور طير وفي بعضها في أجواف طير كطير خضر.

قال ابن عبد البر وهو اختيار ابن حزم والذي يشبه عندي أن يكون القول قول من قال كطير أو في صور طير لمطابقته حديث كعب «نسمة المؤمن طائر»

قال المصنف وفي صحيح مسلم في أجواف طير ولا منافاة بين حديث أنه طائر وبين حديث المقعد بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمرها ويعرض عليه مقعده إلا أنه لا يدخله إلا يوم الجزاء بدليل أن منازل الشهداء يومئذ ليست هي التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحًا وبدنًا ودخول الروح فقط أمر دون ذلك...

وقيل هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من نعيمها ورزقها، قاله مجاهد وقد يحتج له بما في المسند عن ابن عباس مرفوعًا، الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشية من الجنة...

وقالت طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله لم يزيدوا على ذلك وقريب منه قول حذيفة بن اليمان الأرواح موقوفة عند الرحمن عز وجل ينتظر موعدها حتى ينفخ فيها وهذا تأدب منهم مع لفظ القرآن حيث يقول: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]..

وروى أحمد وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا إن الميت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلى السماء حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله وإذا كان الرجل السوء فعرج بها إلى السماء فإنه لا يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير إلى القبر قال محمد بن إسحاق الصنعاني حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد عن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة فذكره وهذا إسناد لا يسأل عن صحته وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن أبي موسى الأشعري قال تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت لمحاسن عمله فيقولون مرحبًا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذي كان يصعد عمله منه فتشرق في السموات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهي إلى العرش، وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه فيقولون ما هذا فيقولون فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوئ عمله فيقولون لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرضين إلى الثرى، وقال الإمام مالك بلغني أن الروح مرسلة في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وهو

قول سلمان الفارسي ﷺ والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في أرض بين الدنيا والآخرة وهو قول قوي فإنها فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة وقال ابن حزم في طائفة مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها أي عن يمين آدم وشماله وهذا ما قاله الله ونبيه ﷺ لا يتعداه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ [الأعراف: ١١].

إن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر ﷺ أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وأخذ الله عهدها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت ثم لا يزال يبعث بها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني إلى أن قال فصح إن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وأنها عارفة مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهوا ء والتراب والنار تحت السماء ولا يدل ذلك على تعادلهم بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة قال وقد ذكر محمد ابن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه وقال على أهذا أجمع أهل العلم قال ابن حزم وهو قول جميع أهل الإسلام وقوله الله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٨-١٤]. وقوله: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] إلى آخرها فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عودها بنفخها في الأجساد ثم برجوعها إلى البرزخ فتقوم الساعة فيعيدها عز وجل إلى الأجساد وهي الحياة الثانية انتهى.

قال المصنف فلعمر الله لقد قال قولا يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الإسراء وقوله إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء منه على مذهب طائفة من السلف والخلف أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد وليس على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع إلا ما فهموه من آيات لا تدل لهم وأحاديث لا تصح والجمهور على خلاف ذلك كما مضى....

وأما ما نقله عن محمد بن نصر فالذي ذكر محمد في [كتاب الرد على ابن قتيبة] في تفسير: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه مثل الذر وقسمهم إلى شقي وسعيد، وكتب أعمالهم وأرزاقهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال: قال إسحاق أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أن يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل.

هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على أن مستقرها حيث منقطع العناصر قبل خلق الأجساد ولا بعده وقيل هي على أفنية قبورها وقد ذهب إليه ابن عبد البر وقال هو أصح ما ذهب إليه، ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك أحاديث السلام على القبور يريد بالأحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر في عرض المقعد وحديث البراء وفيه وهذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة، وحديث أنس وفيه أنه يرى مقعده من الجنة والنار وأنه يفسح للمؤمن في قبره سبعون ذراعًا ويضيق على الكافر وحديث جابر أن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملك... الحديث وفيه أنه يرى مقعده من الجنة فيقول دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن فهذا مقعدك أبدًا وكذا سائر أحاديث عذاب القبر ونعيمه ومراده بأحاديث السلام أن فيها خطاب المسلم لأهل القبور خطاب العاقل الحاضر كما سيأتي ذلك وهذا القول إن أريد به أن كونها على القبور لازم لا تفارق فهذا خطأ يرده الكتاب المحكم والسنن الصحيحة وعرض المقعد لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه بل على أن لها اتصالا به يصحح أن يعرض عليها مقعدها فإن للروح شأنًا آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك

وهذا جبريل عليه السلام رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب، وكان يدنو من النبي ﷺ حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه وقلوب المخلصين تتسع للإيمان بأن من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنو وهو في مستقره من السموات، وعلى هذا يحمل تنـــزله تعالى إلى السماء الدنيا ودنوه عشية عرفة ونحوه فهو منـــزه عن الحركة والانتقال وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا اشغلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض.

قلت ففي الصحيح في حديث "بدء الوحي" «فرفعت رأسي فإذا جبريل صاف قدميه بين السماء والأرض يقول أنت يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل قال: فجعلت لا أصرف بصري إلى ناحية إلا رأيته كذلك» وهذا من أعظم الأصول لمن تدبره والله الموفق...

وقد رأى النبي ﷺ موسى عليه السلام ليلة الإسراء قائمًا يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة أو السابعة فإما أن تكون سرعة الحركة والانتقال كلمح البصر وإما أن يكون المتصل بها بالقبر بمنـــزلة شعاع الشمس يكون في الأرض وجرمها في السماء وهذا قول ابن عبد البر بعينه فإنه قال أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورها، والمعنى أنها قد تكون على أفنية قبورها لا أنها تلزم ولا تفارق أفنية القبور كما قال مالك بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت....

وروى ابن منده من حديث عيسى بن عبد الرحمن، أخبرنا ابن شهاب حدثنا عامر بن سعد عن إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال: «أردت مالي بالغابة فأدركني الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام»[1] فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**ذلك عبد الله ألم تعلم؟ إن الله قبض أرواحهم، فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم**

---

(١) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، الأنصاري، الخزرجي، السلمي، والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور ..... معدود في أهل العقبة وبدر وكان من النقباء. واستشهد بأحد، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث ولده الإصابة (١١٠/٤) ترجمة رقم (٤٨٢٩) ط دار الكتب العلمية ببيروت.

علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها التي كانت فيه»....

[نفاذ الروح إلى اللا محدود]:

وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله ثم ترد إلى جسده في أيسر زمان.

قلت: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام «أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات إذا فارقت الجسد فإذا رأتها في السموات صحت الرؤيا إذ لا سبيل للشيطان إلى السموات وإن رأتها دون السماء كانت من إلقاء الشياطين وتحزينهم فإن رجعت إلى الجسد استيقظ الإنسان كما كان» والله أعلم...

وقال عكرمة ومجاهد «إذا نام الإنسان فإن له سببًا تجري فيه الروح وأصله في الجسد فيبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبًا فالإنسان نائم فإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان وكان بمنـــزلة شعاع الشمس هو ساقط بالأرض وأصله متصل بالشمس». وذكر ابن منده عن بعض العلماء أن الروح تمتد من منخره وأصله في بدنه فلو خرج بالكلية لمات، كما أن السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة لطفئت ألا ترى أن مركب النار في الفتيلة وضوءها يملأ البيت فالروح تمتد من منخر الإنسان في منامه حتى تأتي السماء وتجول البلدان فإذا أراه الملك الموكل بأرواح العباد ما أحب وكان الرائي عاقلا ذكيًا صدوقًا لا يلتفت في يقظته إلى شيء من الباطل رجع إليه روحه فأدى إلى قلبه الصدق مما أراه الله. وإذا كان خفيفًا ورجعت إليه روحه فحيث ما رأى شيئاً من مخاريق الشيطان وأباطيله وقفت روحه عليه فلا تؤدي إلى قلبه ولا يعقل ما رأى لأنه تخلط الحق بالباطل وهذا من أحسن الكلام، وأنت ترى الرجل يسمع الذكر والحكمة ثم يمر بباطل ولهو فيصغي إليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى إليه فيتخبط عليه ذلك الذي كان حفظه وأما بعد المفارقة فتعذب الروح بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت حفظتها حال اتصالها بالبدن مضافا إلى عذاب آخر ينشئه الله تعالى لها من الأعمال التي اشتركت معه فيها وهي العيشة الضنك حتى لربما كانت في حفرة من حفر النار والروح الزكية العلوية تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة

والمعارف التي تلقتها من مشكاة النبوة، وبتلك الإرادات والهمم السنية وينشئ الله لها من أعمالها نعيمًا آخر فيصير لها روضة من رياض الجنة...

وما ذكر من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر، فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها وأنت ترى أحكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب حال الأرواح في كيفياتها وقواها وإبطائها وإسراعها وللروح المطلقة من أسر بالبدن وعوائقه من التصرف والقوة ما ليس للمحبوسة في علائقه...

وقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عمرو بن العاص –ولعله مما تلقاه من أهل الكتاب– أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر حضرموت نقله ابن منده فلا التفات إلى قول ابن حزم أنه إنما هو قول الرافضة وروى ابن منده عن علي ﷺ قال: «خير بئر في الأرض زمزم وشر بئر في الأرض برهوت بئر في حضرموت وخير واد في الأرض وادي مكة والوادي الذي أهبط فيه آدم بالهند وشر واد في الأرض الأحقاف وهو في حضرموت ترده أرواح الكفار، ومن وجه آخر أنه قال أبغض بقعة في الأرض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها أسود كأنه قيح ترده الهوام ثم ساق عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان حدثنا أبان بن ثعلب قال: قال رجل: بت ليلة بوادي برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة وحدثنا رجال من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار قال سفين: سألنا الحضرميين فقالوا لا يستيطع أحد أن يبيت فيه بالليل».

وقال كعب الأحبار: «أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت حذاء إبليس». وهو قول جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي ﷺ عند موته: «**اللهم الرفيق الأعلى**». وفي حديث أبي هريرة الماضي قريبًا إن الميت إذا خرجت روحه عرج بها إلى السماء حتى تنتهي إلى السماء السابعة، وقال أبو موسى تصعد حتى تنتهي إلي العرش إلى غير ذلك من الأحاديث الماضية ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك ولكن تصعد

ليكتب كتابها في عليين أو سجين ثم ترد إلى القبر. وقيل أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت وهذا من أفسد الأقوال ولا دليل عليه بل هو مخالف لصريح السنة الصحيحة أن نسمة المؤمن في طائر يعلق في شجر الجنة ونحوه من الأحاديث وثم أقوال أخر طرحتها لوهائها، ولا يحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة وعلى غيره بالبطلان بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فإن كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة أو الشقاوة...

فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله قال:« **الجنة**» فلما ولى قال:« **إلا الدين سارني به جبريل آنفًا**»..

ومنهم من يكون على باب الجنة، كما في حديث ابن عباس الماضي: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة...».

ومنهم من يكون محبوسًا في قبره كحديث صاحب الشملة أنها لتشتعل عليه نارًا في قبره..

ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحًا سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما أنها لا تجامعها في الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها فالمرء مع من أحب...

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة وأرواح في نهر الدم فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له...

وإذا أمعنت النظر في السنن والآثار عرفت حجج ذلك وأنه لا تعارض بينها

لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنًا غير شأن البدن وأنها مع كونها في الجنة هي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شيء انتقالا وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة وألم وما أشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار..

وللنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها...

الأولى: بطن الأم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث...

الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر...

الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولى إلى هذه...

الرابعة: الدار التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار والله تعالى ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى.

قلت: إذا تقدر ذلك وصح لك اعتقاده علمت أن الزيارة لا تختص بوقت دون وقت ويوم دون يوم وليس في الأحاديث ما يعينها كما في جميع أحاديث السلام على أهل القبور في المسألة بعدها...

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة...**»(١).

وأخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود ولفظه «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة**»(٢). ورواه الحاكم عن أنس ولفظه:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٧٦/١) وتاريخ أصبهان (١٨/٢) وكنز العمال (٤٢٥٥) والتمهيد لابن عبد البر (٢٢٢/٣) المغني عن حمل الأسفار للعراقي (٢٤٥/١) والبخاري في التاريخ (٢٨٧/٢، ٢٤٧/٦) والبيهقي (٧٧/٤). وصحيح الجامع برقم (٤٥٨٤).

(٢) سنن ابن ماجه (٥٠١/١) رقم (١٥٧١) ٦ كتاب الجنائز، ٤٧ باب ما جاء في زيارة =

«كنت نهيتكم عن القبور ثم بدا لي أنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هجرًا..»(١).

ولمسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: «أتى النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: **«استأذنت في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»**(٣).

ولأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول إنما هو أبي وزوجي فلما دفن عمر معهم ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر. ولأحمد عن عمرو بن حزم ﷺ قال: «رآني النبي ﷺ متكئًا على قبر فقال لا تؤذ صاحب هذا القبر وسيأتي في الباب الذي يليه حديث عائشة مرفوعًا ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه وكذا حديث أبي هريرة».

وروى محمد بن الحسن بن زبالة في [تاريخ المدينة الشريفة] عن القطان بن خالد وحاتم بن إسماعيل عن عبد الأعلى بن عبد الله عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير أن رسول الله ﷺ حين انكشف عنه المشركون يوم أحد وعن أصحابه وقف على مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار فقال: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى تبدية: «اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء» قال فنظر إلينا وقال: **«ائتوهم وسلموا عليهم فإنه لن يسلم أحد ما دامت السموات والأرض إلا ردوا عليه»**، وأخرجه الطبراني في الأوسط عن عبد

القبور، وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده حسن، وأيوب بن هانئ، قال ابن معين: ضعيف وقال ابن حاتم: صالح، وذكره ابن حبان: في الثقات.

(١) المستدرك (١/٣٧٦) وصحيح الجامع برقم (٤٥٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠١) رقم (١٥٧٢) ٤٨- باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، وذكر الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رسالة أسماها مسالك الحنفا في والدي المصطفى مذكور في الحاوي للفتاوى (٢/ ٣٥٣) ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩م.

(٣) أي الإمام ابن القيم الجوزية.

الله بن عمر رضي الله عنهما ولفظه مر رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير ﵁ حين رجع من أحد فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: «**أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا إلى يوم القيامة**»، ونقل ابن الحاج في منسكه عن أبي إسحاق بن سعيد قال كان رسول الله ﷺ يأتيهم في كل عام يرفع صوته يقول: «**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**»، وفعل ذلك الخلفاء الثلاثة بعده ونقل ابن رزين وتبعه ابن النجار عن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة. وقد نقل ابن النجار عن بعض العابدات ركبت يومًا حتى جئت حمزة فصليت ما شاء الله ولا والله ما في الوادي داع ولا مجيب وإلا من آخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي، قمت فقلت: السلام عليكم، وأشرت بيدي فسمعت رد السلام من تحت الأرض، فاقشعر كل شعرة مني، فدعوت الغلام، وركبت انتهى.

فهذه الأحاديث، والآثار، تدل على أن الزائر، متى جاء علم به المزور، وسمع سلامه، ورد عليه، وأنس به، هذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في الزيارة، لا سيما حديث عائشة في الصحيح، أنه ﷺ «كان يخرج كلما كان ليلتها إلى البقيع فيسلم عليهم، لأنه لا ينتظم أن يكون ذلك في يوم واحد أصلا؛ لأنها إما أن تكون ثامنة بعد ما وهبتها سودة يومها، أو تاسعة أو غير ذلك، فيما قيل فيأتي دورها في ليالي متفرقة، والله أعلم».

لكن نقل المصنف(١) عن ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن الحسين حدثني بكر بن محمد حدثنا حسن القصاب قال: كنت أغدو مع محمد بن واسع، في غداة، كل سبت حتى يأتي الجبان فيقف على القبور، فيسلم عليهم، ويدعو لهم، ثم ينصرف، فقلت ذات يوم لو صبرت هذا اليوم يوم الاثنين، قال: بلغني «أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويومين قبلها ويومًا بعدها».

حدثني محمد حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا سفيان الثوري قال: بلغني عن

---

(١) أي الإمام ابن القيم الجوزية.

الضحاك أنه قال: «من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس، علم الميت بزيارته، فقيل له، وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة...».

حدثنا محمد بن الحسين حدثني يحيى بن بسطام الأصهر حدثني مسمع بن عاصم حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال: «رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قد مت قال: بلى قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة، وصبيحتها، إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قلت: أجسامكم أم أرواحكم قال: هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح قلت: فهل تعلمون بزيارتنا لكم؟ قال: نعم نعلم بها عشية الجمعة، ويوم الجمعة كله، وليلة السبت إلى طلوع الشمس، قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته».

قلت: فهذان الأثران وهذا المنام قد وقتا كما ترى، وكذا ما رأيته في منسكي شيخ الإسلام محي الدين النووي، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، من أن شهداء أحد يزارون يوم الخميس. وما دلت عليه الأحاديث الصحاح من إطلاق، أولى بالاتباع على أن من زار في شيء من هذه الأوقات المعينة، فقد ظفر بالمطلوب يقينًا، ولم يخالف الأحاديث وربما أفهم التوقيت ما رواه البيهقي في الشعب عن محمد بن النعمان أن النبي ﷺ قال: «**من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا**»[1]. وهو مرسل وقد أوصله الطبراني في الأوسط فقال حدثنا أبو شبل يعني: محمد بن محمد بن النعمان بن شبل حدثني أبي حدثني محمد بن النعمان بن عبد الرحمن عم أبي عن يحيى بن العلاء الرازي عن عبد الكريم أبي أمية

(١) قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣٦٣/١٠٣) بعد ما ذكر الحديث رقم (١) في الصفحة (١٦٠) الآتية "....وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة ورواه أيضًا البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع في كل جمعة مرة". وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان روى عنه محمد بن المثنى وغيره لكن قال مجهول ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه قال أحمد كذاب يضع الحديث وقال أبو حاتم ليس بالقوي.

عن مجاهد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا**»[1] لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد وأخرج أبو عثمان الصابوني في المائتين عن أبي ذر قال: «أتيت النبي ﷺ وهو جالس في المسجد فجلست إليه فقال: «**يا أبا ذر احفظ ثلاثًا ينفعك الله بها جاور أهل القبور تذكرك الآخرة وزرها أحيانًا وإياك وزيارتها ليلا واغسل الموتى فإن معالجة جسد خال من الروح عظة لك وشيع الجنائز لعل ذاك يجرك قليلا ويحزنك وسلم على من لقيت من أمتي بعد أن يكون مسلمًا**»، وهذا الحديث غير معتد به لأن سنده ثلاثة من الكذابين في نسق محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار عن عبد القدوس بن حبيب، وعلى تقدير الاعتداد به فالنهي لمكان الوحشة والروع كما في النهي عن مبيت الإنسان وحده..ونحو ذلك لا لأن الأموات في ذلك الوقت لا يدركون الزيارة....والله أعلم.

[المسألة السادسة]

في أن الأرواح هل لها إدراك بعد الموت أم لا وفيه ثلاثة أمور...؟الأول: هل تدرك الأموات زيارة الأحياء وسلامهم عليهم أو لا..

تواترت الآثار عن السلف بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر به...

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب القبور حدثنا محمد بن عون حدثنا يحيى بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن أسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا «**فما من رجل يزور قبر أخيه إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**».

قلت: وقال الأستاذ أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين أخبرنا الإمام أبو الطيب يعني: سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس المقلي يعني: محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا بشر بن بكر أخبرنا عبد الرحمن بن

---

(١) إتحاف السادة المتقين (١٠/٣٦٣) قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط (٣/ ٦٩) من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو مفصل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك.

زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد مر بقبر لرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»(١) هذا حديث غريب من حديث زيد بن أسلم لم يروه عنه غير ابنه عبد الرحمن.

قلت: ورواته كلهم ثقات إلا هو فضعيف والله أعلم...

وفي مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت حتى قال: قال عمرو فإذا دفنتموني فسنوا على التراب سنًا ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»(٢) يعني وكان الصحابة متوافرين وأكابر الأتباع ولم ينكر ذلك أحد والله أعلم...

وشرع ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل. ففي صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون...**»(٣) اهـ.

وفي الصحيح أيضًا عن بريدة كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم**

---

(١) ورد في كنز العمال (٦٥٦/١٥) رقم (٤٢٦٠١). ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده، وعزاه السيوطي الى [أبي الشيخ والديلمي عن أبي هريرة]

(٢) صحيح مسلم (١١٢/١) ١- كتاب الإيمان. ٥٤- باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج رقم الحديث (١٩٢- (١٢١)].

(٣) أخرجه مسلم في الطهارة (٣٠١) والجنائز (١٠٢) وأبو داود في سننه رقم (٣٢٣٧) والنسائي (٩٤/١) وابن ماجه رقم (١٥٤٦) والمسند للإمام أحمد (٣٧٥/٢) والبيهقي (٧٨/٤، ٧٩) (٢٤٩/٥) وأبو عوانة (١٣٨) وإتحاف السادة المتقين (٣٦٤/١٠) وشرح السنة (٤٧١/٥) وطبقات ابن سعد (٩/٢/٢) وكنز العمال (٤٢٥٦٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٥/١٠) وأمالي ابن الشجري (٢٠٧/١).

لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية»[١] عزاه شيخنا في تخريج المصابيح إلى مسلم عن أبي هريرة ورأيته في النسائي وابن ماجه عن بريدة ولم أره في مسلم...

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله قال: قولي **«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**[٢].

وفيه وفي النسائي عنها أن رسول الله ﷺ كان يخرج كلما كانت ليلتها إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون...»**[٣]. وفي الترمذي وقال حسن غريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: **«السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر...»**[٤] عقبه إن أنت إلا نذير كيف وقد ثبت عنه ﷺ: **«إن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا»**[٥]

---

(١) شرح السنة للبغوي (٥/٤٦٨) رقم (١٥٥٥) قال البغوي صحيح أخرجه مسلم (٩٧٥) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.. قال أبو سليمان الخطابي: فيه من الفقه أن السلام على الموتى كهو على الأحياء في تقديم الدعاء على الاسم وكذلك في كل دعاء بخير كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] والله عز وجل: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠].

(٢) كنز العمال (١٥/٦٤٨) رقم (٤٢٥٦٣) وعزاه السيوطي إلى مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبر وعزاه للنسائي وبدلا من "وإنا" "فإنا".

(٣) وهو جزء من حديث طويل ذكره السيوطي وعزاه إلى الإمام مالك والشافعي والإمام أحمد ومسلم "كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة رقم (٢٤٩)" والنسائي جميعا عن أبي هريرة كنز العمال (١٥/٦٤٧) رقم (٤٢٥٦٠).

(٤) عزاه السيوطي إلى الترمذي كتاب الجنائز باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر رقم الحديث (١٠٥٣) قال وفي باب عن بريدة وعائشة قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن غريب والطبراني عن ابن عباس.

(٥) ورد الحديث في كنز العمال (١٥/٦٠٠) رقم (٤٢٣٧٩) بلفظ إن الميت إذا دفن سمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه منصرفين وعزاه السيوطي إلى الطبراني عن ابن عباس.

يعني من حديث أنس في الصحيحين.

قلت: وروى البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

من طريق الحافظ ابن أحمد بن عدي بإسناد جيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت ليسمع حس النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه في عنقه ثم يسأل**» انتهى...

وذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن...

قال عبد الحق يروى أن ابن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة. وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع قال الخلال في الجامع باب القراءة عند القبر...

أخبرنا العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن معين أخبرنا مبشر الحلبي أخبرنا عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن أبيه قال: قال «إني إذا أنا مت فضعني في اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله وسن علي التراب سنًا واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك». وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق حدثني علي بن موسى الحداد -وكان صدوقًا- قال كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبور فقال له أحمد «يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة».

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي قال: ثقة قال كتبت عنه شيئًا؟ قال: نعم قال: فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع وقل للرجل يقرأ...

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس به...

وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون له القرآن ويدل عليه عمل الناس قديمًا وإلى الآن من تلقين الميت

وسئل عنه الإمام أحمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه عن أبي أمامة مرفوعًا «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلان فإنه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدًا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال ينسبه إلى أمه حواء». فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف في العمل به.

وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي ﷺ أي من حديث ابن عباس أنه قال: «**ما من مسلم يمر بقبر أخ كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام...**».

وفي الصحيحين من وجوه متعددة أنه «أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟[الأعراف: ٤٤] فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا ؟ فقال: «**والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون جوابًا**»(١) وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

فسياق الآية يدل على أن الكافر ميت القلب لا يقدر على إسماعه إسماعًا ينتفع به أي إجابته كما أن من في القبر لا يقدر على إسماعه إسماعًا يجيب عنه وكذا: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، أي

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٣) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه رقم (٧٧-٢٨٧٤).

كما أنك لا تسمع الموتى إسماعًا يستجيبون له فكذلك الصم إذا أدبروا فانضم صممهم إلى عدم إبصارهم بإدبارهم لم يقدر أن يسمعهم إسماعًا يستجيبون له فحال هؤلاء الكفار في عدم الاستجابة كحالهم فإن قلوبهم ميتة وصم عن الحق ولم ينف عنهم السماع بالكلية.

قلت: وقال شيخنا في تخريج أحاديث الرافعي إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه وأخرجه عبد العزيز في الشافعي والراوي عن أبي أمامة سعيد الأزدي بيض له ابن أبي حاتم لكن له شواهد منها ما رواه سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وغيرهما قالوا إذا سوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره «قل لا إله إلا الله قل أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات قل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد» والله أعلم..

[الأمر الثاني: هل تلاقي أرواح الموتى أرواح الأحياء؟]

الأمر الثاني هل تلاقي أرواح الموتى أرواح الأحياء أو لا؟ اعلم أن شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى والحس الواقع من أعدل الشهود بها فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تتلاقى أرواح الأحياء وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال أبو عبد الله بن منده حدثنا أحمد بن محمد بن أبي حاتم أخبرنا عبد الله بن الحسين الحرالي حدثني جدي أحمد بن أبي شعيب أخبرنا موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال بلغني: «أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها».

قلت: وقال الطبراني في الأوسط حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان الرقي أخبرنا عمرو بن خالد بن حيان أخبرنا موسى بن أعين فذكره بمعناه وقال لم يروه عن مطرف إلا موسى انتهى..

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا عبد الله بن سليمان أخبرنا الحسين أخبرنا

عامر أخبرنا أسباط عن السدي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال يتوفاها في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذكران ويتفارقان فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس، وهذا أرجح القولين في تفسير الآية وقد تقدم في المسألة الثانية والخامسة أشياء مما يتصل بهذا...

ومن الدليل على تلاقي أرواحهم أن الحي يرى الميت في منامه فيخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف وربما أخبره بمال دفنه الميت لم يعلم به سواه فيجده كما قال وأبلغ من هذا أن يقول له إنك تأتينا لكذا وكذا فلا يتعداه فقد صح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال صعب لعوف «أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتزيا له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم قال قلت: أي أخي قال نعم قلت ما فعل بكم قال غفر لنا بعد المشاق قال ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت أخي ما هذه قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفًا فلما أصبحت قلت: إن في هذا لعبرة فأتيت أهله فقالوا مرحبًا بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن -يعني بالقاف محركًا- وهو جعبة النشاب فأنزلته فانتشلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير فبعثت إلى اليهودي فقلت هل كان لك على صعب شيء قال رحم الله صعبًا كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ هي له قلت لتخبرني قال نعم استلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه فقال هي والله بأعيانها قلت هذه واحدة فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث فينا كذا قال قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ أيام فقلت هاتان اثنتان قلت أين ابنة أخي؟ قالوا تلعب فأتيت بها فمسستها فإذا هي محمومة فقلت استوصوا بها معروفًا فماتت لستة أيام.

وقال أبو عمر أخبرنا عبد الوارث بن سفيان أخبرنا قاسم بن أصبغ أخبرنا أبو الزنباع روح بن الفرج أخبرنا سعيد بن عفير وعبد العزيز بن يحيى المدني أخبرنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصاري عن ثابت بن قيس بن شماس أن رسول الله ﷺ قال له: «**أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة**» قال مالك فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيدًا قال أبو عمر وروى هشام بن عمار بن صدقة بن خالد أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني عطاء الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]».

دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي ففقده النبي ﷺ فأرسل إليه فأخبره فقال يا رسول الله إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي قال: «**لست منهم تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة**» فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنـــزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ علي الدرع برمة وفوق البرمة رحل فائت خالدا فمره أن يبعث إليَّ درعي فيأخذها وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني: أبا بكر الصديق فقل له إن علي من الدين كذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إليَّ الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته قال ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس؛ انتهى.

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق وجميع الصحابة على العمل بهذه الرؤيا لعلمهم بصحتها بما حفها من القرائن وهكذا رؤيا عوف بل قرائنهما أقوى من وجوه الأجر ومعاقد القُمط في دعوى الجدار ونحو ذلك وقال عبد الرحمن بن غنم رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال بيض عليهم

ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول: ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ثم التفت عن يمينه يقول يا ابن رواحة يا ابن مظعون.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤].

ثم صافحني وسلم علي وذكر مسعدة عن هشام بن حسان بن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند عائشة رضي الله عنها فأتتها امرأة مشتملة على يدها فجعل النساء يولعن بها فقالت ما أتيتك إلا من أجل يدي إن أبي كان رجلا سمحًا وإني رأيت في المنام حياضًا عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم فرأيت أبي فقلت أين أمي قال انظري فنظرت فإذا أمي ليس عليها إلا قطعة خرقة فقال: إنها لم تتصدق قط إلا بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرف بها وهي تقول واعطشاه قالت فأخذت أنا من تلك الآنية فسقيتها وإذا بقائل يقول: أيبس الله يد من سقاها فأصبحت يدي كما ترين.

قلت: ومن الأصول الكبيرة الواضحة المنيرة في هذا الباب ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي»**(١).

وفي رواية **«من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»**(٢).

ولهما عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رآني فقد رأى الحق»**(٣).

---

(١) صحيح الجامع برقم (٦٢٥٦).

(٢) صحيح الجامع رقم (٦٢٥٥).

(٣) صحيح مسلم "كتاب الرؤيا" رقم (٢٢٦٧) عزاه السيوطي إلى الإمام أحمد في المسند (٥٥/٣)، (٣٠٦/٥) عن قتادة وأخرجه البخاري كتاب التعبير باب من رأى الرسول ﷺ وفي صحيح الجامع برقم (٦٢٥٥ - ٦٢٥٦) فإن الشيطان لا يتمثل بي، فإن الشيطان لا يترايا بي.

ولمسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من رآني في النوم فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي**»[١].

وللطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة**»[٢].

والمرائي في ذلك أكثر من أن تحصى..

[حكاية رؤية الملك العادل نور الدين محمود زنكي]

ومن أعظمها ما حكاه القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي في تاريخ المدينة عن الحافظ عفيف الدين عبد الله بن أبي جعفر جمال الدين محمد المطري في رؤيا الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الشهيد في سنة سبع وخمسين وخمسمائة قال أخبرني يعقوب بن أبي بكر المحترق عن جماعة من أكابر الحرم بسبب رؤياه النبي ﷺ في منامه ثلاث مرات في ليلة واحدة يقول له في كل مرة: «يا محمود أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه» فاستحضر وزيره الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر قبل الصبح وذكر له ذلك وكان موفقًا فقال هذا أمر حدث بمدينة النبي ﷺ ليس له غيرك فتجهز على عجل في نحو ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيرها فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وزار وجلس في المسجد فقال له الوزير أتعرف الشخصين إذا رأيتهما قال نعم فطلب الناس عامة للصدقة وفرق ذهبًا كثيرًا وفضة وقال لا يبقين أحد فتأخر رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار

---

(١) صحيح الجامع برقم (٦٢٥٦). وصحيح مسلم (٤٢) كتاب الرؤيا (١) باب قول النبي ﷺ «من رآني في المنام فقد رآني» (١٠-٢٢٦٦).

(٢) صحيح الجامع برقم (٦٢٥٧) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ط مكتبة المعارف بالرياض (٥١٦/١) رقم (٩٥٨) ولم ترد فيه لفظ "ولا بالكعبة" وأخرجه عن أبي هريرة وجاء في هامش الطبراني حاشية رقم (٥) أخرجه البخاري - كتاب التعبير - باب من رأى النبي ﷺ في المنام (٣٨٣/٢) حديث (٦٩٩٣) - بمعناه وفي كتاب العلم - حديث (١١٠) - بمعناه وفيه زيادة وأخرجه مسلم -كتاب الرؤيا - باب قول النبي ﷺ: «من رآني ....إلخ» (١١٧٥/٤) حديث (١٠) بلفظه وأخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

آل عمرو المعروفة اليوم بدار العشرة فطلبهما فامتنعا وأظهرا كفاية فجد في طلبهما حتى جيء بهما فلما رآهما قال للوزير هما هذا فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبي ﷺ قال أصدقاني وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتها فأقرا أنهما من النصارى ووجدهما قد حفرا نقبًا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي إلى جهة الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما وسولت لهم أنفسهم ما سولت من التعرض لنقل يأباه الله وكان يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الشرقي للحجرة المقدسة خارج المسجد ثم أحرقا بالنار»(١)...

[بعض الرؤى]

وكان نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما قعدت تتطيب فقال ما أمس طيبًا ولا أقربه ولكن رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقرأ في فمي فمن ذلك الوقت يشم من في هذه الرائحة.

قلت: ومن أغرب(٢) ما شاهدته أنا أنه كان في رأسي وأنا صبي قروح تسيل منها مدة ثم تجمد على رأسي حتى تستر الشعر ويكون بها دود فرأت مريم ابنة خالي محمد بن علي السليمي البقاعي النبي ﷺ في منامها «فقال لها تمني علي فقالت: ابن عمتي في رأسه حب فقال خذي له هذا الدواء وأعطاها في يدها شيئًا فأصبحت لا

---

(١) لكن محمد بن عبد المنعم الحميري صاحب الروض المعطار ذكر القصة برواية أخرى قال عند ذكر (القاهرة).

وكان الحاكم بأمر الله - من الشيعة العبيديين- بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجدًا عظيمًا على ثلاثة مشاهد كانت هناك، وجعل فيه سدنة وخدمة يوقدون فيه السرج الليل كله، وذكر أنه أراد أن ينقل إليه جسد النبي ﷺ وقد كان توجهت له الحيلة في ذلك، غير أن الله سبحانه دفعه، وأظهر الله عز وجل أهل المدينة على ذلك وقاية لرسوله ﷺ، وكان بذل الأموال لرجال من شيعته فمشوا إلى المدينة فاشتروا بها دارًا وأخذوا ذرع ما بين الدار والقبر، واحتفروا سربا عظيمًا حتى كادوا يصلون إلى القبر المكرم، فأطلع الله تعالى أهل المدينة على ذلك فقتلوا أولئك الفعلة ومثلوا بها، وردموا ذلك الحفير بالحجارة وأفرغوا عليه الرصاص، فلا يطمع أحد في الوصول إلى ذلك. الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٥٠ ط مكتبة لبنان.

(٢) يقول: ومن أغرب ما شاهدته فطبعًا هذا كلام غريب فعلاً.

تقدر أن ترفع يدها التي أعطاها فيها الدواء إلى رأسها نحو عشرة أيام ثم أتى إلى قريتنا شيخ عليه آثار الخير فداوى رأسي بغير أجر فبرأ ولله الحمد حتى كأن لم يكن به شيء وصار من أغزر الرؤوس شعرًا وأطيبها ريحًا وقد أوسع المصنف في ذكر المرائي فذكر في هذه المسألة وحدها نيفًا وأربعين رؤيا قال في أواخر الكتاب وحدثني القاضي نور الدين بن الصائغ قال كانت لي خالة وكانت من الصالحات العابدات عدتها في مرض موتها فقالت لي: الروح إذا قدمت على الله ووقفت بين يديه ما تكون تحيتها وقولها له فعظمت على مسألتها وفكرت فيها» ثم قلت تقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» فلما توفيت رأيتها في المنام فقالت لي جزاك الله خيرًا لقد دهشت فما أدري ما أقوله ثم ذكرت تلك الكلمة التي قلتها لي فقلتها ثم قال معناها والحكايات في هذا الباب كثيرة وهذا باب طويل جدًا والاعتماد في حقية جميعه على ما يقع فيه الإخبار بالأشياء المغيبة فتبين حتمًا كما وقع به الخبر سواء بسواء...

[الرد على من يقول: إن المرائي كلها علوم وعقائد في النفس]

ويكفي في الرد على من يقول إن المرائي كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم ما يترتب على الرؤيا من الأحوال والآثار من غير علم يتجدد للرائي بتلك الآثار أصلا لا حال الرؤيا ولا بعدها كأن يرى النبي ﷺ أو بعض أصحابه أو صالحي أمته في مكان فيرتفع عنه بلاء كان فيه أو تحل فيه بركة لم تكن وربما وقع بلاء فتكون رؤياهم حينئذ تثبيتًا ودلالة على أنه وإن كان بلا صورة فهو نعمة في الحقيقة أو ترى بعض الممقوتين في مكان فيحل به العذاب ولقد تواترت مرائي الناس مرارًا برؤية نصارى معهم حراب فيحصل عقب ذلك طاعون، والله أعلم.

وقال علي بن أبي طالب القيرواني العابد(١) كان عندنا وشاهدناه في عصرنا بمدينتنا أبو محمد عبد الله النفائسي وكان رجلا صالحًا مشهورًا برؤية الأموات وسؤالهم عن المغيبات ونقله إلى أهلهم حتى اشتهر بذلك وكثر منه وكان المرء يأتيه

(١) كلام غريب والله فكل الناس عباد.

فيشكو إليه أن حميمه قد مات من غير وصية وله مال لا يهتدي لمكانه فيعده خيرًا ويدعو الله في ليلته فيتراءى له ذلك الميت فيسأله عن الأمر فيخبره به فمن نوادره أن امرأة عجوزًا من الصالحات توفيت ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة فجاءت إليه وشكت إليه وأخبرته باسمها واسم الميتة ثم عادت إليه من الغد فقال لها تقول لك عدي من سقف بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في السابعة في خرقة صوف فوجدتها كذلك قال وأخبرني رجل لا أظن به كذبًا قال استأجرتني امرأة على هدم دار لها فلزمتني فقلت مالك قالت والله مالي إلى هدم هذه الدار من حاجة لكن أبي مات، وكان ذا يسار، فلم نجد له كبير شيء، فخلت أن ماله مدفون، فقال بعض من حضر: لقد فاتك ما هو أهون عليك، فلان تمضين إليه، وتسألينه أن يبيت قضيتك الليلة. فذهبت إليه، فكتب اسمها واسم أبيها، فلما كان من الغد، قال إن أباك يقول: المال في الحنية[1]، فجعلنا نحفر تحت الحنية، وفي جوانبها حتى لاح لها شق وإذا المال فيه، فتعجبنا والمرأة تقول مال أبي أكثر من ذلك، ولكن أعود إليه فعادت إليه فأخبرها أنه تحت الخابية المربعة التي في مخزن الزيت، فحفرت ذلك فوجدت كوزًا كبيرًا ثم عادت إليه فرآه فقال قد أخذت ما قدر لها وما بقي قد جلس عفريت من الجن يحرسه إلى من قدر له.

[الأدلة على اجتماع الأرواح]

قلت: ومن أعظم الأدلة على اجتماع الأرواح، وأغرب ما سمعت في زماننا ما حدثني غير واحد منه: سقر بن عبد الله الجانبكي، من أبناء الأمير جانبك، قرأ من طبقة القصر يوم الخميس، مستهل شهر ربيع الأول، من سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، أنه كان من أهل طبقتهم، صبي يسمى علي باي الإبراهيمي، سنه نحو عشر سنين، أو فوقها بيسير وكان إنما جلب إلى القاهرة من نحو عام واحد أو زيد بقليل حتى أنه لم يكن يعرف من لسان العرب شيئًا ولا مهر في اللسان التركي فطعن في أوائل صفر هذه السنه وغمر فغاب ثلاثة أيام ثم استيقظ فكان أول كلامه أن قال هاتوا الطير فقلنا ما الطير فقال جاءني ناس فأخذوني إلى المقابر فإذا أخي قانياي

---

(١) الحنية من البناء؛ ما كان منحنيا كالقوس. معجم محيط المحيط ص ٢٠٢.

هناك وكان في نحو سنه وكان قد توفي قبله بيسير فضيفني بطير فأكلته فلما لم يبق منه إلا العظام رميتها فعادت طيرًا كما كان ورأيت فلانًا وفلانًا وعد ناسا كثيرًا كانوا قد ماتوا قبل أن يجيء إلى بلاد الإسلام قال ورأيت هناك قصورًا أمامها مقاعد في تلك المقاعد ناس قاعدون فقلت من هؤلاء فقالوا الحجاج وتحتهم ناس نائمون بثيابهم فقيل هؤلاء المجاهدون يدخلون الجنة كما هم بثيابهم ورأيت جهنم يوقد عليها بالزفت والكبريت ورأيت شخصًا قد أتوا به فقالوا له كنت تقول أنا أمير أنا أمير من جعلك أميرًا فسكت فقالوا ما الذي كنت تعمل وضربوه ضربة انقلب منها حمارًا وشرعوا يحملون عليه ما أرادوا ذهابًا وإيابًا وذلك يوم السبت حادي عشر صفر يوم مات تمراز أمير سلاح وكان مولعًا بالشراب والأحداث وسألوه عن شخص من أصحابهم كان يشرب الخمر فقال ما رأيته ولكن أخبرني أخي أنه رآه قد نزعت عنه ثيابه البيض وألبس ثيابًا سودا وألقي في النار وأن نبينا ﷺ يشفع فيه قال ورأيت على ابن الأمير جانبك وكان سنه نحو أربع سنين وكان قد مات في هذا الطاعون وصبيًا آخر في نحو سنه في حضن رجل شيخ وكان لجانبك جارية سوداء ماتت فرآها تغمز رجل على ابن سيدها وهي بيضاء اللون فمر عليهم نبينا ﷺ فقال هذان -يشير إلى الصغيرين- مختونان فقال له ذلك الشيخ يشير إلى أحدهما هذا مختتن وهذا غير مختتن فقال ﷺ يختنه بعد شهرين قال ورأيت الموضع الذي يسجد فيه النبي ﷺ كأنه للشفاعة وقال لشخص اسمه قنصوة: أخوك -وكان قد مات في هذا الطاعون- يغلبك، ويقول: إنك لم تجئ في هذا القرب لم تجتمع به بعد ذلك أبدًا فمات بعد قليل وأخبرهم أن أولئك الأموات السعداء أخبروه أن المدين وقاتل النفس وآكل مال اليتيم لا يأتون إليهم يعني بل يذهبون إلى النار وكان شخص من أصحابهم يسمى جانبك يشرب الخمر فقال إن كنت أشربها فقد تبت وحججت فقيل له عافية امضوا به إلى مكانه فمضوا به إلى قصر من تلك القصور وكان شخص من أصحابهم ملازمًا للجامع والصلاة والتسبيح ولكنه كان يقول فلان لا يصلي فلان يفعل كذا يغتابهم وكأنه كان يعجب بنفسه فأتى به فقيل له أنت كنت تتكلم في الناس بالكذب نحن أعلم بمن يصلي ومن لا يصلي ثم صاروا يرفعونه إلى فوق ويرمونه وأخبرهم أنه رأى ناسًا مدفونين في الأرض على مقادير ذنوبهم واحد إلى كعبيه وآخر إلى ركبتيه

وآخر إلى أعلى من ذلك حتى أن منهم المدفون إلى فوق عينيه وقد جعلت عيناه فوق رأسه ورأى من الناس من يطير مثل الذباب ومنهم من يسير كالبرق ومنهم من يجري كالفرس ومنهم من هو دون ذلك حتى أن بعضهم كالمقعد فلما رأى منه أهل طبقته هذه العجائب شرعوا يسألونه عن أنفسهم فيقول لهذا أنت تشرب الخمر ولهذا أنت تشرب البوزة ولهذا أنت لا تشرب ونحو هذا لأناس كانوا يخفون منه أحوالهم غاية الإخفاء ولم يعلموا أنه اطلع على شيء من أعمالهم السيئة يومًا.

أخبروني هذا بحضور الأمير جانبك المذكور وهو يصدقهم أن هذا الأمر كان بحضور رجال كثيرين جدًا بحيث تواتر وأن جميع من سمع كلامه تاب عما كان يرتكبه من المعاصي وأنه استمر يحدثهم بمثل هذه الأعاجيب يومين جميعها باللسان العربي وقال: إنه لا يتكلم هناك إلا به وما تكلم عندهم بالشركسي ثم مات رحمه الله...

الأمر الثالث: هل تتلاقى أرواح الأموات وتتزاور أو لا؟ أنت عليم بأن الأرواح قسمان منعمة ومعذبة...

أما المعذبة: فهي لعمري عن التزاور والتلاقي في أشغل الشغل والله المسؤول أن يرحم ضعفنا فيجيرنا من ذلك ولا يكلنا إلى أعمالنا وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه المعية ثابتة في هذه الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث...

وقد تواترت المرائي بذلك قال صالح بن بشر رأيت عطاء السليمي في النوم بعد موته فقلت يا أبا محمد ألست في زمرة الموتى قال بلى قلت فماذا صرت إليه بعد الموت قال صرت والله إلى خير كثير ورب غفور شكور قلت أما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا فتبسم وقال أما والله لقد أعقبني ذلك فرحًا طويلا وسرورًا دائمًا فقلت في أي الدرجات أنت قال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. وقال عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت ما فعل الله بك؟ قال لقيت محمدًا وحزبه وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت ما صنع الله بك؟ قال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وقال ابن أبي الدنيا قال حماد قال هشام بن حسان حدثتني أم عبد الله وكانت من خيار نساء البصرة قالت رأيت فميا يرى النائم كأني دخلت دارًا حسة ثم دخلت بستانًا فذكرت من حسنه ما شاء الله فإذا أنا فيه برجل متكئ على سرير من ذهب حوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب فإني لمتعجبة من حسن ما أرى إذ قيل هذا مروان المحلمي أقبل فاستوى جالسًا على سريره واستيقظت من منامي فإذا جنازة مروان قد مر بها على بابي تلك الساعة.

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما في قصة الإسراء عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ لقى إبراهيم وموسى صلوات الله عليهم فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى فقال عهد الله إلي فيما دون مجيئها فذكر خروج الدجال قال فأهبط فاقتله ويرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيميتهم فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم ويجأرون إلي فأدعوا ويرسل الله بالماء فتحمل أجسامهم فتقذفها في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مدا فعهد الله إلي إذا أنت كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارًا فهذا نص في تذاكر الأرواح للعلم، وكذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة قال أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فحج آدم موسى وأخبر الله تعالى عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وأنهم**

يستبشرون بنعمة من الله وفضل...»[(١)].

وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن عبد الله بن يزيع أخبرنا فضيل بن سليمان النميري حدثني يحيى بن عبد الرحمن أبي لبيبة عن جده قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدا عليه أم بشر وجدا شديدًا[(٢)] فقالت يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام فقال رسول الله ﷺ **«نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر»** فكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١/٤) في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٣١) باب وفاة موسى وذكره بعد - من طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة. وروى (٥/ ٢٣٩) (٦٥/٢٠) كتاب التفسير (١). "باب واصطنعتك لنفسي" من طريق مهدي بن ميمون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة نحوه. وروى (٢٣٩/٥، ٢٤٠) في الكتاب نفسه - (٣) باب (فلا يخرجنك من الجنة فتشقى) - من طريق أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه. وروي (٢١٤/٧) في (٨٢) كتاب القدر. - (١١) باب تحاج آدم وموسى عند الله من طريق سفيان عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة نحوه. وفي (٢٠٣/٨) (٩٧) كتاب التوحيد (٣٧) باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] من طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه. ورواه مسلم (٢٠٣٤/٤-٢٠٤٤) في (٤٦) كتاب القدر - (٢) باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم (٢٦٥٢/١٥) وذلك إحالة على روايات رواها قبل هذا الحديث من طريق أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذباب عن يزيد بن هرمز وعبد الرحمن الأعرج قال: سمعنا أبا هريرة بمعناه. ومن طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه وروى من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة نحوه (٢٦٥٢/١٣) كما روي نحوه من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه. ورواه أحمد (٥٦/١٦) رقم (٨١٤٣/٤٦). ورواه عبد الرزاق رقم (١١٣/١١) في كتاب الجامع - باب القدر - عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رقم (٢٠٠٦٨) وفيه «أتلومني على أمر كان قد كتب قبل أن أفعله - أو قال: من قبل أن أخلق». وكذلك رواه البغوي الفراء في باب الإيمان بالقدر...وقال هذا حديث متفق عليه.

(٢) أي حزنت عليه حزنًا شديدًا.

قلت: وقال ابن أبي الدنيا في الجزء الثاني من المنامات حدثني أبو محمد يعني القاسم بن هاشم أخبرنا يحيى بن صالح الوحاظي أخبرنا محمد بن سليمان هو ابن أبي ضمرة القاض حدثني راشد بن سعد أن رجلا توفيت امرأته فرأى نساء في المنام ولم ير امرأته معهن فسألهن عنها فقلن إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره فقال النبي ﷺ: «**انظر هل إلى ثقة من سبيل قال فأتى رجلا من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره فقال الأنصاري إن كان أحد يبلغ الموتى بلغت فتوفي الأنصاري فجاء بثوبين مترودين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصاري فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليه الثوبان الأصفران وهذا السند منقطع بين راشد والصحابي**».

وقال: حدثني العباس بن جعفر هو ابن الزبرقان البغدادي أخبرنا مسلم بن إبراهيم الوراق أنبأنا عكرمة بن عمار عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم**» وهذا السند ضعيف وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه عن محمد بن يسار عن عمر بن يونس عن عكرمة لكن لم يذكرا ما في آخره والله أعلم...

وروى يعني: ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوقعون الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون لا فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا.

وذكر معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة أن أبارهم المسمعي حدثه أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات من قبل قال إنه مات قبلي قالوا:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]».

ذهب به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية ورواه عبد الله بن التكريتي المعروف بابن سويدة في [كتاب اللباب في مناقب الألباب] من طريق ثور عن خالد بن معدان عن أبي رهم عن أبي أيوب الأنصاري ولفظه قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا مات تلقته أقرباؤه وذوو رحمه من الأموات كما يتلقون البشير في دار الدنيا فيقبلون عليه فيسألونه ثم يقول بعضهم لبعض روحوه ساعة فقد خرج من كرب شديد فيتنفس ساعة ثم يقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت فإذا سألوه عن إنسان قد مات يقول الميت هيهات مات قبلي فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية، وتعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا حسنة استبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبادك وإن رأوا سيئة اكتأبوا وقالوا اللهم راجع بعبدك فقال ﷺ: لا تحزنوا أمواتكم بالعمل السيئ فإن أعمالكم تعرض وسيأتي في أوائل العشرة ما يشاكل هذا....**».

وقال سعيد بن المسيب: «إذا مات الرجل استقبله والده، كما يستقبل الغائب».

[المسألة السابعة]

[بأي شيء تتمايز الأرواح بعد مفارقة الأشباح حتى تتعارف وهل تتشكل بأشكال أبدانها]؟اعلم أن جواب هذه المسألة لا يمكن إلا على أصول أهل السنة في أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنـــزل وتتصل وتنفصل وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن قال وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرتها في الكتاب الكبير في معرفة الروح والنفس وقد وصفها الله تعالى بالدخول والخروج والقبض والتوفي والرجوع والصعود وأن أبواب السماء تفتح لها أو تغلق عنها فقال: ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال فيما يقال لها عند فراق الجسد: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ

ﭐلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧]. كما قال عن البدن: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧].

فسوى بدنه كالقالب لنفسه فتسويه البدن تابع لتسوية النفس..

ومن هنا تعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها وهي كذلك تطيب بطيبه وتخبث بخبثه فأشد الأشياء ارتباطًا وتناسبًا وتفاعلا وتأثرًا من أحدهما بالآخر الروح والبدن ولهذا يقال لها عند المفارقة اخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب أو اخرجي أيتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث وقال تعالى عن الشهداء: ﴿ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقد فسر النبي ﷺ هذه الحياة بأن: **أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل** وفي رواية في صور طير كما تقدم في المسألة الخامسة وأخبر أن نسمة المؤمن وهي روحه طائر يعلق في شجر الجنة وأن الله اطلع على الشهداء فقال هل تشتهون شيئًا حتى قال: فقالوا نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا كيما نقتل في سبيلك مرة أخرى وهذا صريح في أكلها وشربها وكلامها وحركتها وانتقالها، وإذا كان هذا شأنها فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان والاشتباه بينها أبعد من اشتباه الأبدان فإن الأبدان تشتبه كثيرًا.

وأما الأرواح فقل ما تشتبه، يوضح هذا أنا لم نشاهد أرواح الأنبياء والأئمة وهم يتميزون في علمنا أظهر تميز وليس ذلك التميز راجعًا إلى مجرد أبدانهم بل هي بما عرفنا من صفات أرواحهم وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين وقل أن ترى بدنًا قبيحًا وشكلا شنيعًا إلا وجدته مركبًا على نفس تشاكله وتناسبه وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الأبدان وقل أن

تخطئ ويحكى عن الشافعي رحمه الله في ذلك عجائب وقل أن ترى شكلا حسنًا وصورة جميلة وتركيبًا لطيفًا إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة، هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتبار إذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم وكذلك الجن فالأرواح البشرية أولى.

الفصل الخامس

١- فتنة القبر بالسؤال فيه.

٢- هل تنفع أو تضر أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أو لا؟

٣- عذاب القبر ونعيمه.

[المسألة الثامنة]

[في فتنة القبر بالسؤال وفيه أمور]

الأول في أنه أيخص هذه الأمة أم يعم جميع الأمم؟ قال أبو عبد الله الترمذي إنه يخص هذه الأمة لقوله ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**» وقال: «**أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**» ولقول الملكين ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، وقال ﷺ: «**إنكم بي تمتحنون وعني تسألون**» وقال عبد الحق والقرطبي السؤال لها ولغيرها وتوقف آخرون منهم ابن عبد البر، والحق ما قال عبد الحق أنه عام لنا ولغيرنا ولا دلالة في الأحاديث المذكورة على الخصوص غايتها أنه خاطبنا بما ينفعنا فقال: «**إنكم تفتنون** »فحذرنا لنعمل ولا دلالة فيه على نفي ذلك عمن تقدمنا، وكذا ما بعده والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك وأنهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم فيقال لهم ماذا أجبتم المرسلين وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦].

قلت: بل في بقية هذا الحديث بعينه ما يشعر بالعموم وهو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهودية جاءت تسألها فقالت أعاذك الله من عذاب القبر..

وفي رواية فذكرت عذاب القبر فقالت لها: «أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم فقال ﷺ: «**عائذاً بالله من ذلك**» ثم ركب رسول الله ﷺ مركبا فخفت الشمس الحديث وفي آخره وانصرف فقال ما شاء الله أن يقول ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر، أخرجه الشيخان والنسائي..

وفي لفظ للنسائي أن النبي ﷺ قال: «**الناس يفتنون في قبورهم كفتنة الدجال**» وعند البخاري من حديث إسماعيل نحوه وزاد «**يؤتى أحدكم فيقال ما علمك بهذا الرجل**»(١) إلى آخره وللنسائي في حديث عائشة «**إنكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال**» فسمعته بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر...

وفي لفظ له: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول

(١) وأخرجه الإمام أحمد عن عائشة: كنز العمال (٦٤١/١٥) ورقم الحديث (٤٢٥٣١).

إنكم تفتنون في القبور فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «**إنما تفتن يهود**» فلبثنا ليالي ثم قال: «**إنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور**» فسمعته بعد ذلك يستعيذ من عذاب القبر...

وفي لفظة له: «دخل علي عجوزتان من عجوز يهود المدينة فقالتا إن أهل القبور يعذبون في القبور فكذبتهما» فسألت النبي ﷺ فقال: «**صدقتا فما رأيته صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر**» وفي رواية البخاري «فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» وقد تقدم هذا الحديث في المسألة الرابعة ويأتي في أول العاشرة أتم مما هنا...

وجه الدلالة من هذا الحديث أن اللفظ الذي فيه تفتنون في القبور إن كان لفظ اليهودية صلح دليلا على العموم لأنها لا تعرف ذلك هي ولا أحد من أهل ملتها إلا عن أنبيائهم فحكمه حكم المرفوع إلى نبي، ويبعد أن يكون أخبرهم نبيهم في هذا عن أمر يخصنا لأنه حينئذ يكون منفرًا من دين هذا شأن من يدخل فيه وإن كانت عبرت في عذاب القبر وفهمت عائشة منه الفتنة فحكته بذلك فهو كفاية في المقصود وأعظم من ذلك قول النبي ﷺ إنما تفتن يهود فكأنه ﷺ لم يكن أوحي إليه إذ ذاك أن الفتنة إلا لليهود ولأجل ذلك حضر بالنسبة إلى علمه حينئذ.

فإن قيل: سلمنا ولكن هذه الفتنة إنما هي كناية عن العذاب لا عن خصوص الفتنة بالسؤال قيل روى الشيخان وغيرهما وهذا لفظ مسلم عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**».

نزلت في عذاب القبر، يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فقد فسر عذاب القبر بالسؤال وكأنه لكونه ربما كان سببًا له فإن كان من هذه الأمة فقال نبيي محمد وإن كان من غيرها ذكر نبيه والله أعلم.

الأمر الثاني: هل يعم السؤال مكلفي هذه الأمة وغير مكلفيهم، أو لا؟ اختلف الناس في ذلك على قولين هما وجهان لأصحاب أحمد والحجة في سؤالهم مشروعية

الصلاة عليهم والدعاء لهم كالمكلفين..

وفي الموطأ عن أبي هريرة ﷺ أنه صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه «اللهم قه عذاب القبر» وسيأتي في ضمه القبر عن عائشة وغيرها ثبوته للصبي.. وقال هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ قال: «إن كان ليصلي عن المنفوس ما إن عمل خطية قط فيقول اللهم أجره من عذاب القبر».

قلت: ومن ذلك حديث أبي هريرة أيضًا صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا**»(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم قال وله شاهد صحيح فرواه من حديث أبي سلمة عن عائشة بنحوه وأعله الترمذي بعكرمة بن عمار وقال إنه يهم في حديثه ذكره شيخنا في تخريج أحاديث الرافعي..

وأخرج النسائي من حديث أبي إبراهيم الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول في الصلاة على الميت «**اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا ذكرنا وأنثانا وصغيرنا وكبيرنا**»(٢) ونقل شيخنا عن البخاري أنه قال إنها أصح الروايات والله أعلم...

وقد ورد في امتحانهم في الآخرة أحاديث كثيرة وحكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور والذي كان يكمل عقولهم لو بقوا في الدنيا قادر على أن يكملها بعد الموت في لحظه...

وأجيب عن حديث: «**إن الله لا يعذب أحدًا بلا ذنب عمله**»(٣) بأن عذاب

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٧٠، ٥/٢٩٩، ٣٠٨، ٣٦٨). رواه الترمذي (٣/٣٣٤) رقم (١٠٢٤) قال أبو عيسى حديث حسن -صحيح الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان- عكرمة بن عمار العجلي، أبو عمار، اليمامي، أصله من البصرة، صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيى بن علي بن أبي كثير اضطراب، ولم يكن له كتاب، من الخامسة مات قبل الستين تقريب التهذيب ترجمة رقم (٤٦٧٢) ط دار الرشيد حلب سوريا.

(٢) سنن النسائي (٤/١٨٨٦).

(٣) ورد «إن الله لا يعذب العامة بعذاب الخاصة» كنز العمال (٣/٥٥١٣)

القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره والعذاب أعم من العقوبة.

قلت ووراء ذلك حديث: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» الدال على أن غير المكلف قد يعذب بعلم الله فيه أنه لو وصل إلى حد المكلفين عصى...

فإن قيل إنما هذا في أطفال الكفار قيل ومن أين لنا أن أبا هذا الطفل الذي يصلى عليه ختم له ويختم له بخير فلعمري إن ذلك الأمر ما يعلمه إلا علام الغيوب ما قطع قلوب الأكابر إلا خوف الخاتمة وهول المطلع والله أعلم...

الأمر الثالث: أيعم السؤال مسلم هذه الأمة وكافرها أم يخص المؤمن والمنافق قال ابن عبد البر في التمهيد: الآثار دالة على أن الفتنة لا تكون إلا لمؤمن أو منافق؟ والقرآن والسنة يدلان على خلاف ذلك وأن السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:٢٧]..

وفي الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل من ربك...؟وفي الصحيحين عن أنس ﷺ: «**أن العبد إذا وضع في قبره**»(١) الحديث في السؤال زاد البخاري [وأما المنافق والكافر فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري] فقال المنافق والكافر بالعطف بالواو وعامة من روى حديث البراء قال وأما الكافر بالجزم وبعضهم قال وأما الفاجر وبعضهم المنافق والمرتاب..

وفي حديث أبي سعيد: «وإن كان كافرًا أو منافقًا» وسيأتي في مسألة عذاب القبر كثير من أحاديث السؤال...

وروى الإمام أحمد قال المنذري بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أيضًا ﷺ قال كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: «**يأيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه جاءه ملك وفي يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال أشهد أن لا**

---

(١) عزاه السيوطي في كنز العمال (١٥/٦٤٣) رقم (٣/٤٢٥٠) وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند وقال: متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ١٢٣) وأبو داود والنسائي عن أنس.

إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول له صدقت، فيفتح له بابًا من إلى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك وأما الكافر والمنافق فيقول له ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري فيقول: لا دريت ولا تليت، ثم يفتح له بابا إلى الجنة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا ثم يفتح له بابا إلى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله إلا الثقلين فقال بعض أصحابه يا رسول الله ما أحد يقوم عند رأسه ملك إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله ﷺ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قلت وفي مسند أبي يعلى عن جابر موقوفًا: «إذا أدخل قبره فجاءه الملك فقام يهب كما يهب النائم فيسألانه فيجيبهم فيقولان ما دينك فيقول الإسلام: دعوني حتى أخرج فيقولان له اسكت».

ولأحمد قال المنذري من طريق ابن لهيعة والطبراني بإسناد جيد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ ذكر فتان القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم كهيئتك اليوم**» فقال عمر بغية الحجر وللزار قال المنذري رواته ثقات عن عائشة قالت قلت يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والله أعلم.

[المسألة التاسعة]

هل تنتفع أو تضر أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أو لا...؟أجمع أهل السنة على انتفاعهم بشيئين..

أحدهما: ما تسبب فيه الميت في حياته لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ مرفوعًا: «**من سن سنة حسنة**

فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

وفي المسند عن حذيفة ﷺ قال سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ فأمسك القوم ثم إن رجلا أعطاه فأعطى القوم فقال النبي ﷺ: **«من سن خيرًا فاستن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيء ومن سن شرًا فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيء»**(٢).

وفي الصحيحين والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»**(٣).

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٤).

وأخرجه ابن ماجه في أول سننه في فضل العلماء وابن خزيمة في صحيحه بلفظ «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا نشره وولدًا صالحًا تركه ومصحفًا ورثه ومسجدًا بناه وبيتًا لابن السبيل بناه ونهرًا أجراه وصدقة أخرجها من

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ٢٠ رقم (٦٩-١٠١٧). وصحيح مسلم ٤٧ كتاب العلم باب من سن سنة حسنة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٥٩/٤) رقم (١٥-١٠١٧).

(٢) البخاري (١٠٠/٢ فتح) من طريق عبيد الله بن موسى عن الأعمش، (١٦٢/٤). والإمام مسلم، القسامة الباب (٧) رقم (٢٧). وابن ماجه (٢٦١٦) والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٣). والبيهقي (١٥/٨) والدر المنثور (٢٧٦/٢). وكنز العمال (٣٩٩٠٦) (٣٩٩٤٩). وحلية الأولياء (٢٨١٩)، وعبد الرزاق (١٩٧١٨) (٤٦٤/١١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٧٦) ونصب الراية (١٥٩/٣) إتحاف (١١٤/١، ٢٢/٥، ٨٧/٩) وتفسير ابن كثير (٥٥١/٦) (٤٠٩/٧) والتلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (٦٨/٣). وكشف الخفاء (١٠٥/١)، والترغيب (٩٩/١)، (١١٠، ١١٨)، وابن كثير (٥٥١/٦). المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١٢/١)، (١٣/٢).

(٤) صحيح الجامع برقم (٧٩٣).

ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته»[1].

قلت وأخرجه البزار وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: «سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره من علم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلا أو بنى مسجدًا أو ورث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[2].

فنظمت ما اجتمع في الروايتين من الخصال وهي عشر إلا واحدة فقلت للعبد يجري الأجر بعد الموت في تسع كما قال الرسول المصطفى إجراء نهر حفر بئر غرس نخل نشر علم والتصدق في الشفا وبناء بيت ابن السبيل ومسجد وبتركه ابنًا صالحًا أو مصحفا.

الثاني: دعاء المسلمين له واستغفارهم، والتصدق عنه والحج؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وأجمع الأمة على الدعاء للميت في صلاة الجنازة والأحاديث الصحيحة في صلاته ﷺ على الجنائز ودعائه لهم كثيرة جدًا وفي السنن عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[3].

قلت: قال شيخنا أبو الفضل بن حجر رحمه الله في تخريج أحاديث الرافعي رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والبيهقي وفيه ابن إسحاق وقد عنعن لكن أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عنه مصرحًا بالسماع والله أعلم....

وفي السنن عن عثمان بن عفان ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: **استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[4]. قلت: قال شيخنا رواه أبو داود والحاكم والبزار والله أعلم...

---

(١) صحيح الجامع برقم (٢٢٣١).

(٢) صحيح الجامع برقم (٣٦٠٢).

(٣) ابن ماجه برقم (١٤٩٧).

(٤) صحيح الجامع برقم (٩٤٥).

وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها قال: **«نعم»**.

وفي البخاري عن ابن عباس أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها قال: **«نعم»** قال: فإني أشهدك أن حائطي المحرق صدقة عنها...

وفي السنن والمسند عن سعد بن عبادة ﵁ أنه قال يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل قال: **«الماء»** فحفر بئرًا وقال هذه لأم سعد....

وفي مسلم عن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي ﷺ: «إن أبي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفي عنه أن أتصدق عنه قال: **«نعم...»**.

وفي البخاري أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال: **«حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»**.

وفي سنن النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سنان بن سلمة الجهني أرسلت تسأل رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزي ابنتها أن تحج عنها، قال: **«نعم لو كان على أمها دين فقضته ألم يكن يجزي عنها..»**(١).

وفيه عنه أيضًا أن امرأة سألت النبي ﷺ عن أبيها مات ولم يحج أفأحج عنه قال: **«أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم قال: فدين الله أحق»**(٢).

والوصول إلى الميت ثواب العمل عند الجمهور...

وقال بعض الحنيفية بل ثواب الإنفاق واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فمذهب أحمد وجمهور السلف وصولها نص عليه الإمام أحمد في رواية محمد بن يحيى الكحال قال قيل لأبي عبد الله الرجل يعمل

---

(١) سنن النسائي ط دار البشائر الإسلامية ببيروت (١١٦/٥) الحج عن الميت الذي لم يحج.

(٢) كنز العمال (١٢٣٣١/٥) وعزاه السيوطي إلى الطبراني عن حصين بن عوف. (٥/ ١٢٨٥١) وعزاه السيوطي للطبراني وأبي نعيم. (١٢٨٥٦/٥) وعزاه السيوطي لابن جرير.

الشيء من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه قال أرجو وقال الميت يصل إليه كل شيء من صدقة وغيرها وقال اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد وقل اللهم فصله لأهل المقابر وهو قول بعض الحنيفية لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله «إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فأقضيه عنها قال: **نعم فدين الله أحق أن يقضى..**».

وفيهما عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»(١) ولأحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهرًا فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت ابنتها وأختها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تصوم عنها». وفي السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين**»(٢).

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن ابن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنه وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين وأن عمرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك...**»(٣).

والعبادات قسمان مالية وبدنية وقد نبه الشارع ﷺ بوصول ثواب الصدقة وعلى وصول ثواب سائر الأعمال المالية أما أداء الدين فبالإجماع ولو كان من أجنبي بلا إذن أو من غير تركة الميت وبوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية وبوصول ثواب الحج على وصول ثواب المركب منها والمشهور من مذهب الشافعي ومالك أن ثواب العبادة البدنية المتمحضة لا يصل

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٢/٦٩٠) ٣٦ في كتاب الصوم رقم (١٨٥١) ٤١ - باب من مات وعليه صوم، رقم (٢٣٧٩٩)، أخرجه مسلم (٢/٨٠٣). ١٣- كتاب الصيام. ٢٧- باب قضاء الصيام عن الميت، رقم (١٥٣-١١٤٧) وأخرجه أحمد (٦/٦٩) وأبو داود.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في الإفطار متعمدًا رقم (٧٢٣)، رقم (٧١٨)، وأخرجه ابن ماجه عن عمر، وأخرجه ابن ماجه وأبو نعيم في الحلية وصحيح (١٠/٢٤٦).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢/١١٢).

لأن العبادات نوعان:

أحدهما: لا تدخله النيابة بحال كالإسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه كما في الحياة.

والثاني: تدخله النيابة كرد الودائع وأداء الديون وإخراج الصدقة والحج فهذا يصل ثوابه إلى الميت لأنه يقبل النيابة في الحياة فبعد الموت أولى...

وأما مسألة الصوم فجوابها من وجوه:

أحدها: أن مالكا قال في موطئه لا يصوم أحد عن أحد قال وهذا أمر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه..

الثاني: أن حديث ابن عباس فيها اختلف في إسناده كما قال صاحب المفهم في شرح مسلم وقد طعن فيه الشافعي بأن في بعض طرقه -وهو في الصحيحين-: «أن سعد بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ فقال إن أمي ماتت وعليها نذر فقال **اقضه عنها**» فلم يبين ابن عباس نذرها ما هو واحتمل أن يكون نذر حج أو عمرة أو صدقة.

الثالث: أنه معارض بالنص وهو قوله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

الرابع: أنه معارض بما رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًا**(١) **من حنطة**».

الخامس: أنه معارض بالقياس الجلي على الصلاة والإسلام والتوبة. وأما الدعاء فإنما هو شفاعة والجواب أن مراد مالك إجماع أهل المدينة لا إجماع الأمة فممن قال بالصيام الحسن وهو قبل مالك..

وأما دعوى الاختلاف في سند الحديث فباطلة فالحديث متفق علي صحته ولم

---

(١) المد: مكيال وهو رطلان عند أهل العراق ورطل وثلث عند أهل الحجاز. وقيل: المد: هو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمي مدا قاله الفيروزآبادي. وقال: قد جربت ذلك فوجدته صحيحًا انظر محيط المحيط ص (٨٤٢) ط مكتبة لبنان.

يختلف في إسناده. وهب أنه اختلف فيه فما الجواب عن حديث عائشة وغيرها قال ابن عبد البر ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**». وصححه الإمام أحمد وذهب إليه وعلق الشافعي القول به على صحته فقال وقد روى عن النبي ﷺ في الصوم عن الميت شيء فإن كان ثابتًا صيم عنه كما يحج عنه.

قتل: وهو مذهبه في القديم وهو المفتي به في الجديد..

قال الشيخ محيي الدين في المنهاج قلت القديم هنا أظهر أي لحديث عائشة رضي الله عنها وغيره من الأحاديث الصحيحة....

وحكى البندنيجي أن الشافعي رضي الله عنه قال في أماليه- «إن صح الحديث قلت به» قال ابن الملقن في عجالته على المنهاج والله أعلم...

قال البيهقي في كتاب المعرفة بعد حكاية هذا التعيق فقد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية أكثرهم أن امرأة سألت فأشبه أن يكون غير قصة أم سعد، وفي رواية صومي عن أمك قال ويشهد له بالصحة رواية عبد الله بن عطاء المدني حدثني عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه قال: «كنت عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة فقالت يا رسول الله إني كنت تصدقت بوليدة على أمي فماتت وبقيت الوليدة قال قد وجب أجرك ورجعت إليك في الميراث قالت فإنها ماتت وعليها صوم شهر قال صومي عن أمك قالت فإنها ماتت ولم تحج قال فحجي عن أمك» رواه مسلم في صحيحه من أوجه عن عبد الله بن عطاء انتهى.

قلت ومما يؤيد أن هناك قصة غير قصة أم سعد أيضًا، رواية النسائي عن ابن عباس قال: ركبت امرأة البحر، فنذرت أن تصوم شهرًا، فماتت قبل أن تصوم، فأتت أختها النبي ﷺ، فذكرت ذلك، فأمرها أن تصوم عنها. وسنده ثقات. كلهم، والله أعلم، ولو سلم أن الرواية التي فيها أم سعد، وأنها ماتت، وعليها نذر هي المحفوظة، فترك الاستفصال يدل على أنه لا فرق بين حكم نذر الحج، وغيره وإلا لقال له ما الذي نذرته، على أنه قد روى عن ابن عباس، جاء رجل، وفيه إن أمي ماتت وعليها صيام شهر وهو في الصحيحين كما تقدم وأما كونه معارضًا بالنص فيدفعه أن توده إلى المسلمين بدخوله في حزبهم المقتضي لعطفهم عليه وعملهم عنه

من جملة سعيه كما أن ولده من سعيه..

وأما معارضته بما رواه النسائي فخطأ فإن النسائي نفسه قال أخبرنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا يزيد عن زريع أخبرنا حجاج الأحول أخبرنا أيوب بن موسى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: «لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطه» هكذا وقفه على ابن عباس فغايته أن يكون أفتى بخلاف ما روى وهو لا يقدح في روايته لاحتمال نسيانه لها أو تأوله على أن فتواه غير معارضة لروايته فإنه حمل الصيام في روايته على النذر فأفتى بجواز صيامه وإن رمضان لا يصومه أحد عن أحد ولم يبلغه حديث عائشة.

وأما القياس فالإسلام والتوبة سبب لقبول الأعمال فلا يقاس المسبب على السبب وسر المسألة أن الثواب ملك العامل فإذا تبرع به لأخيه المسلم أوصله أكرم الأكرمين إليه فما الذي خص من هذا الثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه، ولم يزل عمل الناس عليه حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من أحد من العلماء والأنفع للميت من ذلك ما كان أنفع في نفسه فالعتق والصدقة أنفع من الصيام لتعدي نفعهما وقصور نفعه وأفضل الصدقة سقي الماء على الأنهار وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق وإخلاص وتضرع فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه وذلك كالصلاة على جنازته والوقوف على قبره للدعاء، قلت والمجمع عليه كالصدقة أولى مما اختلف فيه.

[المسألة العاشرة]

في عذاب القبر ونعيمه وما محله أهو النفس أم البدن أم هما وهل ذكر في القرآن أم لا وفي أنه دايم أم منقطع وما يوقع فيه وما ينجي منه.

أما عذاب القبر فحق أعاذنا الله منه ولا خلاف بين أهل السنة فيه لثبوته في الأخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة المتواترة أي تواترًا معنويًا.

ففي صحيح مسلم وجميع السنن عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب**

القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»[١].

وفي صحيح مسلم أيضًا وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن «**اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا وأعوذ بك من فتنة الممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»[٢].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ. مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**» وفي رواية: «**بلى أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فوضع على كل قبر نصفا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا...**».

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد عن زيد بن ثابت ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلته ونحن معه، إذ جاءت به؛ فكادت أن تلقيه فإذا أقبرة ستة أو خمسة أو أربعة فقال: « **من يعرف أصحاب هذه القبور**» فقال رجل أنا فقال: «**فمتى مات هؤلاء**» قال ماتوا في الإشراك فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**» قالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**» قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال.

قلت: رواه أبو داود واللفظ له والنسائي عن أنس بن مالك ولفظه أن رسول الله ﷺ دخل نخلا لبني النجار فسمع صوتًا ففزع فقال: «**من أصحاب هذه القبور** قالوا يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية فقال **تعوذوا بالله من عذاب النار ومن فتنة**

---

(١) صحيح مسلم ٥- كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤١٢/١) رقم ١٣٠ - (٥٨٨).

(٢) صحيح مسلم - ٥- كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ٢٥ رقم الحديث ١٣٤-٥٩٠.

قال مسلم بن الحجاج: بلغني أن طاوسًا قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك فقال: لا قال: أعد صلاتك لأن طاوسا رواه عن ثلاثة أو أربع.

الدجال قالوا ومم ذاك يا رسول الله؟ قال: **فإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له ما كنت تعبد فإن الله هداه قال كنت أعبد الله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسأل عن شيء غيرها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا بيتك كان في النار ولكن الله عز وجل عصمك ورحمك فأبدلك بيتًا في الجنة، فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين**»، وأصله في الصحيحين كما سيأتي في اتساع القبر وضيقه من هذه المسألة...

ورواه أبو يعلى عن جابر، مختصرًا قال: دخل رسول الله ﷺ على بني النجار فسمع صوتًا فخرج مذعورًا فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**»[1] انتهى...

وفي الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال: «**يهود تعذب في قبورها...**»[2].

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها فخرجت ودخل رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن عجوزًا من عجائز يهود المدينة دخلت علي فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم قال: «**صدقت**

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة (٢٦) والترمذي رقم (٣٦٠٤) والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٦/٣٦٢) مجمع الزوائد (٣/٤٩، ٥٦) وإتحاف السادة المتقين (١٠/٤٠٠) وكنز العمال (٤٢٥١١، ٤٢٥١٢، ٤٢٩٣٦) والدر المنثور (٣/٨٣، ٤/٧٨) وابن حبان (٧٨٧) والكامل لابن عدي (٣/١٠٤٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٣/٣٧٤، ٣٨٠) وسنن ابن أبي عاصم (٢/٤٢٤).

(٢) صحيح البخاري (١/٤٦٣). ٢٩ كتاب الجنائز ٨٦- باب التعوذ من عذاب القبر رقم (١٣٠٩) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم (٢٨٦٩) وجبت الشمس: أشرقت.

إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها» فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[١] وقد تقدم هذا الحديث في المسألة الثامنة والرابعة بغير هذا اللفظ.

وفي صحيح ابن حبان عن أم مبشر قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يقول: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب قال: «**إنهم ليعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم**». قال بعض أهل العلم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين والإسماعيلية والقرامطة بمصر والشام فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعا وحرارة تذهب المغل قال عبد الحق الأشبيلي وقد سمع عليه صحيح مسلم فوصل القارئ إلى حديث أنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم فقال حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتا بقريتهم في شرق أشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابته ترعى قريبًا منهم فإذا بها قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى، وهذا السماع واقع على أصوات المعذبين قال هناد بن السري في كتاب الزهد حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**والذي نفسي بيده إنهم ليعذبون في قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم**» وقد تقدم في مسألة السؤال حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قول الله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢١]».

---

(١) نص الحديث كما أخرجه البخاري.... عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: «أعاذك الله من عذاب القبر» فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. أخرجه البخاري ٢٩- كتاب الجنائز. ٨٥- باب ما جاء في عذاب القبر رقم الحديث (١٣٠٦)

بلفظ آخر أخرجه الشيخان وأصحاب السنن(١).

وتقدم أيضًا في مسألة إعادة الروح عند أهل السنن والمسانيد مطولا جدًا وفيه التصريح بإعادة الروح إلى الجسد وباختلاف أضلاعه وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين.

وفي جامع الترمذي وقال حسن غريب وصحيح أبي حاتم بن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد رسول الله ﷺ فهو قائل ما كان يقول فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا وينور له فيه ويقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي ومالي فأخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقًا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئًا فكنت أقوله فيقولان له كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يقول ذلك للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك...»**(٢).

وعن أبي هريرة أيضًا ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إذا حضر المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي أيتها الروح الطيبة راضية مرضيًا عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا، فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقول ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، فيأتون به أرواح**

---

(١) عزا هذا الحديث الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور (٤/٧٨) إلى الطيالسي والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب.

(٢) أخرجه أبو عيسى الترمذي في جامعه (٤/٢٧٤) رقم (١٠٧١). قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب وجاء في هامشه لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي أي أنه مما تفرد به الترمذي.

المؤمنين فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه، يقدم عليه يسألونه ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه يستريح؛ فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال: قد مات ألم يأتكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة من العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيقولون ما أنتن هذه الروح حتى يأتوا به أرواح الكفار». وفي رواية: **«فيذهب به إلى باب الأرض»** رواه النسائي[1] والبزار ومسلم[2] مختصرا وأخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وقال: **«إن المؤمن إذا حضره الموت، حضرته ملائكة الرحمة. فإذا قبض جعلت روحه في حريرة بيضاء فينطلق بها إلى باب السماء فيقولون ما وجدنا ريحًا أطيب من هذه فيقولون ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة فيقال دعوه ليستريح فإنه كان في غم الدنيا، وأما الكافر، إذا قبضت نفسه ذهب بها إلى الأرض فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه فيبلغ بها إلى الأرض السفلى»**، قال المنذري وهو عند ابن ماجه بإسناد صحيح وقد تقدم في آخر المسألة [السادسة] ما يتصل بهذا وسيأتي في ضمة القبر عدة أحاديث ومعلوم أنها للجسد بواسطة الروح...

وروى الطحاوي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«أمر بعبد من عباد الله؛ أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه؛ حتى صارت**

(١) أخرجه النسائي (٢١) كتاب الجنائز (٨/٤) رقم (١٨٣٣). ٩- باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه واللفظ للنسائي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٢/٤) رقم (٧٥ -٢٨٧٢) من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها» قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض. صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فينطلق به إلى ربه عز وجل. ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل» "أي إلى سدرة المنتهى" قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها، وذكر اللعنات ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل. أي: إلى سجين. قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه، هكذا. الريطة: ثوب رقيق - وقيل: هي الملاءة -وكان سبب ردها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر.

واحدة، فامتلأ قبره عليه نارًا، فلما ارتفع عنه، أفاق فقال علام جلدتموني، قالوا إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم، فلم تنصره...».

[عذاب البرزخ]

وفي صحيح البخاري، عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ، إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: ما شاء الله. فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: «لا قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم، وبيده كلوب[1] من حديد يدخله في شدقه[2] حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم[3] شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا؟ قال: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[4] فيشدخ[5] بها رأسه فإذا ضربه تدهده[6] الحجر ههنا فينطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع توقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحته فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فإذا خمدت رجعوا فقلت ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان فقلت ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى إذا أتينا إلى روضة خضراء فيها

---

(١) كلوب: الحديدة التي ينشل بها اللحم ويعلق، ومثله الكلاب.

(٢) شدقه: جانب فمه.

(٣) يلتئم: يصح ويبرأ.

(٤) بفهر: بحجر ملء الكف.

(٥) فيشدخ: من الشدخ وهو كسر الشيء الأجوف.

(٦) تدهده: تدحرج.

شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار توقدها فصعدا بي إلى الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ثم صعدا بي وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل قلت طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة وأما الذي رأسه في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكلو الربا وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس والذي يوقد النار فمالك خازن النار والدار الأولى دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة قالا ذاك منزلك قلت دعاني أدخل منزلي قالا إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»(١) وهذا نص في عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر، وقد يقال يفعل به إلى يوم القيامة..

وروى البيهقي من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١].

قال أتي بفرس فحمل عليه خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا في يوم عاد كما كان فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة(٢) بسبعمائة: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١/٤٦٥). ٢٩-كتاب: الجنائز. ٩١-باب:ما قيل في أولاد المشركين رقم ١٣٢٠.

(٢) أخرجه البزار وأبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وأبو حاتم وابن عدي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١٤٤) مطولا.

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قال: «**يا جبريل من هؤلاء؟**» قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف(1) جهنم وحجارتها قال: «**ما هؤلاء يا جبريل؟**» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١١٧]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدور نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب قال: «**يا جبريل من هؤلاء؟**» قال الرجل يقوم وعنده امرأة حلال طيب فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لم يمر بها شيء إلا قصفته يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ثم مر على رجل جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال: «**يا جبريل ما هذا؟**» قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء قال: «**يا جبريل من هؤلاء؟**» قال: «**هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع قال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع ....**» وذكر الحديث.

وله أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الإسراء عن النبي ﷺ قال: «**فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل فإذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته(2) تعرض له أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته من الفجار فيقول روح خبيثة**

---

(١) رضف - الرضف: الحجارة المحماة يوغر بها اللبن، واحدتها رضفة الصحاح (١/٤٨٧) ط. دار الهنا العربية - بيروت.

(٢) على صورته: أي على صورته التي خلقه الله عليها.

ونفس خبيثة اجعلوها في سجين، ثم مضيت هنية فإذا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن وعندها ناس يأكلون منه قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام ثم مضيت هنية فإذا بقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون، فتجيء السابلة فتطؤهم فيصيحون قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم مضيت هنية فإذا بقوم مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم فيلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون قلت من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ثم مضيت هنية فإذا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزواني ثم مضيت هنية فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت: من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك» وذكر الحديث بطوله...

ولأبي داود عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل: قال الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»(١) وهذا كما أنه مقتضى الأحاديث الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة قال المروزي قال أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل: لا ينكره إلا ضال مضل وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كل ما جاء عن النبي ﷺ بإسناد جيد أقررنا به إذا لم نقر بما جاء به الرسول ﷺ رددنا على الله أمره قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

قال وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وأن العبد يسأل في قبره: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/١٩٤) ٣٥ كتاب الأدب رقم (٤٨٧٨) قال أبو داود: حدثنا يحيى بن عثمان عن بقية ليس فيه أنس (أي حديث مرسل). يخمشون: يخدشون،أي يجرحون.وعزاه السيوطي في الدر المنثور(٤/١٥٠) للإمام أحمد أيضا.

ﭐلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال أحمد بن القاسم قلت: يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير وبما يروى في عذاب القبر، قال: سبحان الله نعم نقر بذلك ونقوله...

قلت وهذه اللفظة نقول منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين قال منكر ونكير...

قلت: يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال: هكذا، يعني أنهما منكر ونكير...

[عذاب القبر وعذاب البرزخ]

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به قبر أو لم يقبر ولو صلب أو غرق في البحر ولو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رمادًا وذري في الريح فسبحان ذي القدرة الشاملة والعظمة الباهرة الكاملة....

[محل العذاب]

وأما محل العذاب فالروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة فإذا مات العبد تبقى روحه منعمة أو معذبة تارة منفردة عن البدن إلا عند من شدد فقال: إنما الروح الحياة ولا تبقى بعد فراق البدن وتارة تتصل به وهو متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحالة مجتمعين وهل يكون النعيم والعذاب للبدن بدون الروح؟ فيه قولان مشهوران لأهل الحديث وأهل الكلام...

[مذهب سلف الأمة من عذاب القبر ونعيمه]

والحاصل أن مذهب سلف الأمة، أن المرء إذا مات يكون في نعيم، أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه، وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقه البدن، منعمة، أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، يحصل له معها النعيم، أو العذاب، فإذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد....

وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة ومعاد الأبدان متفق عليه بين أهل الشرائع المسلمين واليهود والنصارى.

[الجواب عن شبه الذين يقيسون غيب المآل على شاهد الحال]

وإنما أوقع من أحال عذاب القبر في الضلال قياسهم غيب المآل على شاهد الحال...

والجواب عن شبههم أنا نعلم أن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه لم يخبروا بما يحيله العقل غاية ما يقال إنهم قد يخبرون بما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب من تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالا في العقل أصلا بل كل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أمرين أحدهما أن يكون كذبا عليهم والثاني أن يكون ذلك العقل فاسدًا قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩].

وهذا ينفع بأمور ملاكها أن تمعن النظر في السنة مع التلبس بأثواب الافتقار والتضرع للملك الجبار حتى تفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا تحمل كلامه ما لا يحتمله ولا تقصر به عن مراده وقد حصل بإهمال ذلك من الضلال ما لا يعلمه إلا الله وسوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة بل أصل كل خطأ في الأصول والفروع لا سيما إن أضيف إليه سوء القصد وإنك ربما مررت على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغي في موضع واحد وهذا إنما تعرفه إذا عرضت الآراء على ما جاء به الرسول ﷺ. وأما من عكس هذا الأمر فعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقده مما قلد فيه من أحسن الظن فهو في الضلال لا ينفعه جدال فقد يتفق الغلط من المتبوع فيتبعه مقلده إحسانًا للظن أو لسوء قصد نسأل الله العافية من ذلك وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا إلى أحد من خلقه إنه حسبنا ونعم الوكيل.

الأمر الأول: أن الله جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب

تبعت الأبدان الأرواح في القبور في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيما وعذابًا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى الأرواح كذلك وجعل أحكام الدار الآخرة على الأرواح والأبدان معًا فأحط بهذا الموضع علمًا يزل عنك كل إشكال وقد أراك الله تعالى نموذجًا في الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب يجري على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يتعدى أثره إلى البدن تأثيرًا مشاهدًا فيرى النائم أنه عذِّب أو نعِّم فيصيح وأثر ذلك في جسمه ونحو ذلك ذكر الحارث بن أسد المحاسبي وأصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن سلمة قال بينا امرأة عند عائشة إذ قالت: «بايعت رسول الله ﷺ على ألا أشرك بالله شيئًا ولا أسرق ولا أزني، ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان أفتريه بين يدي ورجلي ولا أعصي في معروف، فوفيت لربي فوالله لا يعذبني الله تعالى فأتاها في المنام ملك فقال لها كلا إنك تتبرجين، وزينتك تبدين، وخيرك تكدرين، وجارك تؤذين، وزوجك تعصين، ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها فقال خمس بخمس ولو زدت زدناك فأصبت وأثر الأصابع في وجهها».

وقال عبد الرحمن بن القاسم، صاحب مالك، سمعت مالكا يقول: إن يعقوب ابن عبد الله بن الأشج(١)، كان من خيار هذه الأمة، نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لأصحابه إني قد رأيت أمرًا ولأخبرن به، إني رأيت كأني أدخلت الجنة فسقيت لبنًا فاستقاء فقاء اللبن واستشهد بعد ذلك قال ابن القاسم وكان في غزوة في البحر بموضع لا لبن فيه، وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر أنه معروف فقال إني رأيت كأني أدخلت الجنة فسقيت فيها لبنًا فقال له بعض القوم أقسمت عليك إلا تقيأت فقاء لبنا يصلد وما في السفينة لبن ولا شاة... (يصلد أي يبرق).

وذكر مسعدة في كتابه عن ربيع بن يزيد الرقاشي قال: أتاني رجلان فقعدا إلي

---

(١) يعقوب بن عبد الله بن الأشج، أبو يوسف المدني، مولى قريش ثقة، من الخامسة، مات سنة اثنتين وعشرين.

أخرج له البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

فاغتابا رجلا فنهيتهما فأتاني أحدهما بعد ذلك فقال إني رأيت في المنام كأن زنجيًا أتاني بطبق عليه جنب خنزير لم أر لحمًا قط أسمن منه فقال لي كل فقلت آكل لحم خنزير فتهددني فأكلت فأصبحت وقد تغير فمي فلم يزل يجد الريح في فمه شهرين.

وكان العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه فقال لأهله ليلة إني أجد فترة فإذا كان وقت كذا فأيقظوني فلم يفعلوا قال فأتاني آت في منامي فقال قم علاء بن زياد، الله يذكرك وأخذت شعرات في مقدم رأسي فقامت تلك الشعرات في مقدم رأسه فلم تزل قائمة حتى مات قال يحيى بن بسطان فلقد غسلناه يوم مات وهن قيام في رأسه....

وكان سماك بن حرب قد ذهب بصره فرأى إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فمسح على عينيه وقال اذهب إلى الفرات فانغمس فيها ثلاثًا ففعل فأبصر...

وكان إسماعيل بن بلال الحضرمي قد عمي فأتي في المنام فقيل له قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا بما يشاء اردد علي بصري فقاله فأبصر...

قال القيرواني وأخبرني شيخ من أهل الفضل أخبرني فقيه قال كان عندنا رجل يكثر الصوم ويسرده ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى في المنام كأن أسودين أخذا بضبعيه وأتيا به إلى تنور محمى يلقيانه فيه قال فقلت لهما على ماذا؟ فقالا على خلافك لسنة رسول الله ﷺ فإنه أمر بتعجيل الفطر وأنت تؤخره قال فأصبح وجهه قد اسود من وهج النار فكان يمشي متبرقعًا في الناس...

وأعجب من ذلك أنك ربما رأيت النائم يقوم ويضرب ويبطش ويتكلم كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك لكن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه استيقظ فإذا كانت الروح هنا يتألم ويتنعم فيصل ذلك إلى البدن بطريق الاستتباع ففي البرزخ أقوى فإذا كان يوم الحشر صار الحكم على الأرواح والأجساد معا كل منهما أصل في ذلك ومتى أعطيت هذا الموضع حقه لاحت لك أسرار أخبار الرسول عن عذاب القبر ونعيمه ومن أشكل عليه شيء من ذلك فمن غلظ كبده ورداءة فهمه ونقده...

وأغرب من ذلك أنك ترى النائمين في فراش، هذا روحه في نعيم وهذا روحه في عذاب وربما استيقظا أو أحدهما وأثر ذلك موجود ولا شعور لأحدهما بما فيه

الآخر.

قلت: بل ولا حاجة في هذا المقام إلى التمثيل بالمنام فإنك حال يقظتك ربما شاهدت النعيمَ لروحك فقط بالفرحِ والسرورِ والرضوان، والعذاب كذلك بالقبض والهموم والأحزان وربما ظهر أثرهما على البدن من هزال وسمن وربما لم يظهر وربما كان أعز الناس عليك إلى جانبك في لهو ولعب وليس عنده شعور بما أنت فيه وربما رأيت حصول ذلك للروح بواسطة البدن بنحو الأكل والشرب والجماع والضرب والطعن والدفاع، والله أعلم..

الأمر الثاني: أن الله تعالى حجب أمر الآخرة وما كان متصلا بها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك نزول الملائكة على المحتضر على الهيئات التي تقدمت في الأحاديث وقد يسلمون عليه فيرد عليهم بلفظه أو إشارته وربما سأل من عنده عنهم من أين هؤلاء الرجال الحسان ونحو ذلك وكل من امتدت حياته في هذه الدار رأى من ذلك ما يغنيه عن الأخبار ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

أي أقرب بملائكتنا ورسلنا إلى غير ذلك من قبض الروح وخروجها والشعاع الذي يخرج معها والريح الطيب أو الخبيث وهو غير مرئي لنا ولا محسوس وهو في هذه الدار ثم تأتي الروح فتشاهد غسل الميت وتكفينه وحمله...

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان»**(١).

وقد ثبت نحو هذا في هذه الدار، وأطلع الله عليه بعض من اختار. فهذا

---

(١) أخرجه البخاري (١/٤٤٢، ٤٤٣) أرقام (١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣). ٢٩- كتاب: الجنائز. ٤٩- باب: حمل الرجال الجنازة دون النساء. ٥٠- باب: السرعة بالجنازة. ٥١- باب: قول الميت هو على الجنازة: "قدموني".

جبريل، كان ينزل على النبي ﷺ، ويتمثل له رجلا، يكلمه تارة بكلام الرجال، وتارة مثل صلصلة الجرس، ويدارسه القرآن، ويشاهد الصحابة من النبي ﷺ من الأحوال الاضطرارية الطبيعية، ما لم يعلم بها مجيئه إليه قطعا من غير إخبار، ولا يسمعون كلامه، ولا يرون شخصه، وربما رآه بعضهم كما في صحيح الأخبار، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار، بالسياط وتصيح بهم، ويراهم الكفار، ويسمعونهم، كما أخبر كثير منهم بذلك بعد إسلامه، ولا يسمعهم المسلمون ولا يرونهم، وكل من له نظر في كتب السنة الصحيحة قطع بذلك، وهذه الجن تتكلم بالأصوات المرتفعة، بيننا ونحن لا نسمعهم، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وربما كشف لبعض الناس عن شيء فربما ثبت وربما صعق.

الأمر الثالث: اتساع القبر وضيقه ونوره وظلمته.

وأما حنين الجذع فأشهر من أن يذكر:

قلت: الأمر الثالث: اتساع القبر وضيقه ونوره وظلمته أمر معلوم من الدين بالضرورة لا مرية فيه لمتشرع لما في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من عليها إلا الثقلين...**».

[إعادة الروح إلى الجسد في القبر]

وعند أحمد وأبي داود الطيالسي والسجستاني وابن ماجه وأبي عوانة من حديث البراء الطويل الذي تقدم في إعادة الروح إلى الجسد في القبر عندما يجيب الملكين بالحق فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فألبسوه من الجنة وأفرشوه منها وأروه منزله منها فيلبس من الحرائر ويفرش منها ويرى منزله منها ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن

الثياب فيقول له أبشر بما أعد الله لك.... الحديث وقد تقدم في أول هذه المسألة ما ينضم إلى هذا....

وعند النسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**»[١].

وعند الشيخين وهذا لفظ مسلم من حديث أبي هريرة في قصة الذي كان يقم المسجد ودفنهم له من غير إعلام النبي ﷺ وأن النبي ﷺ صلى على قبره وفيه وهي زيادة لمسلم: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم**»[٢] والله اعلم...

وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني الأوسط بسند حسن وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره والذي نفسي بيده إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله**»[٣] وفي رواية الطبراني «**الزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام**»، وعند الطبراني الزكاة: «**ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة**» وعند الطبراني الصوم «**ما قبلي مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف ما قبلي مدخل**».

وفي رواية للطبراني «**يؤتى الرجل في قبره فإذا أتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن وإذا أتي من قبل يديه دفعته الصدقة وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أضيفت للغروب**

---

(١) صحيح الجامع برقم (١٦١٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم (٢/٦٥٩)، ١١- كتاب الجنائز. ٢٣- باب الصلاة على القبر. رقم الحديث ٧١-٩٥٦.

(٣) عزا نحوه السيوطي في كنز العمال (١٥/٦٠٠) رقم (٤٢٣٧٩) إلى الطبراني عن ابن عباس.

فيقال: هذا الرجل الذي كان فيكم يعني النبي ﷺ ما تقول فيه؟ وما تشهد به عليه فيقول دعوني حتى أصلي فيقولون إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول محمد أشهد أنه رسول الله جاءنا بالحق من عند الله».

وفي رواية الطبراني **«بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا فيقال له صدقت على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله فيقال افتحوا له بابا إلى النار فيفتح له باب إلى النار فيقال له هذا كان منزلك لو عصيت الله عز وجل فيزداد غبطة وسرورًا ويقال افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له باب إلى الجنة فيقال هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورًا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وفي رواية مد بصره وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته في القسم الطيب وهي طير يعلق في شجر الجنة فذلك قول الله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأما الكافر فيؤتى في قبره من قبل رأسه فلا يوجد شيء ثم أتى عن يمينه فلا يوجد شيء ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء فيؤتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء فيقال له اجلس فيجلس خائفًا مرعوبًا فيقال له ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ وما تشهد به؟ فلا يهتدي لاسمه فيقال محمد ﷺ فيقول: **«سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت كما قالوا فيقال له صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى:** ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]».

فيقال افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له باب إلى الجنة فيقال هذا كان منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبورًا ثم يقال افتحوا له بابا إلى النار فيفتح له باب إليها فيقال له هذا منزلك وما أعد الله لك فيزداد حسرة وثبورًا قال الطبراني لم يروه عن محمد بن عمرو يعني ابن علقمة بهذا التمام إلا حماد بن سلمة تفرد به أبو عمر الضرير.

قلت وهو حفص بن عمر الكبير صدوق[١] ولأبي يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ قال: «**إن المؤمن لفي قبره في روضة خضراء فيرحب له قبره سبعين ذراعًا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية:** ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]».

قال: «**أتدرون ما العيشة الضنكاء**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا أتدرون ما التنين؟ سبعون حية لكل حية سبعة أرءوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة**...انتهى.

وروى النسائي في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضم ثم فرج عنه**» قال النسائي يعني سعد بن معاذ وله عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «**للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**...».

وقال هناد بن السري حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبي مليكة قال: ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها، وحدثنا عبدة بن عبيد الله بن عمر عن نافع قال: لقد بلغني أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض ولقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة**....».

وقال علي بن معبد حدثنا عبد الله بن يزيد بن أبي أنيسة عن جابر عن نافع قال أتتنا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة فقلنا ما شأنك؟ فقالت جئت من عند بعض نساء النبي ﷺ فحدثتني أن رسول الله ﷺ قال: «**إن كنت لأرى لو أن أحدًا أعفي من عذاب القبر لأعفي منه سعد بن معاذ لقد ضم**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في التقريب (١/١٨٨) عن أبي عمر حفص بن عمر الضرير. "حفص بن عمر أبو عمر الضرير الأكبر البصري، صدوق عالم قيل ولد أعمى من كبار العاشرة مات سنة عشرين وقد جاوز السبعين".

ضمة....».

وحدثنا مروان بن معاوية عن علاء بن المسيب عن معاوية العبسي عن زاذان عن ابن عمر قال لما دفن رسول ﷺ ابنته جلس عند القبر فتغير وجهه ثم سري عنه فقال له أصحابه رأينا وجهك آنفا ثم سرى عنك فقال النبي ﷺ: «**ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين**».

قلت وقد أخرجه الطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات فقال حدثنا عبد الله الحضرمي هو أبو جعفر مطين أخبرنا عثمان بن أبي شيبة أخبرنا إسحاق بن سليمان الرازي عن زكريا بن سلام عن سعيد بن مسروق عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ حزن ثم سري عنه فقلنا رأينا منك ما لم نر قال: ذكرت زينب وضعفها وضغطة القبر لقد هون عليها وعلى ذلك لقد ضغطها ضغطة بلغت الخافقين**» انتهى.

عن علي بن معبد قال حدثنا شعيب عن ابن دينار عن إبراهيم الغنوي عن رجل قال: «كنت عند عائشة رضي الله عنها فمرت جنازة صبي فبكت فقلت لها ما يبكيك يا أم المؤمنين فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر». قلت وهذا حكمه حكم المرفوع فإنه لا مجال للرأي فيه وقد رفعه الطبراني في الأوسط بسند حسن إن شاء الله.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية وقال: «**لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**». وهذه السعة والضيق على غير ما نشاهده يقظة في هذه الدار نعم أنت خبير به في عالم النوم فربما كنت نائمًا في الصحراء فرأيت أنك في ضيق يكاد يزهق الأرواح، وربما كنت نائمًا في أضيق الأماكن فرأيت أنك فيما يعجز الوصف من السعة والخفض والدعة على أنك لا تعدم في كمال حسك نمطًا من ذلك، هذا الوتر إذا ضربته في الأرض الصلبة انضم له بعض التراب إلى بعض حتى يدخل فإذا أخرجته صار مكانه خلوا على مقدار ثخنه فإذا كان هذا فعلك وأنت أضعف قوة وأوهى أمرًا فكيف يمتنع ما هو أعظم من ذلك على ذي القدرة الشاملة والقوى الكاملة؟ هل يمتنع عليه أن يأمر – وهو

المطاع الأمر - الأرض فينزوي بعضها إلى بعض حتى يتسع لهذا الميت في لحد منها مقدار ما يريده؟ وأي عقل يمنع من ذلك؟ أشهد أنه لا يمتري في هذا إلا أعمى القلب غليظ الكبد والله الموفق...

قال المصنف واتساع القبر للروح بالذات والبدن تبع لها فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعًا لروحه وقد أخبرنا بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا في فرسخ ثم وقفا على الثاني فقال اكتب ميلا في ميل ثم وقفا على الثالث فقال اكتب فترًا في فتر. ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في الأول ثم جيء برجل آخر فدفن في الثاني ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سعته فتر في فتر - والفتر - بالفاء المكسورة والفوقية الساكنة ما بين رأسي الإبهام والسبابة....

الأمر الرابع: أن الميت إذا وضع في لحده ودفن لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه بل لو نقر له حجر وأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصولهم إليه فإن هذه الملائكة الأجسام الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح لها وأنت ربما شاهدت من الجن في ذلك العجائب وقد جعل الله الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير.

قلت ولا بدع في ذلك فقد أراك الله من نحوه نمطًا غريبًا ومثالا عجيبًا وهو أن الماء قريب من التراب في الكثافة ومن الهواء في اللطافة فهو درجة بين درجتين، وقد جعله الله للسابح منا غير بعيد من منزلة الهواء للطير ولغير السابح قريبا من منزلة الهواء لنا وجعل الماء للسمك بمنزلة الهواء للطير سواء تقف فيه وتبصر وتبطش وتكسر وجعل بعض الأجسام يوسعه ويغوص فيه قهرا لا يمكن فيه غير ذلك كالحديد والحجر وبعضها يطيش على ظهره كالخشب ولا يوسعه ويغوص فيه إلا بإكراه وجعل التراب للآلة الرفيعة من الحديد الذكر بمنزلة الماء لنا وجعل الأجسام الشديدة الصلابة لحجر الماس بمنزلة التراب للآلة الدقيقة من الحديد وسلط عليه الرصاص الذي هو أرخى المعادن فكسره وانظر إلى سريان عروق النبات في

الأراضي الصماء وخوارق العادات التي تواترت لنا عن الأنبياء والصالحين كلها أمثلة عظيمة لهذا فمن كذب بجميع ذلك فهو حمار أو مكابر. وقد سقط معه الكلام إلا بحد الحسام الباتر فسبحان من جلا بعض القلوب فأضاءها وطمس بعضها وأكثف حجابها وغطاها: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

الأمر الخامس: أن النار التي في القبر والخضرة ليستا من نار الدنيا ولا نباتها ولا تحس به أهل الدنيا فالله تعالى يحمي على الميت ذلك التراب وتلك الحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون أعظم حرا من نار الدنيا بما لا يعلمه إلا الله ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره بل ربما كان في روضة من رياض الجنة وقد أرانا الله تعالى من آثار قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك لكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله.

قلت: والنار التي ظهرت بالمدينة الشريفة في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة من المثل العظيمة لذلك وقد ذهبت إلى موضعها في مجاورتي بطيبة المكرمة سنة تسع وأربعين وثمانمائة ورأيت من آثارها العجب قال الإمام زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي في "تاريخ المدينة" وكان ظهورها من واد يقال له أحيليين يعني بالمهملة وكسر اللام وفتح التحتانية مصغرًا مثنى في الحرة الشرقية وسارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر تدب دبيب النمل تأكل كلما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر فلا تمر على شيء من ذلك إلا صار سدا لا مسلك لإنسان فيه ولا دابة إلى منتهى الحرة من جهة الشمال فقطعت في وسط وادي الشظاة المذكورة إلى جهة جبل وعيرة يعني بمهملتين مصغر فسدت الوادي المذكور بسد عظيم بالحجر المسبوك لا يصفه إلا من رآه طولا وعرضا وارتفاعا وانقطع وادي الشظاة بسببه وصار السيل ينحبس خلف السد المذكور وهو واد عظيم فتجتمع خلفه المياه حتى يصير بحرًا مد البصر عرضًا وطولا كأنه نيل مصر عند زيادته قال المطري شاهدته كذلك في شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمائة قال وأخبرني علم الدين سنجر العزي عتيق الأمير يوسف بن شبحة

صاحب المدينة الشريفة رحمه الله أن الأمير أرسله بعد ظهور النار بأيام ومعه شخص من العرب ليتحققا أمرها قال ونحن فارسان إلى أن قربنا معها فلم نجد لها حرًّا فنزلت عن فرسي وسرت إلى أن وصلت إليها وهي تأكل الصخر والحجر وأخذت سهما من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألمًا ولا حرا فاحترق النصل ولم يحترق العود فأدرت السهم وأدخلت فيها الريش فاحترق ولم يؤثر في العود قال: وأخبرني بعض من أدركنا من النساء أنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة المدينة وقال الشريف الجرجاني في "شرح المواقف" في الكلام على القسم الخامس من الفصل الثاني من المرصد الأول من موقف الجواهر في الكلام على حر الشمس وأنه يصعد إلى الجو أجزاء منها نارية أو أرضية وهو الدخان وأنه ليس ينحصر كما تعورف في الجسم الأسود الذي يرتفع مما يحترق بالنار إلى أن قال إنه يتصاعد إلى أن يخالط السحاب وقد يشتعل بقوة التسخين فيكون منه لطيف وكثيف فلطيفه ينطفي سريعًا وهو البرق وكثيفه لا ينطفي حتى يصل إلى الأرض وهو الصاعقة وإذا وصل إليها فربما صار لطيفًا ينفذ في المتخلخل ولا يحرقه ويذيب الأجسام المندمجة فيذيب الذهب والفضة في الصرة مثلا ولا يحرقها إلا ما احترق من الذوب وقد أخبرنا أهل التواتر بأن الصاعقة وقعت بشيراز على قبة الشيخ الكبير أبي عبد الله بن حفيف قدس الله سره فأذابت قنديلا فيها ولم تحرق شيئًا منها وربما كان كثيفا غليظا جدا فيحرق كل شيء أصابه والله أعلم...

فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ما يريد الله عز وجل إخفاءه حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانا وقد يطلع على ذلك بعض عبيده ولو اطلع الكل عليه لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولتدافن الناس كما في الصحيحين في حديث زيد بن ثابت الماضي «**لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع...**».

وسر ذلك كله أن ما في البرزخ من النبات والنار والسعة والضيق ليس من جنس المعهود في الدنيا فلا مانع من سؤال الملكين الميت ولو كان بين الناس ملقى أو على جذع مصلوبًا ويعذبانه أو ينعمانه ولا يحس الناس بذلك هذا الواحد منا ينام إلى جنبه صاحبه فيعذب في النوم بما قد يرى أثره عليه بعد أن يستيقظ وليس عند

من إلى جنبه علم بذلك ألبتة....

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الوزير الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: «فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا قبر خرج منه جمرة نار مثل كور الزجاج والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول أنائم أنا أو يقظان ثم التفت على سور المدينة وقلت والله ما أنا بنائم ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع الأكل ثم سألت عن صاحب القبر فإذا هو مكاس قد توفي في ذلك اليوم».

وذكر ابن أبي الدنيا في "كتاب القبور" عن الشعبي أن رجلا قال للنبي ﷺ مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول الله ﷺ «**ذلك أبو جهل بن هشام يفعل به إلى يوم القيامة....**».

وذكر من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه قال: «بينما أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محتقب إداوة إذ مررت بمقبرة فإذا رجل خارج من قبره يلتهب نارًا وفي عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله انضح فوالله ما أدري أعرفني باسمي أو كما يدعو الناس فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تنضح ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره..».

قال وحدثني أبي أخبرنا موسى بن داود أخبرنا حامد بن سلمة عن هشام ابن عروة عن أبيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا برجل قد خرج من قبره يلتهب نارًا مصفدًا في الحديد فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح وغشي على الراكب وعدلت به راحلته إلى العوج وأصبح وقد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده وذكر عن حصين الأسدي قال سمعت مرثد بن حوشب قال كنت جالسًا عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شقة وجهه صفحة من حديد فقال له يوسف حدث مرثدا بما رأيت قال كنت شابًا قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت أخرج إلى ثغر من هذه الثغور ثم رأيت أن أحفر القبور فإني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبرا وأنا متكئ على تراب قبر

آخر إذ جيء بجنازة رجل حتى دفن في ذلك القبر وسووا عليه فأقبل عليه طيران أبيضان مثل البعيرين سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ثم أثاراه ثم تدل أحدهما في القبر والآخر على شفيره فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلا لا يملأ جوفي شيء فسمعته يقول ألست الزائر أصهارك في ثوبين ممصرين تسحبها كبرا تمشي الخيلاء فقال أنا أضعف من ذلك فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ماء ودهنا ثم عاد وأعاد عليه القول حتى ضربه ثلاث ضربات كل ذلك يقول ذلك ويذكر أن القبر يفيض ماء ودهنا قال فرفع رأسه فنظر إلي فقال انظروا أين هو جالس نكسه الله ثم ضرب جانب وجهي فسقطت فمكثت ليلتي حتى أصبحت ثم أخذت أنظر إلى القبر فإذا هو على حاله....

فهذا ماء ودهن في رأي العين لهذا وهما نار تأجج للميت كما أخبر ﷺ عن نار الدجال أنها ماء بارد وعن مائه أنه نار تأجج وقيل لنباش قد تاب ما أعجب ما رأيت قال نبشت رجلا فإذا هو مسمر بمسامير في سائر جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه...

وقيل لآخر قال رأيت جمجمة إنسان مصبوبًا فيها الرصاص....

وقيل لآخر ما كان سبب توبتك؟ قال: عامة من كنت أنبش كنت أرى وجهه عن القبلة...

قال المصنف وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن منتاب السلامي وكان من خيار عباد الله وكان يتحرى الصدق قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير فأخذها الحداد فجعل يحمي عليها فلا تلين حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فسأله من أين هي؟ فقال لقيتها فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبرًا مفتوحًا فيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر فأخذت حجرًا فكسرت عظامه وجمعتها قلت له فكيف صفتها قال المسمار صغير برأسين.

وذكر ابن أبي الدنيا بسنده قال لما حفر أبو جعفر خندق الكوفة حول الناس موتاهم فرئيا شاب عاض على يديه...

وقال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني أبو إسحاق قال دعيت إلى ميت

لأغسله فلما كشفت الثوب عن وجهه إذا بحية قد تطوقت على حلقه فذكر من غلظها قال فخرجت ولم أغسله فذكروا أنه يسب الصحابة...

الأمر السادس: أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه عبارة عن عذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى القبر باعتبار الغالب فالمصلوب والغريق والحريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه حتى لو علق العاصي على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ولو ألقي الصالح في أتون من الغاز لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه فيجعل النار على هذا بردًا وسلاما والهواء على ذلك نارًا وسمومًا فعناصر العالم ومواده منقادة لربها يصرفها كيف يشاء كما صرفها فيما نشاهد بخلق هذه القوى فيها بعد أن لم تكن، تبارك اسمه وعزت مشيئته وتعالت قدرته وجلت قوته...

وأما هل ذكر في القرآن؟ فنعم في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] فخاطبوهم عند الموت بقولهم اليوم تجزون وفي قوله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

فذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره...

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١].

احتج بها ابن عتاب على عذاب القبر فإن قيل إنما المراد بهذا العذاب في الدنيا بالقتل والقحط والأسر وغيرها بدليل قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي عن الكفر قيل حبر الأمة وترجمان القرآن يقول ذلك وهو أدق فيهما وأغزر علمًا وتقرير قوله أن قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ يدل على أنه يبقى بعد ما يذوقونه منه في

الدنيا بقية يذوقونها بين الموت، والعذاب الأكبر بعد الحشر وهذا نظير قوله ﷺ: **«فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها فإن الذي يصل إليه بعض ذلك ويبقى أكثره...»**.

وأما هل هو دائم أو منقطع؟ فهو نوعان:

أحدهما: دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة لقوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦].

وتقدم في حديث سمرة عند البخاري في رؤيا النبي ﷺ **«فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة...»**.

وفي حديث أبي هريرة في **«الذين ترضخ[(١)] رؤوسهم لا يفتر عنهم...»**.

وفي الصحيح عن أبي هريرة في قصة **«الذي لبس بردين وجعل يمشي ويتبختر فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى اليوم القيامة»**[(٢)] وفي بعض ألفاظ حديث البراء الطويل الماضي عند أحمد **«ثم يخرق له خرقا إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة»**. لكن ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ...﴾.

الثاني: منقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فإنه يعذب بحسب جريمته ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك...

قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبد الله بن نافع قال: «مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ثم إنه بعد سابعة أو ثامنة رآه كأنه من أهل الجنة فقال ألم تكن قلت إنك من أهل النار؟ قال قد كان ذلك إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٢/٢٢٩) باب الراء مع الضاد: الرضخ: الشدخ والدق والكسر. اهـ.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في تعقيبه على قول النبي ﷺ «يخسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» أي يغوص في الأرض حين يخسف به، والجلجلة: حركة مع صوت، البختري: أي المتبختر في مشيه وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه: النهاية لابن الأثير(١/١٠١) باب الباء مع الخاء.

منهم...».

وحدثنا أحمد بن يحيى حدثنا بعض أصحابنا قال مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له ما حالك حين وضعت في قبرك؟ قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به...

وحدثني أبو عبد الله بن بجير حدثني بعض أصحابنا قال: «رأيت أخا لي في النوم بعد موته فقلت أيصل إليك دعاء الأحياء؟ قال إي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه...».

وقال عمر بن جرير: «إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها إلى قبره ملك فقال يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق...».

وقال بشار بن غالب رأيت رابعة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير. قلت: وكيف ذاك؟ قالت هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور ثم خمر بمناديل الحرير ثم أتى على الذي دعا له من الموتى فقيل هذه هدية فلان إليك وقد مضى تمام هذا في مسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء....

الأسباب الموجبة في عذاب القبر:

وأما الأسباب الموجبة في عذاب القبر فهي الجهل بالله والإضاعة لأمره والارتكاب لمعاصيه المفضية إلى سخطه المعبر به عن عذابه.

قلت فإن الغضب عبارة عن نوع تغير في الغضبان يتأذى به ونتيجته إهلاك المغضوب عليه أو إيلامه فعبر عن المسبب كما سبق في المسألة الثانية والله أعلم فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ومات عن غير توبة كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر.

وقد عين النبي ﷺ للإيقاع فيها أسبابًا من اتقى ما ذكرناه من هذا الإجمال استغنى عن تفصيلها، ولما كان أكثر الناس مستحقًا بأكثر الأرجاس كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل إلا إن عفا الله وهو أهل العفو والمغفرة فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب. وظواهرها بالحجارة المنقوشة

مبنيات وفي بواطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها وحق لها لعمري وقد حيل بينها وبين أمانيها..

ذكر ابن أبي الدنيا عن سماك بن حرب قال مر أبو الدرداء بين القبور فقال: «ما أسكت ظواهرك وفي باطنك الدواهي!!».

قال ثابت البناني: «بينا أنا أمشي في المقابر وإذا صوت خلفي يقول يا ثابت لا يغرنك سكوتها فكم من مغموم فيها فالتفت فلم أر أحدًا....».

ومر الحسن على مقبرة فقال: يا لهم من عسكر! ما أسكتهم! وكم فيهم من مكروب...

وأما الأسباب المنجية منه:

فالعلم بالله وخشيته وتقواه والامتثال لأمره والوقوف عند نهيه وزجره وتجنب الأسباب المقتضية للعذاب ومن أنفع ذلك أن تجلس عند المنام ساعة تحاسب فيها نفسك ثم تجدد لكل ذنب توبة نصوحًا وتنام على تلك التوبة فإن مت كنت على توبة وإلا استيقظت مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير الأجل حتى تستقبل ربك وتستدرك ما فاتك، وليس للعبد أنفع من هذه التوبة لا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمل السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ حتى يغلبه النوم هذا وقد عين ﷺ للنجاة منها أسبابا فعليك بها..

أخرج مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان...»**[(١)].

وللترمذي وقال حسن صحيح عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمى إلى**

---

(١) كنز العمال (٢٨٤/٤) رقم (١٠٥٠٩) وعزاه السيوطي لمسلم عن سلمان صحيح مسلم (١٥٢٠/٣) ٣٣- كتاب الإمارة. ٥- باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل رقم ١٦٣ - (١٩١٣) وجاء في هامشه: «وأمن الفتان» ضبطوا أمن بوجهين: أحدهما، أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو والثاني - أومن بضم الهمزة وبواو: وأما الفتان فقال القاضي: رواية الأكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبري بالفتح.

يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر...».

وللنسائي عن رشدين بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[١] معناه والله أعلم أنه امتحن إيمانه من نفاقه ببارقة السيف فدل على أن إيمانه هو الذي يحمله على بروزه للقتل وبذل نفسه لله وتسليمها له وهاج من قبله حمية الغضب لله ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته فظهر أن دعواه الإيمان بلسانه برزت عن قلب صادق وضمير بالله واثق فأغنى ذلك عن الامتحان في قبره...

وللترمذي وهذا لفظه وقال حسن صحيح غريب.

وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه...**»[٢].

وللترمذي أيضًا وقال حسن غريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال ﷺ: «**هي المانعة المنجية تنجيه من عذاب القبر**»[٣].

قلت ورواه الحاكم وزاد «**وددت أنها في قلب كل مؤمن**» وقال هذا إسناد

---

(١) أخرجه النسائي (٤/٩٩) رقم (٢٠٥٣)م ١١- الشهيد.

(٢) سنن أبي عيسى الترمذي (٤/١٨٨). ٢٣- كتاب فضائل الجهاد. ٢٦- باب ما جاء في فضل المرابط رقم الحديث (١٦٦٣).

(٣) كنز العمال (١/٥٨٣) رقم (٢٦٤٧) وعزاه السيوطي للترمذي عن ابن عباس الجامع الصحيح للترمذي (٥/١٦٤). ٤٦- كتاب فضائل القرآن. ٩- باب ما جاء في فضل سورة الملك.رقم الحديث (٢٨٩٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

عند اليمانيين صحيح... والله أعلم....

وفي مسند عبد بن حميد عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل: «ألا أتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ احفظها وعلمها جميع أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانهم فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقاريها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كان في جوفه وينجي الله صاحبها من عذاب القبر....»[(١)].

قال رسول الله ﷺ: **«لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي...»**.

وقال أبو عمر بن عبد البر عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«سورة ثلاثون آية شفعت في صاحبها حتى غفر له: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ »**[(٢)].

قلت رواه أصحاب السنن الأربعة والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة...

وللنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد وهذا لفظه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يؤتى الرجل في قبره فيؤتى من قبل رجليه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك فهي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب وفي رواية من قرأها

---

(١) لقد ورد في هذا المعنى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٦) أخرج الترمذي والحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا هو بإنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر».

(٢) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن الضريس والحاكم وصححه (١/ ٥٦٥) وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ » الدر المنثور (٢٤٦/٦) ط دار المعرفة.

كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وإن في كتاب الله عز وجل سورة من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأي والله أعلم...

وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب وجعله سر حاله رواه من طريق الفرج بن فضالة حدثنا هلال أبو حبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال:«**إني رأيت البارحة عجبا رجلا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطر الشيطان عنه وفي رواية فخلصه من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه ورواه، ورأيت رجلا من أمتي والنبيون جالس حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذه بيده فأقعد إلى جنبي**» وفي رواية «**إلى جانبهم ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيه**». وفي رواية «**فتحير فيها فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يتقي بوجهه وهج النار وشررها**» وفي رواية «**يقي حر النار وشررها بيده ووجهه فجاءته سترته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه ورأيت رجلا يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يا معشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم**» وفي رواية «**وكان معهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله**

فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائمًا على شفير جهنم فجاءه وجله من الله عز وجل فاستنقذه ومضى، ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكت من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قائمًا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روعه وفي رواية فسكن عن رعدته، ومضى ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته علي فأقامته على قدميه وأقعدته حتى جاز ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة....».

قال الحافظ أبو موسى هذا حديث حسن جدًّا رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن ذر وعلي بن زيد بن جدعان ونحو هذا الحديث مما قيل فيه رؤيا الأنبياء وحي فهي على ظاهرها ورؤياه الطويلة وردت من ثلاثة أوجه من حديث سمرة في الصحيح ومن حديث علي وأبي أمامة والثلاثة قريب بعضها من بعض تشتمل على ذلك عقوبات جماعة من المعذبين في البرزخ فأما هذه الرواية فأتبع العقوبة بالعمل المنجي لصاحبها وراويها عن ابن المسيب هلال أبو حبلة مدني لا يعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه هكذا وكنى الحاكمان أبو أحمد وأبو عبد الله أباه أبا حبل بغير هاء وحكياه عن مسلم وراويه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوي ولا المتروك وراويه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بابن الخطيب كان حسن المذهب جميل الطريقة.

هذا آخر ما أردته من كتاب الروح للعلامة شمس الدين بن القيم قد تم ولله الحمد، وكان الحامل لي على تهذيبه واختصاره وترتيبه من استشهد لي من الأموات في طاعون سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة المعزية سقى الله معاهدهم سحائب الرضوان وجمعنا بهم في أعالي الجنان.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

التمهيد

ŠARḤ KITĀB SIRR AL-RŪḤ

(Explanation of al-Bikaaï's book
« *Mysteries of the Spirit* »)

by

Al-šayḫ ᶜAli Aḥmad ᶜAbdul-ᶜĀl al-Ṭahṭāwi

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon